عالم المعرفة

مصر وفلسطين

د. عواطف عبد الرحمن

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت



د. عواطف عبد الرحمن

٢٦- ربيع الأول / ربيع الآخر ١٤٠٠ هـ - فبراير « شباط » ١٩٨٠ م

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص. ب ٢٣٩٩٦ الكويت

مصر وفلسطين

مقدمــــة

رغم تعدد وتنوع الدراسات التي تناولت القضية الفلسطينية ، يلاحظ أن معظم هذه الدراسات كانت تتناول القضية بمعزل عن الاحداث والاطار العربي سواء عن عمد او عن غفلة . وكانت المحصلة النهائية هي حصر الصراع الذي كان يدور في فلسطين بين الاطراف الوطنية من ناحية في مواجهة الطرفين البريطاني والصهيوني في اطاره المحلي معزولا عن الظروف العربية والدولية لهذا الصراع ، مما كان يؤدي في النهاية الى الخروج باستنتاجات ورؤى مبتورة وغير متكاملة .

واذا كان ثمة ضرورة تاريخية وموضوعية تدعو الى فتح ملف القضية الفلسطينية والى اعادة النظر في الرؤية والمنهج الـذي يستخدم في دراسة هذه القضية ، فان التطورات التي طرأت على الواقع العربي بوجه عام والواقع الفلسطيني على وجه الخصوص خلال السنوات الاخيرة تجعل هذه الضرورة مطلبا قوميا ملحا ، وذلك بهدف كشف الجوانب العديدة التي لاتزال خفية من القضية وخصوصا ما يتعلق بكفاح الشعب الفلسطيني من ناحية وصدى هذا الكفاح لدى الشعوب العربية من ناحية أخرى ، مما يستلزم رصد الاشكال المتعددة للمشاركة العربية للشعب الفلسطيني في نضاله ضد الصهيونية وضد الانتداب البريطاني طوال تلك الحقبة أي منذ صدور وعد بلفور حتى قيام الكيان الصهيوني .

ومن ثم فان هذه الدراسة تهدف الى تحقيق هدفين اساسيين :ـ

اولا : ابراز موقف القوى السياسية والراي العام المصري من القضية الفلسطينية منذ بدات تطرح نفسها على الواقع العربي في بدايات هذا القرن ، وذلك من خلال دراسة اتجاهات

الصحف المصرية التي تعد بمثابة مؤشر حساس للرؤية المصرية على المستويين الشعبي والرسمي على السواء .

ثانيا : تأكيد نضال الشعب الفلسطيني من أجل التشبث بالوطن الفلسطيني وطنا عربيا خالصا خلال ما يقرب من نصف قرن ــ هذا النضال الذي بدأ بصدور وعد بلفور ١٩١٧ ولم يتوقف حتى قيام الكيان الصهيوني فوق الاراضي الفلسطينية ١٩٤٨ .

والواقع ان القضية الفلسطينية لم تنشأ في عزلة عن الاحداث العالمية ، بل كانت جزءا لا يتجزأ منها ، ولذلك فلا بد عند بحثها من رؤية ظروف تطورها في المدى التاريخي . ولقد التقت على التربة الفلسطينية ثلاث قوى رئيسية تفاعلت فيما بينها وخلقت بصراعاتها القضية الفلسطينية ، وتلك القوى هي الاستعمار البريطاني والحركة الصهيونية والحركة الوطنية الفلسطينية .

واذا كانت بريطانيا قد نجحت طوال تلك الفترة في أن تضع بدايات تأسيس الوطن القومي اليهودي من خلال تشجيع الهجرة اليهودية بدون قيود وتمكين الحركة الصهيونية من الاستيلاء على اجود الاراضي العربية في فلسطين ، فان هذه الفترة قد شهدت أيضا ردود الفعل العربية ضد مشروع الوطن القومي اليهودي في فلسطين . ونستطيع أن نقول ان قضية مقاومة الحركة الصهيونية كانت محورا لكل الاحداث التي وقعت خلال تلك المرحلة . فمنذ سنة ١٩١٩ أخذ النضال الفلسطيني يزداد تنوعا وشدة وعنفا . فمن الهجمات على المستعمرات والاحياء الصهيونية الى المؤتمرات الى الانتفاضات الى الوفود الى العرائض الى المسيرات والاحتجاجات .

وكانت الحركة الوطنية الفلسطينية تواجه سلطات الانتداب كما تواجه الحركة الصهيونية في آن واحد . وقد دار النضال الوطني الفلسطيني طوال العشرينات والثلاثينات حتى منتصف الاربعينات حول ثلاثة محاور أساسية أولها وقف الهجرة الصهيونية ،

ثانيا : وقف بيع الاراضي ، ثالثا : مقاومة قيام دولة صهيونية في فلسطين .

خلال هذه الفترة كانت مصر تبدأ مرحلة جديدة في نضالها الوطني بعد فشل ثورة ١٩١٩ وصدور تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ الذي أتاح للبورجوازية المصرية نوعا من المشاركة في الحكم مع الاحتلال رغم التحفظات الاربعة . وتتسم هذه المرحلة في تاريخ مصر السياسي (العشرينات والثلاثينات والاربعينات) بتفرغ القوى الوطنية للمعركة الدستورية التي تمخضت عن دستور بورجوازي يعكس الواقع الاجتماعي والاقتصادي السائد ويبلور مصالح الفئة الحاكمة . وقد ظل هذا الدستور موضع انتهاك مستمر من جانب السراي مما أسفر عن انسحاب القوى الوطنية من مواقعها الامامية في مواجهة الاستعمار ، وكان لذلك اثارة السلبية على القضية الوطنية التي تراجعت وتركت مكان الصدارة للمعركة الدستورية . ورغم ضراوة المعارك التي خاضتها الصحافة المصرية في تلك المرحلة خصوصا في الثلاثينات دفاعا عن الدستور وما تعرضت له من أساليب المصادرة والتعطيل من جانب حكومات الاقلية (محمد محمود واسماعيل صدقي) فقد استطاعت أن تعكس التيارات السياسية والفكرية في المجتمع المصري آنذاك .

ومما يجدر ذكره ان الاهتمام المصري بالقضية الفلسطينية قد بدأ من المدخل الاسلامي . فقد حركت أحداث البراق ١٩٢٩ لدى الشعب المصري جماع المشاعر الوطنية الاسلامية والعربية الوليدة مما يؤكد وجهة النظر التي ترى (ان النزعتين العربية والاسلامية تتشابكان في مصر ، وان الحركة العربية كانت تتسم في مصر بالطابع الاسلامي . واذا كانت قضية فلسطين هي أكثر القضايا العربية خطورة على استقلال مصر وأمنها ، فقد صاغت الظروف هذه القضية فكريا على نحو عربي اسلامي يشابه المنطلق الفكري المصري وقتها وهو المنطلق العربي الاسلامي . فكانت فلسطين هي البداية السياسية الفكرية لاكتشاف مصر لعروبتها) .

ومما يثير الانتباه فيما يتعلق بالموقف المصري من القضيـة الفلسطينية هو ظاهرة التناقض القائمة بين موقف القوى السياسية من القضية وموقف الصحف . ففي حين اتسم موقف الاحزاب المصرية باللامبالاة اذ لم ترد في برامجها أية اشارة الى القضايا العربية أو قضية فلسطين بالذات خلال العشرينات والثلاثينات ، بالاضافة الى أن ممارساتها اليومية كانت بعيدة تماما عن هذا المجال بل وكانت مستغرقة في تفاصيل الحياة السياسية المصرية ، يلاحظ أن الصحف كانت تتابع القضية الفلسطينية وتعلق عليها من خلال وجهة نظر مبلورة وواضحة ، وقد بدت هذه الصحف اكثر ادراكا ووعيا بالخطر الصهيوني منذ بداية العشرينات في حين لم تبد الحكومات المصرية وعيا مماثلا بهذا الخطر . ودليل ذلك موقفها من النشاط الصهيوني في مصر في ذلك الوقت . اذ كانت مصر أحد المراكز الرئيسية للدعاية الصهيونية في العـالم العربي . وكان الصهيونيون يلقون الرعـاية والتسهيلات من جـانب الحكومات المصرية . بينما كان الفلسطينيون يتلقون التهديد بالطرد لمحاولاتهم اثارة مشاعر الشعب المصري باقحام القضية الفلسطينية على اهتماماته .

ولكن مما يجدر الاشارة اليه أن الاوضاع السياسية في مصر في الاربعينيات قد عجلت بتبلور انتمائها العـربي على المستويين الشعبي والرسمي اذ استبدلت السراي المطامع العربية بمطامحها الاسلامية في العشرينات والثلاثينات واختارت المجال العربي كي تمارس فيه سلطاتها في مواجهة الحكومة والبرلمان والحركة الشعبية على اساس أن هذا المجال سوف يقلل احتمالات الصدام بينها وبين القوى الوطنية ، كما أنه سيتيح لها فرصة انتزاع بعض المكاسب من خلال الالتقاء الشكلي مع الجماهير على المائدة العربية . هذا وقد لعب الكفاح العربي في كل قطر على حدة ضد العدو المشترك الذي تمثل في الاستعمار الاوروبي دورا أساسيا في تقريب المشاعـر والاهتمامات القومية . ويمكن القول انه اذا كانت النزعة الاسلامية

هي مدخل مصر الى الفكرة العربية في العشرينات والثلاثينات فان التضامن بين الشعوب العربية ضد العدو المشترك وهو الاستعمار كان هو المنطلق المصري الى العروبة اثناء الحرب العالمية الثانيـة وبعدها .

ولقد طرحت القضية الفلسطينية نفسـها باعتبارها ذروة الصراع الدامي بين الشعب الفلسطيني والشعوب العربية من جانب والثورة الاستعمارية والصهيونية في الجانب المقابل . وكانـت مظاهرات ٢ نوفمبر ١٩٤٥ التي قادها الاخوان المسلمون التجسيد المادي لحضور القضية الفلسطينية في الشارع المصري . وكان عنفها وشمولها تعبيرا عن موقف المصريين عامـة من مصـير القضية الفلسطينية . كما كان مظهرا لالتحام قضية الشعب الفلسطيني بالقضايا الاساسية التي تشغل المصريين عامة .

وقد تابع الراي العام المصري جميع مراحل بحث القضية الفلسطينية داخل الامم المتحدة والتي انتهت بقرار التقسيم في نوفمبر ١٩٤٧ . وقد كان لهذا القرار صداه الحاد في الشارع المصري اذ اجتاح الجماهير سخط عارم . وبدأت الاضرابات والمظاهرات منذ بداية نظر القضية أمام الجمعية العامة . ومنذ تلك اللحظة بدأت شعارات الكفاح المسلح ضد الصهيونية تطرح نفسها بحدة على الساحة المصرية .

اختيار عينـة الدراسـة :

وقد تم اختيار عينة من الصحف المصرية تمثل القـوى السياسية والتيارات الفكرية السائدة في مصر خلال فترة الدراسة أي العشرينات والثلاثينات والاربعينات وقد أسفر ذلك عن التصنيف التـالي : ـ

اولا : الصحافة الحزبية وتتضمن :

(١) صحافة حزب الوفد	جريدة كوكب الشرق والبلاغ
(٢) جريدة حزب الاحرار الدستوريين	جريدة السياسة اليومية
(٣) جماعة الاخوان المسلمين	مجلة الاخوان المسلمين
ثانيا : صحافة القصر	: جريدة الاتحاد
ثالثا : صحافة اليسار	: الحساب
رابعا : الصحافة الطائفية	: الوطن
خامسا : صحافة موالية للاحتلال البريطاني	: المقطم
سادسا : صحافة تزعم الحياد	: الاهرام
سابعا : الصحافة الصهيونية	: اسرائيل والشمس والاتحاد الاسرائيلي

وقد راعت الكاتبة في اختيارها للصحف الصهيونية ان تكون صحفا تصدر باللغة العربية ، اي انها كانت تستهدف التاثير في الراي العام المصري ككل ، ولم تكن مقصورة على الراي العام اليهودي . كما انها تمثل التنوع القائم داخل الجالية اليهودية في مصر . فاذا كانت صحيفة اسرائيل منبرا للدعاية الصهيونية في مصر ، وقد اعلنت ذلك بوضوح في اكثر من مناسبة فان الشمس كانت تتحاشى ذكر الحركة الصهيونية مع حرصها في ذات الوقت على خدمة الاهداف الصهيونية باتقان واخلاص لا يقل عن صحيفة اسرائيل . اما الاتحاد الاسرائيلي فقد كانت لسان حال طائفة اليهود القرائين في مصر .

ثامنا : الصحافة الفلسطينية ..... الشورى

المصـــادر : ـ

وقد اعتمدت في انجاز هذه الدراسة على أربعة مصـــادر اساسية : ـ

١) الصحف والمجلات ٢) المقابلات الشخصية

٣) الدراســـات ٤) المراجع الاجنبية

اولا : ـ الصحف والمجلات :

تعتبر الصحف في هذه الدراسة هي المرجع الاساسي الذي إعتمدت عليه الكاتبة . وليس من المتوقع بطبيعة الحال أن تحيط في هذه المقدمة بكل ما أفاد به البحث من هذه المصادر الأساسية ولكن يكفي أن نورد بعض الملاحظات الهامة : ـ

١ ـ كان هناك اجماع بين جميع المراجع التي تناولت الايديولوجية العربية في مصر على أن اتجاه مصر للعروبة لم يتبلور ويأخذ شكلا واضحـا محددا الا في نهـاية الثلاثينيـات وبدايـة الاربعينات ، وقد قاد هذا الاستنتاج الخاطىء الى مزيد من النتائج غير الصحيحة كانت كلها تدور حول استبعاد احتمال وجود اهتمام مصري بالقضايا العربية وخصوصا القضـية الفلسطينية خلال العشرينات والثلاثينات . وقد ثبت من خلال استعراض الصحف في هذه الفترة خطأ هذا الاستنتاج . بل ثبت وجـود اهتمام مصري غـزير بالقضيـة الفلسطينية وتحسسا مبكرا للخطر الصهيوني في فلسطين .

٢ ـ لوحظ أن معظم الدراسات العربية والاجنبية كانت تتناول احداث الثورات الفلسطينية من خلال منظار متحـيز . فالمراجع العربية معظمها يرجح كفة العرب والمراجع العبرية والبريطانية تبرز المواقف الصهيونية والبريطانية وتلقي اللوم على الجانب العربي . وقد جاءت تغطية الصحف لتلك الاحداث متضمنة تفاصيل لم ترد من قبل في هذه الدراسات كما أنها

تختلف أحيانا مع بعض ما ورد في هذه الدراسات وخصوصا في احداث البراق ١٩٢٩ ، وعمليات اجلاء الفلاحين الفلسطينيين عن أراضيهم في وادي الحوارث والعفولة والزيادنة ، وكذلك مواقف الزعماء الوطنيين الفلسطينيين ازاء حكومة الانتداب والحركة الصهيونية ، والخلافات التي كانت تنشب بينهم واسبابها كما جاءت على السنتهم من خلال بعض الاحاديث الصحفية التي كانت تجريها هذه الصحف معهم وكذلك تصورهم للحلول التي كانوا يطرحونها لانهاء وحسم الصراع الدائر في فلسطين .

٣ ـ انفردت الصحف المصرية بتغطية كثير من الجوانب التي ما زالت مجهولة في تاريخ القضية الفلسطينية مثل العلاقات المصرية الفلسطينية التي عالجتها باسهاب على المستوى الرسمي الذي تمثل في زيارات المسئولين المصريين لفلسطين مثل اسماعيل صدقي باشا ولطفي السيد ومكرم عبيد وعلى المستوى الشعبي الذي يتمثل في علاقات جمعيات الشبان المسلمين في مصر بفروعها بفلسطين وتطوع نقابة المحامين المصرية للدفاع عن الاحرار الفلسطينيين الذين حوكموا في احداث البراق ١٩٢٩ ومشكلات العمال المصريين الذين كانوا يتعرضون للاضطهاد والطرد من جانب السلطات البريطانية في فلسطين .

كشفت الصحافة المصرية عن وجود نشاط صهيوني متزايد في مصر في فترة ما بين الحربين ، وهذا لم يشر اليه من قبل اي كتاب سوى الكتيب الذي أصدره أحمد غنيم وأحمد ابو كف عن اليهود والحركة الصهيونية في مصر الذي صدر سنة ١٩٦٩ بالقاهرة ومع ذلك فهو لم يشر الا الى جزء ضئيل من هذا النشاط الذي تزخر به الصحف المصرية في تلك الفترة .

ثانيا : المقابلات الشخصية :

وقد قمت بحصر اسماء بعض الصحفيين المصريين والعرب الذين عاصروا هذه الفترة في مصر وعايشوا المواقف اليومية للصحافة المصرية تجاه القضية الفلسطينية ، ومما يؤسف له انني وجدت معظمهم قد توفاهم الله أو ابتعدوا عن الحياة في مصر ، ولم أخرج بنتائج مفيدة للبحث من اللقاءات التي تمت مع العدد القليل الذي لا زال يقيم بمصر . وقد اكد اغلبهم انهم عاصروا فترة الاربعينات ، ولكن فيما يتعلق بالعشرينات والثلاثينات فان قضيتي الاستقلال والدستور كانت تستقطب اهتمام الراي العام المصري . وان الاهتمام بالقضايا العربية لم يأخذ شكلا واضحا في الصحافة المصرية سوى في بداية الاربعينات ، ولكنني استطعت ان اجني بعض الفائدة من اللقاءات التي اجريتها مع بعض اليهود المصريين الذين ما زالوا يقيمون في مصر مثل هارون شحاته المحامي والبير اربيه واحمد صادق سعد وريمون دويك (يقيم حاليا في باريس) ، فقد أمدوني بخلفية عامة عن حياة اليهود في مصر والصراع الذي نشب بين اليهود التقدميين والحركة الصهيونية في منتصف الاربعينات .

كذلك اجريت حوارا مفيدا مع مسيو جاكودي كومب والسيدة هتريث دى كومب وهما من أوائل الماركسيين المصريين ، وقد هاجرا الى باريس منذ بداية الخمسينات وقد قاما بتزويدي ببعض المعلومات عن اليسار الماركسي المصري في الثلاثينات والاربعينات وموقفه من القضية الفلسطينية .

ثالثا : الدراسات :

وينقسم هذا النوع من المراجع الى قسمين : ــ

١ ــ دراسات تتناول تاريخ القضية الفلسطينية وتاريخ مصر السياسي خلال فترة ما بين الحربين العالميتين .

٢ ـ دراسات تتناول تاريخ الصحافة في مصر والاتجاهات والفنون الصحفية خلال العشرينات والثلاثينات والاربعينات .

وفيما يتعلق بالنوع الاول فان أهم ما كتب فيها سلسلة الدراسات الاكاديمية التي أعدها الدكتور عبد العظيم رمضان عن الحركة الوطنية المصرية وهي تتضمن رسالتي الماجستير والدكتوراه وتقتصر الاولى على الفترة التي تبدأ من ١٩١٨ـ١٩٣٦ . اما الثانية فهي تتناول الفترة من ١٩٣٧ ـ ١٩٤٨ ... وتعد هذه المجموعة اضافة حقيقية الى المكتبة العربية في هذا المجال ، وذلك لما اتسمت به من دقة التحليل وعمق البحث . ولم تكشف فحسب عن قدرة الباحث على التنقيب في بطون الصحف والكتب والوثائق ، بل ابرزت حرصه على التدقيق واعادة النظر بموضوعية في معظم المقالات والاستنتاجات السابقة . وقد افدت على وجه الخصوص من الدراسة التي قدمها الدكتور رمضان في رسالة الدكتوراه عن الايديولوجية العربية في مصر . اذ يبدو فيها واضحا الجهد الذي بذله وخصوصا انه لم يقتصر على الكتب القليلة التي صدرت في هذا الموضوع بل لجأ الى الصحف والمجلات باعتبارها المستودع الاساسي الذي يحوي الوثائق التاريخية الهامة لحركة الفكر المصري في تلك الفترة .

ومن أبرز الكتب التي استندت اليها في استكمال الجزء الخاص بالتيار العربي في مصر وتطور الاتجاه المصري نحو العربية.. كتاب الدكتور انيس صايغ عن الفكرة العربية في مصر ، الصادر في بيروت عام ١٩٥٧ . والحقيقة رغم أن هذه الدراسة في حاجة الى مراجعة وتنقيح في بعض أجزائها ولكنها تعد اكمل دراسة لهذا الجانب حتى الان . بالاضافة الى كتيب اخر هام للدكتور انيس صايغ عن تطور المفهوم القومي لدى العرب . وهو رغم صغر حجمه يقدم دراسة مركزة وجيدة في هذا الشأن .

ولقد افدت الى حد كبير من الاستنتاجات التي توصل اليها الدكتور محمد أنيس في الدراسة التي قدمها بالاشتراك مع الدكتور رجب حراز عن التطور السياسي للمجتمع المصري الحديث . الصادر بالقاهرة عام ١٩٧٢ ، وخاصة الجزء الذي يشير الى التناقض التاريخي بين اتجاه الحركة الوطنية المصرية واتجاه الحركات الوطنية في العالم العربي قبل الحرب العالمية الاولى وذلك كنتيجة للتناقض الذي كان قائما بين مصالح الاستعمارين التركي والبريطاني في المنطقة . وكذلك التحليل الهام الذي أورده عن القوى الاجتماعية والقوى السياسية المصرية في فترة ما بين الحربين .

ومن الكتب الهامة التي استعنت بها كتاب الاستاذ طارق البشري عن « الحركة السياسية في مصر من ١٩٤٥ — ١٩٥٢ » الصادر بالقاهرة ١٩٧٢ ، ويتضمن هذا الكتاب فصلا هاما عن القضية الفلسطينية والقوى السياسية في مصر ، أشار فيه بايجاز الى تطور الاهتمام المصري بالقضية . وكان لا بد من الاطلاع عليه ومناقشة بعض الآراء التي جاءت به مع عدم اغفال بعض النتائج التي توصل اليها .

ومن أبرز الدراسات التي افادت البحث وخصوصا الجزء الذي يتناول التيارات السياسية والفكرية في مصر فترة ما بين الحربين كتاب الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى عن تطور الفكر السياسي في مصر ، وقد صدر عن معهد الدراسات العربية — بالقاهرة سنة ١٩٧٣ ويتميز بتحيز واضح للتيار الاسلامي في مصر .

وهناك مجموعة الدراسات التي أصدرها الدكتور رفعت السعيد عن تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر وأبرزها « تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر ١٩٠٠ — ١٩٢٥ » الصادر عن دار الفارابي ببيروت في مايو ١٩٧٢ ، « اليسار المصري ١٩٢٥—١٩٥٠ » الصادر عن دار الطليعة ببيروت ١٩٧٣ ويعد هذان الكتابان اسهاما

مباشرا في تزويد المكتبة العربية بمسح تاريخي هام عن اليسار الماركسي وموقعه داخل الحركة الوطنية المصرية . ورغم قلة التقييمات والاستنتاجات التي يحويها هذان الكتابان فان أهميتهما تتركز في انهما أول محاولة تحوي جهدا تجميعيا عن اليسار المصري خلال الخمسين عاما الماضية . وقد أفاد البحث الى مدى كبير من كتاب الدكتور رفعت السعيد عن « اليسار المصري والقضية الفلسطينية » الصادر عن دار الفارابي ببيروت يناير سنة ١٩٧٥ ، وهو دراسة وثائقية عن موقف اليسار المصري من العروبة منذ العشرينات حتى الخمسينات . ويتناول بالتفصيل موقف فصائل اليسار الماركسي من القضية الفلسطينية . وتتميز هذه الدراسة بأنها أول دراسة من نوعها فضلا عن استنادها الى مجموعة هامة من الوثائق العربية والاجنبية .

أما الدراسات التي تناولت القضية الفلسطينية فهي تتميز بالتعدد والتنوع ولكن هناك ملاحظتين : ـ

الاولى : يلاحظ انعدام الدراسات التي تتناول النشاط الصهيوني في فلسطين وفي العالم العربي رغم وجود دراسات اكاديمية جادة تناولت الحركة الوطنية الفلسطينية والانتداب البريطاني في فترة ما بين الحربين مثل الدراسة التي أعدها الزميل عادل غنيم ونال بها درجة الماجستير سنة ١٩٧١ ، وتناول فيها الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ الى ١٩٣٦ والدراسة التي قدمها الاستاذ كامل خلة للحصول على الدكتوراه سنة ١٩٧٢ وتناولت الانتداب البريطاني في فلسطين من ١٩٢٢ الى ١٩٣٩ ـ ولكن فيما يتعلق بالنشاط الصهيوني لم أعثر سوى على دراسة الدكتورة خيرية قاسمية التي تناولت النشاط الصهيوني في الشرق العربي من ١٩٠٨ ـ ١٩١٨ ولم توجد دراسات مماثلة لاستكمال الفترات التاريخية اللاحقة لهذه الفترة ورغم وفرة الكتب والابحاث التي اصدرها مركز الابحاث الفلسطينية ببيروت

وتناول فيها معظم جوانب القضيـة في مختلف مراحلهـا التاريخية غير انه لم يصدر دراسة مكتملة تتناول النشاط الصهيوني في فلسطين والعالم العربي خلال فترة ما بين الحربين العالميتين . بل كان هذا الجانب يمثل فقط وبشكل دائم احد اجزاء الدراسات التي قدمت عن القضية وصدرت من المركز خلال السنوات العشر الاخيرة . ولم نخصص له دراسة كاملة رغم جدارته بذلك . وقد وجدت هذا الجانب بغزارة في المراجع الاجنبية التي كانت تركز اهتمامها على الحركة الصهيونية وجهودها في تعمير فلسطين . وقد تلونت معظم هذه المراجع بوجهة النظر الصهيونية والبريطانية .

الثانية : قلة الدراسات التي تتناول القضية الفلسطينية كجزء من حركة التحرير الوطني العربية . ولا توجد في هـذا الصدد سوى الدراسـة التي قام بها اميل تومـا الكاتب الاسرائيلي اليساري . ورغم الجهد الواضح الذي بذله الكاتب لربط الكفاح الفلسطيني بالكفاح الوطني المعاصر في المنطقة العربية فلا يمكننا أن نضعها في عداد الدراسات الاكاديمية المتكاملة .

ومن ابرز الكتب التي افادتني في تغطية الجانب الفلسطيني في البحث مجموعة كتب الدكتور عبد الوهاب كيالي عن تاريخ فلسطين الحديث ويتميز معظمها بالاعتماد على الوثائق والاوراق الرسمية البريطانية . وتكمن أهميتها بالنسبة للبحث في المقارنات التي كنت الجأ اليها للتأكد من صحة بعض البيانات التي ترد في الصحف .

المراجـع الاجنبيـة :

من ابرز المراجع الاجنبية التـي اسهمت في تزويد هـذه الدراسة ببعض المعلومات والاستنتاجات الهامة الدراسة التـي قدمها « مين ايرنست » بعنوان (فلسطين في مفترق الطرق) ، وقد صدرت عن دار جورج الن للنشر بلندن ١٩٣٧ بعنـوان :

Palestine at the Crossroads, by Main Earnest, London, George and Unwin Ltd.,1937.

(وتنحصر اهميتها في انها قدمت وجهة النظر البريطانية في الصراع الفلسطيني الصهيوني اثناء فترة الانتداب) .

وتعتبر الدراسة التي قدمتها مؤسسة اسكو التابعة لجامعة ييل الامريكية سنة ١٩٤٧ عن أطراف الصراع في فلسطين (العرب واليهود وبريطانيا) من أشمل الدراسات التي عالجت هذا الموضوع فقد تناولت موقع ودور كل طرف من أطراف الصراع على حدة ، كما عالجت الاحداث طبقا للسياق الزمني . ورغم طابع الموضوعية الذي تحاول أن تغلف به تحليلاتها فانه يغلب عليها التحيز لوجهة النظر الصهيونية ، وهي بعنوان :

Palestine, A Study of Jewish, Arab and British Policies. Esco Foundation for Palestine, New Haven, Yale Univ. Press 1947.

وتتميز الدراسة التي قدمها اسرائيل كوهين عن تاريخ الحركة الصهيونية بعنوان A short History of Zionism. بأهمية خاصة وذلك لعدة أسباب أولها أن المؤلف قد عاصر نشاط الحركة الصهيونية قرابة نصف قرن .. اذ شهد في عام ١٨٩٦ المؤتمر العام الذي تحدث فيه هرتزل في لندن عن الدولة اليهودية كما شهد مولد دولة اسرائيل سنة ١٩٤٨ . وكان طوال هذه الفترة على مقربة من الاحداث . اذ اشترك في كافة المؤتمرات الصهيونية العالمية منذ ١٩٠٣ . وكان عضوا بارزا في المنظمة الصهيونية العالمية .

ويقدم المؤلف في هذا الكتاب استعراضا شاملا للفكرة الصهيونية منذ بد اية نشأتها حتى تحقيق الحلم الصهيوني باقامة دولة اسرائيل .

ورغم محاولة الكاتب التظاهر بالتزام الموضوعية فانه يعكس بوضوح وجهة النظر الصهيونية .

وتتميز المؤلفات الفرنسية التي عالجت القضية الفلسطينية بتحيزها الواضح الى جانب العرب وربما يرجع ذلك الى أن معظم الكتاب الفرنسيين الذين اهتموا بالقضية الفلسطينية كانوا ينتمون الى تيارات فكرية يسارية . ومن أبرز الدراسات التي قمت بمراجعتها في هذا الشأن الدراسة التي قدمها مكسيم رودنسون عن (الرفض العربي لاسرائيل ٧٥ عاما من التاريخ) التي أصدرتها دار النشر الفرنسية لوسيل ١٩٦٨ . وقد قامت هيئة الاستعلامات بترجمتها ، وعنوانها :

Israel et le refus Arabe : 75 Ans d'histoire, par Maxime Rodinson Editions de Seuil, Paris 1968.

وتستند هذه الدراسة الى بعض الوثائق الهامة كما تحوى تحليلات عميقة عن الصراع بين القومية العربية وما يسمى بالقومية اليهودية في فلسطين .

وهناك العدد الخاص الذي أصدرته المجلة الجديدة بباريس في ابريل ١٩٧٣ عن « الفلسطينيين بدون فلسطين » تناولت فيه تاريخ الثورات الفلسطينية منذ العشرينات حتى قيام دولة اسرائيل ١٩٤٨ ..

La Revue Nouvelle. Numero special, Avril 1973 — 29 annee Tome LVII N — 4 . Palestiniens sans Palestine.

ومن الكتب الهامة التي تناولت تاريخ الشعب اليهودي في العصر الحديث

The Course of Modern Jewish History by Howard Morely Sachar.

وقد عالج النشاط الصهيوني في فلسطين أثناء فترة الانتداب البريطاني . ويتميز بالتحليل الذي قدمه عن دور النازية في تأليب الشعور ضد اليهود .

وهناك دراسة صدرت في سنة ١٩٧٠ باللغة العبرية عن الحركة الوطنية الفلسطينية قدمها يهوشع يورات البروفيسير بالجامعة

العبرية بالقدس .. وقد أفادت في تزويدي بوجهة النظر الصهيونية في أحداث البراق سنة ١٩٢٩ . هذا وقد استعنت بجهود خبراء مركز الابحاث الفلسطينية ببيروت في ترجمة هذا الكتاب . كذلك هناك دراسة هامة صدرت في اسرائيل باللغة العبرية قدمها ابراهام كوهين في يونيو ١٩٦٤, بعنوان اسرائيل والعالم العربي ، والمؤلف من المهاجرين الاوائل الذين وفدوا الى فلسطين ١٩٢٩ .

وترجع اهمية الدراسة الى تركيزها على محاولات التوفيق بين العرب واليهود منذ صدور وعد بلفور سنة ١٩١٧ ، وتشير في هذا الصدد الى العلاقات التي نشأت بين الزعماء الصهيونيين وزعماء الحركة العربية ومؤتمر القوميين العرب في باريس ١٩١٣ واجتماعات وايزمان مع فيصل وصدور اتفاقهما في ١٩١٩ ، ثم محاولة لقاء سعد زغلول سنة ١٩٢٤ . ويهدف المؤلف من ذكر هذه اللقاءات الى تأكيد فكرته التي تدور حول امكانية الاتفاق بين العرب واليهود بل وموافقة بعض القيادات العربية فعلا على مشروع الوطن القومي اليهودي .

وهناك ثلاثة مراجع هامة افادت البحث في الجزء الخاص بالدراسة الصحفية وابرزها الدراسة التي قدمها البروفيسور توم جونسون فادن بجامعة اوهايو بالولايات المتحدة سنة ١٩٥٣ عن الصحافة اليومية في العالم العربي . وقد اشار فيها الى اهم ملامح الصحافة اليومية في مصر .

Daily Journalism in the Arab states, by Fadden Tom Johnston. Columbus, Ohio state univ. — press 1973.

والدراسة الثانية تتناول صحافة النخبة من خلال التركيز على أبرز الصحف اليومية في العالم وقدمها جون كالون ميريل وصدرت في نيويورك ١٩٦٨ . وقد أشار فيها الى الاهرام والسياسة اليومية والجريدة باعتبارها تمثل صحف النخبة المثقفة في مصر .

The Elite press - Great Newspapers of the World, by Merril John Calhoun, New York Pitman pub. Co, 1968.

اما الدراسة الثالثة فهي تقدم مسحا للصحافة العالمية وقدمها أيضا جون ميريل بجامعة لويزيانا ١٩٧٠ . وتتناول عرضا موجزا لتاريخ الصحافة المصرية خلال الخمسين عاما الماضية :

The Foreign press - A survey of the world's Journalism - by John Merril, Louisiana state univ. press 1970.

واخيرا لقد كان هذا البحث محاولة لاعطاء صورة واقعية لاتجاهات الرأي العام المصري والقوى السياسية والسلطة الحاكمة والتيارات الفكرية التي سادت المجتمع المصري خلال العشرينات والثلاثينيات والاربعينيات نحو القضيـة الفلسطينية من خـلال الصحف . وان كـان ثمة اضـافة يسهم بها هذا البحث في مجال العلاقات المصرية الفلسطينية فهي أنه قد صحـح بعض المقولات المتداولة الخاطئة عن انعدام وجود اهتمـام مصري بالقضيـة الفلسطينية في فترة ما بين الحربين العالميتين ، أي ما بين صدور وعد بلفور ١٩١٧ وقيام الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦ . فقد اثبت البحث وجود اهتمام مصري متعدد ومتنوع الاتجاهات ازاء القضية الفلسطينية كما اثبت تحسس الرأي العام المصري المبكر للخطر الصهيوني . واكد حقيقة اخرى قد لا تكون جديدة تماما وهي ان مصر كانت احد المراكز الرئيسية للدعاية الصهيونية خلال فترة ما بين الحربين وأثناء الحرب العالمية الثانية ، وأنها كانت ــ حتى قبل نشوب النزاع المسلح في ١٩٤٨ ، ساحة رئيسية للمعركة بين العرب والصهيونية .

عواطف عبد الرحمن

القاهرة ــ اغسطس ١٩٧٩

الباب الأول

الواقع المصري وقضية فلسطين

١

التيارات الفكريّة والسياسيّة السّائدة في مصر

فترة ما بين الحـربين

التيـــار الاســـلامي :

برغم ان مصر لم تكن موطن ميلاد اي من الاديـان العالمية الكبرى الا ان اثرها في معظم تلك الاديان كان بارزا في تقبلها ونشرها وتكييفها حسب تراث مصر ، ولقد تمسكت مصر بالاسلام وعاشت حياة اسلامية في تقاليدها وعاداتها ربما اكثر من اي بلد اسلامي اخر منذ اقبل الاسلام على مصر واصبح دينها الرسمي والشعبي ، وظل للاسلام نفوذه حتى في حالات انحلال مصر سياسيا وخضوعها للاجانب ، كما ظل الازهر وعلماء الدين الموجه الفكري والروحي للشعب حتى في اشد حالات التدهور الثقافي التي مرت بها مصر .. وخلاصة القول ان المناخ الذي نشأ فيه زعماء مصر وقادتها من المفكرين والسياسيين كان مناخا اسلاميا ، والازهر هو المثال البارز على قوة المنهل الاسلامي في الفكر المصري . ولقد احتكر الازهر المعرفة والتوجيه الفكري والسياسي للشعب المصري ، وسد الفراغ الذي احدثه غياب الزعامة السياسية الحقيقية في اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر حتى مجيء محمد علي للحكم ، فهو الذي قاد الثورات الشعبية ضد الفرنسيين ثم ضد المماليك والعثمانيين . واستمر نفوذ الازهر في ازدياد الى ما بعد الاحتلال البريطاني لمصر . ومع ان التيار الاسلامي دعم الحركة الوطنية ضد الانجليز وكان الباعث الرئيسي للجهاد المقدس فان هذا الجهاد كان في جوهره اسلاميا ولم يكن قوميا ، ولم تكن الحركة الوطنية تقبل بنظام قومي حديث يفصل الدين عن الدولة (١) ، ولذلك لم يكن من المستغرب ان يتجـه اغلبية القـادة المفكرين

السياسيين في مصر في ذلك الحين اتجاها اسلاميا تبلور في فكـرة الجامعة الاسلامية التي حـاول السلطان عبد الحميـد الثانـي (١٨٧٦ ـ ١٩٠٩) استخدامها كأداة تحقق له التفاف الشعوب الاسلامية حول الخلافة العثمانية ، وتؤكد له سيطرته على الولايات العربية . ولكن الحقيقة ان واضع الحجر الاساسي في فكرة الجامعة الاسلامية هو جمال الدين الافغاني الذي لم تعقه جنسيته غـير المصرية من التأثير في الفكر المصري وانشاء تيار اسلامي ذى محتوى تحرري ومضمون معاد للاستعمار (٢) ، وقد آمن به عديد من المفكرين ودعاة الاصلاح الديني في القرن التاسع عشر وابرزهم الشيخ الامام محمد عبده ، وقد ظهرت هذه الدعوة في بدايتها على منبر صحيفة العروة الوثقى التي اسسها جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده في باريس سنة ١٨٨٤ ، وراى الافغاني أن المائتي مليون مسلم في العالم من المحيط الاطلسي الى المحيط الهادي يمثلون امة واحدة ، وآمن بوجوب جمع هؤلاء كلهم في رابطـة سياسية واحدة لا تخلصهم من الاطماع الاستعمارية فحسب بل تسهل أيضا تطوير المفاهيم الاسلامية وتخلق من المجتمعات القديمة البالية مجتمعا واحدا قويا وناهضا في مختلف حقول الحيـاة ، وهذا يجمع بين تقوية دعائم الخلافة وتدعيم الدولة العثمانية وبين محاربة الاستعمار الاوروبي الذي يستهدف القضاء على الاسلام والسيطرة على الشعوب الاسلامية (٣) .

وقد تطورت الرؤية الفكرية لجمال الدين الافغاني خـلال مرحلتين رئيسيتين ..

١ ـ المرحـلة الاولـى :

وتمثلها مقالات مجلة العروة الوثقى التي صدرت في باريس سنة ١٨٨٤ ، وكان جمال الدين الافغاني يعول اهمية كبيرة على العامل الديني ويهمل تماما العامل القومي ، ولذلك كان يرى أن الدولة العثمانية هي القوة الوحيدة المؤهلة للتصدي للاستعـمار

الاوروبي المسيحي وحماية الإسلام والمسلمين متغافلا عن الحركات القومية التي كانت وحدها في ذلك الوقت مهيأة لصد الغـزو الاوروبي ، فتراه يكتب في العدد التاسع من المجلة تحت عنوان الجنسية والديانة الاسلامية فيقول ... « ان المتدين بالديـن الاسلامي متى رسخ فيه اعتقاده يلهو عن جنسه وشعبه ويلتفت عن الرابطة الخاصة بالرابطة العامة وهي علاقة المعتقد، لهذا نرى العربي لا ينفر من سلطة التركي والفارسي يقبل سيادة العربي والهندي يذعن لرياسة الافغاني ولا اشمئزاز عند أحد منهم ولا انقباض (٤) ».
كما كان الافغاني يكرر دائماً في مقالاته المقولة الخاصة بأن المسلمين رابطتهم العامة أقوى من روابط الجنسية واللغة وأن لا جنسـية للمسلمين الا في دينهم ، وكان يخلط في هذه المرحلة بين دعوته الى الجامعة الاسلامية كتضامن مشروع للشـعوب الاسلامية ضـد الاستعمار الاوروبي وكوسيلة لاعادة الشرق الى مسيرته الاولى من الرقي وبين الخصائص القومية ، فقد كان يرى أنه لن تقوم للشرق قائمة الا اذا كان الاصلاح يعتمد على اساس ديني . وهذا الاصلاح لن يؤتي ثمرته الا اذا صحبه شعور بقوة التربية القائمة على أساس الدين وانه لا جنسـية لـلمسلمين الا في دينهم .

١ ـ المرحلة الثـانية :

ويظهر فيها اهتمام الافغاني بالعامل القومي أكثر من ذي قبل وان كان يجعل الغلبة للعامل الديني فتراه يتحدث عن اللغة كسـمة قومية ، ففي رسالة له باللغة الفارسية بعنوان مقالات جمـالية يقول :

« لا سعادة إلا بالجنسية ولا جنسية الا باللغة ولا لغة ما لم تكن حاوية لكل ما تحتاج اليه طبقات ارباب الصناعات والخطط في الافادة والاستفادة ، وان الروابط التي تربط جماعات كبيرة من الناس اثنتان ، وحدة اللغة ووحدة الدين . ووحدة اللغة هي

الاساس الذي تقوم عليه الجنسية واللغة اشد ثباتا واكثر دوما من الدين ، ولذلك نستطيع أن نقول ان تأثير رابطة اللغة في هذه الدنيا أقوى من تأثير رابطة الدين (٥) » .

وبرغم اهمية هذا التطور الذي نلحظه في فكر الافغاني ، فقد ظل ايمانه بالجامعة الاسلامية هو الاساس ، وقد حجب ذلك عن عينيه حقيقة الاوضاع النضالية لدى الحركات القومية العربية المناهضة للحكم التركي ، وسعيها للاستقلال عن العثمانيين شركائهم في الملة واعدائهم في القومية . وتنحصر اهمية الدور الذي قام به الافغاني في المجتمع المصري في انه خلق تيارا فكريا آمن به عديد من قادة الفكر والسياسيين المصريين . وقد حجبت الدعوة الاسلامية التي كان الافغاني مصدرها الاول في مصر القومية العربية فترة من الوقت واخذت مكانها . لقد قدمت صحيفة العروة الوثقى الاساس النظري والفكري الذي قام عليه الحزب الوطني بزعامة مصطفى كامل .. ويتلخص في ثلاث نقاط : اولا : ان المسألة المصرية مسألة دولية فيجب الاستعانة باوروبا لاكراه انجلترا على الجلاء عن مصر ، ثانيا : ضرورة التشبث بالدولة العثمانية باعتبارها الدولة صاحبة السيادة الشرعية على مصر ، ثالثا : الدعوة للجامعة الاسلامية ولكن على أساس التفاف الشعوب الاسلامية حول الدولة العثمانية ، ولقد كان طبيعيا أن يؤيد مصطفى كامل حركة الجامعة الاسلامية تحت لواء السلطان العثماني ، وذلك لانه كان يعتمد في مطالبته بالجلاء وتمتع مصر باستقلالها الذاتي على ما لديها من حقوق دولية في مصر تكفلها معاهدات واجبة الاحترام ولهذا كان يدعو الشعوب الاسلامية الى الالتفاف حول الدولة العثمانية لشد ازرها (٦) .

ولكن قيام الحرب العالمية الاولى وما صاحبها من تغييرات في الخريطة السياسية العالمية ابرزها نجاح ثورة اكتوبر الاشتراكية في روسيا سنة ١٩١٧ وقيام الاتحاد السوفييتي ، وانهيار تركيا في الحرب ، بالاضافة الى الظروف المحلية داخل المجتمع المصري التي اتسمت بتصاعد الصراع الوطني ضد الاحتلال الذي بلغ ذروته في

ثورة مصر القومية سنة ١٩١٩ ، كل ذلك ادى الى انصهار جميع القوى الوطنية في تيار ثوري واحد ، واختفت مؤقتا جميع الخلافات الفكرية والسياسية وتدفقت جميع التيارات في تيار وطني واحد يمثل صوت الامة بأكملها : الاستقلال التام أو الموت الزؤام دون الارتباط بأية دولة سواء عربية أو اسلامية ، وقد تفتت وحدة البلاد السياسية بعد هبوط المد الثوري الذي اشاعته ثورة سنة ١٩١٩ واخذت تظهر فيها تكتلات سياسية هي امتداد لما كان قبل ١٩١٤ ، فدولة الخلافة كانت قد انقلبت الى دولة عصرية مستغربة ، والخلافة نفسها أصيبت في الصميم ، وفكرة الجامعة الاسلامية أصيبت بانكسار واضح بعد تحالف العرب مع الغرب المسيحي ضد دولة الخلافة أثناء الحرب (٧) .

كما أن معظم القوى السياسية الممثلة في الحزب الوطني قد صفيت وتم تشتيتها على يد اللورد كيتشنر، بالاضافة الى التغييرات الدولية في الايديولوجية التي ترتبت على نشوب الحرب العظمى ، وابرزها تحالف فرنسا وانجلترا وانهيار الدولة العثمانية مما هدم ركنا أساسيا من الاركان الايديولوجية للحزب الوطني فضلا عن تبني بعض قادة الحزب للخط الليبرالي القومي ثم ما اعقب ذلك من سيادة التيار الليبرالي ، ذلك التيار الداعي الى الاخذ بمفاهيم العصر واقتباس أسباب التفوق الاوروبي . وكان من الطبيعي أن يتزعم هذا التيار نخبة من اولئك الشبان الذين تلقوا دروسهم في سلك التعليم العلماني واستكملوها في انجلترا وفرنسا ، وقد كان من ابرز دعاة هذا الاتجاه احمد لطفي السيد ، والواضح أن هذا التيار وان كان قد بدأ على استحياء منذ مطلع القرن التاسع عشر ، ثم نما في ظل الاحتلال البريطاني الا انه قد اتسع نطاقه خلال فترة ما بين الحربين (٨) ، وقد شهدت هذه الفترة صراعا حادا بين السلفيين والليبراليين شمل مختلف جوانب الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية ، ففي غمرة انتصار الليبراليين في أوائل العشرينات أرتفعت الاصوات منادية بالمساواة المطلقة بين الرجل

والمرأة والغاء المحاكم الشرعية وتعديل قوانين الاحوال الشخصية . وناقش البرلمان المصري في دورته لعام ١٩٢٦ وضع الوقف الاهلي الذي ارتفعت الاصوات تطالب بالغائه . وقد نظر السلفيون الى كل هذه الاجراءات باعتبارها بدعا جاءت في ركاب الهجوم على الافكار والنظم التقليدية ، خاصة وانها جرت في الوقت الذي الغيت فيه الخلافة في تركيا سنة ١٩٢٤ مما جعلهم على استعداد لشن هجوم على الافكار والنظم المستوردة من الغرب ، وانفجرت الازمة بعد نشر كتاب « الاسلام واصول الحكم » لعلي عبد الرزاق ، ثم كتاب طه حسين في الشعر الجاهلي ، وقد ربط السلفيون وعلى رأسهم رجال الازهر بين هذين الكتابين والمؤثرات الغربية التي اخذت تتغلغل في المجتمع المصري منذ القرن التاسع عشر ، ولهذا نعتت هيئة كبار العلماء كتاب الاسلام واصول الحكم بأنه مناقض للشريعة مما ترتب عليه فصل علي عبد الرزاق من وظيفته في القضاء الشرعي ، كما اتهم طه حسين بالشك في أمور تتعلق بالدين الاسلامي ، وانكر ما اتهم به ، ومع ذلك فقد ظلت الصحف الحزبية تهاجمه هجوما عنيفا كاد يعصف بالجامعة المصرية في بدء عصرها (٩).

وبرغم أن السلفيين كانوا قد رحبوا بادخال النظام البرلماني المقتبس عن الغرب دون أن يتنبأوا بأثر النظام الجديد على الشريعة ذاتها فانهم ما لبثوا أن احسوا ان سلطتها وقد انتقلت من يد الله الى مجلس علماني ، كما وجدوا افكار دعاة الاصلاح وقد تحولت من الفقهاء الى المشرعين ، وخلصوا من هذا كله الى اعتقادهم باستفحال الخطر الذي يتهدد المعتقدات والنظم التقليدية وذلك بعد ان أوضحت النتائج المترتبة على المفاهيم الحديثة انها تتناقض مع فكر التيار السلفي (١٠) . وقد امتد السلفيون من منابر المساجد ومراكز التعليم الديني ليبسطوا آراءهم الى قاعات البرلمان وأعمدة الصحف والمجلات ، وقد قادت هذه الحملة مدرسة المنار بزعامة رشيد رضا خليفة جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده وهو الذي تولى تفسير آرائها كما تزعم قيادة رد الفعل الاسلامي ضد

حرفية الدين ، وقد التقى مع الافغاني ومحمد عبده في الدعوة الى تجديد حيوية المسلمين والهامهم بالاحساس بالكرامة والتمشي مع روح العصر والتضامن والحفاظ على القيم الدينية ، ولا شك أن هؤلاء المفكرين الثلاثة أعمدة التيار الاسلامي في مصر يلتقون في الاتجاه الخاص بضرورة أن يشكل الاسلام أساسا قوميا يمكنه التصدي للاتجاهات العلمانية التي كانت تتضمنها النزعات القومية الحديثة (١١) ، وتمثل مدرسة المنار الجانب الفكري والفلسفي في التيار الاسلامي وتعد امتدادا لمدرسة الافغاني والشيخ محمد عبده مع بعض الاختلافات . وكان رشيد رضا يهدف من اصدار المنار سنة ١٨٩٨ الى مواصلة السير على نهج العروة الوثقى « الا فيما يتعلق بخطتها السياسية التي أصبحت غير ملائمة للظروف السياسية آنذاك » والعمل لنفس الغرض الذي كانت تعمل له صحيفة العروة الوثقى وهو نشر الاصلاحات الاجتماعية والدينية والاقتصادية ، وكان لا بد أن يصطدم المنار بدعاة الفكر الليبرالي فقد كان المنار يؤمن فقط بالاخوة الاسلامية التي تتجاوز حدود الاوطان (١٢) .

وكان رشيد رضا يدعو الى توحيد المسلمين والدفاع عن الاسلام والتصدي لاعدائه كما كان يرى أن تحقيق رسالته على احسن وجه يتطلب عدم التمسك بالعقلية الغربية أو تقليد الغرب تقليدا أعمى . وقد حاول أن يرد على جريدة السياسة لسان حال الاحرار الدستوريين « دعاة الليبرالية القومية » التي كانت تدعو الى وطنية لا يدخل فيها الدين ولا اللغة ، ، فأشار الى أنه من دواعي الحماقة ومحاولة القضاء على أمة بتدمير كل ما يشكل أصالتها ومعتقداتها وغرائزها وروحها المعنوية وادبها وعاداتها ، وان من الخطورة بمكان محاولة احلال العاطفة القومية القائمة على الجنس محل التضامن الاسلامي . فهذه المحاولة في رايه ليست فقط مصدرا لفرقة المسلمين بل هي اقرب الى المروق عن الدين . فالشريعة التي هي اثمن القوانين بامكانها ان تتمشى في كل الصور مع ظروف

الحياة المتغيرة (١٣) ، ومن هذا المنطلق دعا رشيد رضا الى فكرته التي نقلها عنه فيما بعد حسن البنا وهي تأليف جمعية اسلامية تمتد فروعها في جميع أقطار الاسلام وتقوم على مبدأ أساسي هو الاعتقاد بأن الاخوة في الاسلام تمحو الفوارق الجنسية والوطنية وتؤلف بين المسلمين باعتبارهم أمة واحدة ، وتكون غاية هذه الجمعية الجمع بين المسلمين في الخضوع لناموس واحد في العقائد والتعاليم الادبية والاحكام الشرعية والمدنية ، مع الدعوة لان يكون للكل لغة واحدة هي اللغة العربية ، والقضاء على البدع والتعاليم الفاسدة ، والعمل على نشر الاسلام ، وكان رشيد رضا ينصح بابتعاد الجمعيات الدينية والتعليمية عن الاشتغال بالاعمال السياسية لانه رغم عدم انفصال الدين عن الدولة في الاسلام الا انه يجب على جميع اولئك الذين يشتغلون بالدفاع عن الاسلام أو شئون التعليم والوعظ أن يبتعدوا عن السياسة ويتجنبوا الاشتغال بها (١٤) .

ويرى د. احمد طربين ان مدرسة المنار الاسلامية الاصلاحية بزعامة رشيد رضا وما نشرته من مقالات كان لها اثر في تطور التفكير الديني المصري في فترة ما بين الحربين كما قامت بدور رئيسي في خدمة التيار العربي في مصر ، اذ لم يتردد رشيد رضا في تحميل الشعوب غير العربية مسئولية انحطاط العالم الاسلامي ، وقد صرح بأن الدين الاسلامي هو دين عربي في مبدئه وأساسه ولم يكن مبتدعا في ذلك لان هذه الفكرة كان قد أوردها الكواكبي (١٨٤٩ — ١٩٠٢) .. في كتابه أم القرى ، كما أن الشيخ محمد عبده كان يشير اليها أحيانا حتى اذا أتى رشيد رضا عمقها واغنى مفاهيمها ، وخاصة بعد أن قام الشريف حسين بثورته على الترك حين يئس من اصلاح رجالاتهم ويئس من بناء الدولة العثمانية . ومشى المفكرون الاسلاميون في ركاب مدرسة المنار وتساءلوا معها « الم تكن الوحدة العربية فاتحة الوحدة الاسلامية في سالف الازمان ؟ أو ليس من قصر النظر أن لا نعمل للوحدة العربية ونبقى

فزعين من دعوتها أو جامدين ازاءها ؟ لئن اختلفت الحركة الاسلامية مع الحركة العربية في الاهداف البعيدة فهما يلتقيان في الغايات العربية لان كلتيهما تضعان مسألة تحرير العرب في مقدمة برامجها . او ليس من الخير أن يكون التجمع العربي تجمعا وقتيا للقوى الاسلامية يستهدف تجمعا أوسع منه (١٤) م » .

التيار الاسلامي في الصحافة المصرية :

لقد استمرت معظم الصحف المصرية طوال القرن الماضي تردد افكار جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ، وتخاطب وجدان العالم الاسلامي حتى جذبت انظار المسلمين الى مصر ، وقد تبنى السلطان عبد الحميد (١٨٧٦ ــ ١٩٠٨) الدعوة الى الجامعة الاسلامية حرصا على استمرار السيادة التركية على الاراضي العربية ، وتوثيقا لعلاقة العرب بالاتراك ، وازالة للنفور الذي بدا على العرب بعد صدمتهم في حركة الاصلاح على الطريقة التركية . ومن أقوال السلطان عبد الحميد في هذا الشأن : « ان أوروبا تحاربنا حربا دينية في قالب سياسي » ، وهو يهدف بهذا القول الى استنفار المسلمين في الشرقين الادنى والاقصى لينضموا تحت لواء الخلافة الاسلامية في مواجهة الاطماع الاوروبية (١٥) . وقد وجدت فكرة الجامعة الاسلامية ترحيبا حارا من الحزب الوطني ممثلا في زعيمه مصطفى كامل . وفي هذا يقول (اننا نحب الدولة العثمانية لاننا قبل كل شيء نريد أن نرى أمة شرقية تصدر منها الانوار الى كل امة شرقية ولاننا بصفتنا مسلمين نرى انها تحمي المسلمين في الشرق وتحفظ البلاد الطاهرة المقدسة في مملكة الخلافة الاسلامية وهي في الحقيقة مملكتنا قبلتنا التي اليها نلجأ ونحوها نتجه (١٦)) وقد كان تعلق المصريين بالخلافة الاسلامية أمرا ملحوظا حتى من الانجليز انفسهم ، فعند اعلانهم الحماية على مصر سنة ١٩١٤ جاء في بلاغ سلطة الاحتلال الى السلطان حسين ما يوحي الينا بتقديرهم لخطورة ما اقدموا عليه . يقول ممثل الاحتلال « ولا أرى لزوما لان أؤكد

لسموكم بأن تحرير حكومتنا لمصر من بقية اولئك الذين اغتصبوا السلطة السياسية في الاستانة لم يكن ناتجا من اي عداء للخلافة فان تاريخ مصر السابق يدل في الواقع على ان اخلاص المسلمين المصريين للخلافة لا علاقة له البتة بالروابط السياسية بين مصر والاستانة » (١٧) .

بعد ذلك جاء مصطفى كمال اتاتورك والغى الخلافة وكان لهذا الحدث آثاره الاليمة لدى كثير من انصار التيار العثماني في مصر ، ومنذ الغيت الخلافة نشط الازهر ، وبرز اسم مصر كمركز من أهم مراكز النشاط الاسلامي لمعالجة مشكلة الخلافة ، وكثرت الدعوات لعقد مؤتمر اسلامي حين راجت الشائعات بترشيح الملك حسين ابن علي للخلافة ، وبرز حينئذ اسم الملك فؤاد مرشحا لها تقديرا لمكانة مصر في العالم الاسلامي ، ولانها تضم الازهر اعرق الجامعات الاسلامية (١٨) ، بيد أن هذا المؤتمر الذي أجل مرارا ولم يعقد سوى مرة واحدة في ١٣ مايو ١٩٢٦ لم يسفر عن شيء ووضعت العراقيل في سبيله واحبط مندوبو الدول الاسلامية المساعي المبذولة لترشيح الملك فؤاد واختلف علماء الازهر فيما بينهم ، وشاركت الصحافة في المعركة وكتب علي عبد الرزاق في السياسة الاسبوعية يقول « كانت مسألة الخلافة أولا دفاعا عن مقام معين يراد الاحتفاظ به كأثر يحتاج الى العناية ، وكمريض يحتاج الى الحماية ، ولكن ذلك الاثر قد بطل ، وانتهى امر ذلك الرجل المريض . واتجه الرأي الى العمل على ايجاد مقام جديد يحل محل الاخر الذاهب » .. ثم يقول : « والغريب أن نلاحظ أن مسألة الخلافة لم تثر شيئا من الاهتمام في مملكة من الممالك الاسلامية ذات الاستقلال الحقيقي ، وانما يهتم بالخلافة تلك الامم التي لا تملك أمر نفسها ولكن يحركها الاجنبي ويقلبها ذات اليمين وذات الشمال (١٩) » . ولكن برغم ذلك ظل التفكير في الخلافة الاسلامية يساور الناس كلما نزلت ضائقة بالعالم الاسلامي أو كلما برز طموح الملك فؤاد وخليفته فاروق في الاستئثار بمنصب الخليفة .

تيار البعث الاسلامي في الصحف الدينية :

سيدهش مؤرخ الصحافة من كثرة المجلات الاسلامية التي صدرت في مصر بين الحربين وأبرزها مجلة المنار التي أصدرها محمد رشيد رضا بوحي من الشيخ محمد عبده ، وافاد من توجيهاته وخبرته ، وقد صدر العدد الاول عن المنار الاسبوعية في شوال ١٣١٥ ثم تحولت الى مجلة شهرية في العام الثاني واستمرت في الصدور الى ان مات صاحبها في اغسطس ١٩٣٥ بعد أن لاحقته الديون والمتاعب . وقد صدرت المنار وفي مقدمة عددها الاول الغرض الذي تسعى اليه وهو نشر الاصلاحات الاجتماعية والدينية والاقتصادية واقامة الحجة على أن الاسلام باعتباره نظاما دينيا لا يتناقض مع الظروف الحاضرة . وقد نوه الشيخ رشيد في هذه المقدمة بأنه انشأ المنار مواصلة للسير على نهج العروة الوثقى وبخاصة في سعيها للقضاء على الخرافات والاعتقادات الدخيلة في الاسلام.. ودفع الامم الاسلامية الى مباراة الامم الاخرى في جميع الامور الضرورية لتقدم الاسلام (٢٠)، وعلى شاكلة المنار صدرت عدة صحف اسلامية ابرزها الفتح لمحب الدين الخطيب التي صدرت سنة ١٩٢٦ ، وحضارة الاسلام سنة ١٩٢٥ ، لعلي محمد شراب، والهداية الاسلامية سنة ١٩٢٨ لمحمد الخضر حسين ، ونور الاسلام ١٩٢٩ والازهر ـ الجهاد الاسلامي ـ لصالح محمد صالح سنة ١٩٢٩ ، والجامعة الاسلامية سنة ١٩٣٢ ، لعلي عبد الرحمن الخميس ، وهدى الاسلام سنة ١٩٣٤ ، لمحمد احمد الصيرفي . وفي محيط هذه المجلات وغيرها نشط تيار البعث الاسلامي والدعوة له في مصر وخارجها ، وتنوير مختلف قضاياه لقراء العربية ، وقد وضعت مجلة الفتح برنامجا اسلاميا في مقدمة عددها الاول يهدف الى احياء ذكرى المدنية الاسلامية ، ومقاومة الالحاد ودعوى التجدد الكاذب ، وتأكيد العلاقة الوثيقة بين العلم والدين الاسلامي . وقد مضى هذا التيار في المجلات الاسلامية تغذيه الاحداث النازلة بالعرب والمسلمين ، مثل جرائم فرنسا في شمال افريقيا ومحاولتها

القضاء على الدين الاسلامي واللغة العربية في المغرب العربي ، وجرائم ايطاليا في ليبيا وتنكيلها بزعماء المسلمين ، وحادث البراق في فلسطين ١٩٢٩ ، ثم حملات التبشير المنظمة التي نشطت وقتذاك . وحينما توالت اعتداءات فرنسا على المغرب العربي انفجرت الاقلام في مصر تؤيد المسلمين ، وحملت « الفتح » على الصحف التي تكيد للاسلام كالهلال والاهرام التي كانت تعتبرها الفتح لسان حال الفرنسيين في مصر وترى أنها « شر وسيط بين الاسلام وفرنسا (٢١) » ، وذلك بسبب موقف الاهرام من أحداث المغرب العربي ، اذ كانت تتهم من يعارض الفرنسيين في المغرب العربي بأنه يريد أن يشغل مصر عن قضيتها .

وتطور تيار البعث الاسلامي وتجاوز المجلات الدينية الى سواها من المجلات مثل مجلة البيان التي كتب على صفحاتها أحمد زكي « صفحات من تاريخ الاندلس » وسار البرقوقي على منهاجه (٢٢) . وقد اتجهت البيان الى نقل ما كتبه المتصوفون عن الاسلام ، وعند صدور مجلة الرسالة عام ١٩٣٣ حرصت على اصدار عدد ممتاز احتفالا بذكرى الهجرة المحمدية كل عام . وقد إقتدت بالرسالة مجلات أخرى مثل مجلة شهرزاد القصصية التي كانت تصدر اعدادا ممتازة في ذكرى مولد الرسول واعدة أن تكون هذه الاعداد مصرية عربية خالية من القصص المترجم . وبقدر ما كان ذلك تعزيزاً لتيار البعث الاسلامي ، فانه كان مسايرة لجماهير القراء في اهتماماتها وترويجا للمجلة .

التيار المصري (تيار القومية المصرية) :

من أبرز سمات التيار المصري (تيار القومية المصرية) انه لم يوضع في صيغة نهائية ، ولم يبرز في الفكر المصري كنظرية محددة شأن النظريات القومية العربية أو السورية أو اللبنانية . فقد ظل اتجاها عاما ينظر اليه كل واحد من المؤمنين به من زاويته الخاصة ، وحسب مفاهيمه ، دون أن تتبلور نظرته مع نظرات زملائه لتكون

قاعدة فكرية شاملة . والواقع أن مصر التي تربط بين القـارات الثلاث ، فتصل بين اثنتين منها برا ، وبين الثالثة بحرا ، قد ارتبط تفكيرها القومي بالقارات الثلاث أيضا فأخذت عن آسيا القرآن وما يفرضه على المسلمين من اخوة تفوق الاخوة القومية ، واخذت عن اوروبا القومية بمعناها الاقليمي الضيق (نظرية حوض البحـر المتوسط) . اما عن افريقيا فقد اخذت مصر تراثها الفرعوني الغابر في مجال التاريخ وتراثها النيلي المعاصر في مجال الجغرافيا (٢٣) .

واوروبا هي المنهل الثاني بعد الاسلام للفكر المصري في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين . وقد استقت مصر من هذا المنهل اما عن طريق بعثات طلابها الى اوروبا او عن طريق الاوروبيين الذين اقاموا في مصر عن طريق حركة الترجمة التي نقلت الفكر الاوروبي الى اللغة العربية . وليس صحيحا ذلك القول الشائع ان أول من دعا هذه الدعوة « ان مصر جزء من البحر المتوسط » هو الخديوي اسماعيل يو م ان قال كلمته المعروفة . . «ان مصر قطعة من اوروبا » . حقيقة ان اسماعيل يوم ان قال هذه الكلمة انما كان يعيش في اطار من الفكر والنفوذ الفرنسي الذي اخذ يتزايد في مصر منذ حكم سعيد ومنذ أن حصل فرديناند ديلسبس على امتياز حفر قناة السويس . ولكن ظهور هذه النظرية قد سبق هذه الفترة التاريخية بزمن طويل . فلقد كان مفكرو البورجوازية الفرنسية هم اول من جعل من هذه الفكرة نظرية وحاولوا أن يضعوها عن طريق جيش الحملة الفرنسية موضع التطبيق . وتتلخص هـذه النظرية في أن فرنسا ومعها بلاد الشمال الافريقي ومصر ودول الساحل الشرقي للبحر المتوسط انما تعيش جميعها حول البحر المتوسط ، وانه لو صنعت رابطة ما لهذه الاقطار فمن الممكن ان تتقارب وان يتحول هذا التقارب الى سيطرة فرنسية على هذه الاقطار وتبعية من جانب هذه الاقطار لفرنسا . أي انها في الاساس تهدف الى خلق رابطة فكرية بين شعوب البحر المتوسط وفرنسا توطئة وتبريرا للسيطرة السياسية التي تتطلع فرنسا الى فرضها

على هذه الشعوب . وقد استخدم الفرنسيون هذه النظرية كواجهة حضارية ودافعوا عنها كثيرا بالفكر والسلاح . وقد ارادوا من ورائها اثبات ان شمال افريقيا والجزائر انما هي قطعة من فرنسا وان سكانها مسلمون فرنسيون وانها الامتداد الفرنسي في افريقيا . وطبقا لهذه النظرية كان الفرنسيون يرون كما قال أحد مفكريهم . . « ان السوريين ليسوا بعرب وان كانت لغتهم عربية واللبنانيون يختلفون عن العرب وعن السوريين في آن واحد . انهم فينيقيون ، والمسيحيون منهم من ابعد الناس عن العرب والعروبة لانهم من احفاد الصليبيين الذين اتوا الى سوريا ولبنان من مختلف البلاد الاوروبية ولا سيما فرنسا » (٢٤) .

وقد تم اللقاء الحضاري الاول بين مصر والغرب ، بعد انفصال دام قرونا عديدة ، في أكناف الحملة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر ، وكان اللقاء حارا مع انه كان قصيرا . ولكن الاثر الفكري والعلمي الذي تركته الحملة الفرنسية في مصر كان اعمق بكثير من الاثر السياسي والعسكري لتلك الحملة . فبعد أن انسحب الفرنسيون وتحررت مصر منهم استمرت الافكار التي زرعتها الحملة تتغلغل في اوساط المجتمع المصري . وقد واصل محمد علي نفس المسار ، اذ سمح للكثيرين من علماء الحملة بالبقاء في مصر ومواصلة أعمالهم وابحاثهم ، كما شجع نشاطات أخرى علمية وتربوية وفكرية ، فأمر بترجمة عشرات الكتب عن اللغات الاجنبية واقتبس العلوم الاوروبية في الطب والهندسة والجيش والحقوق . واستقدم كلوت الفرنسي وولاه ادارة الشئون الطبية وأسس ديوان المدارس وبنى عشرات المدارس في مصر . واوجد طبقة جديدة من الموظفين والهندسيين والاداريين والحقوقيين وعلماء الطبيعة والزراعيين والخطاطين والطباعين . وقد تمكن محمد علي من انجاز هذه النهضة العلمية الشاملة بمعاونة البعثات التي ارسلها الى اوروبا وخاصة فرنسا وقد اعاد هؤلاء الصلة التي انشأتها بين البلدين بعثة الحملة الفرنسية العلمية ١٧٩٨ (٢٥) .

وامتدادا لهذه النظرية التي ارساها ورعاها مفكرو البورجوازية الفرنسية كان الفكر والموقف السياسي الذي عبر عنه الخديوي اسماعيل والذي استمر يتردد في مصر عاليا تارة وخافتا تارة حتى ما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية . وكان من ابرز المتأثرين بالعقلية الفرنسية في ذلك العهد كل من الشيخ الامام محمد عبده واحمد عرابي . وكان الاول قد اطلع على نظريات الاصلاح الاوروبية وهو في مصر ثم ازدادت معرفته في فرنسا اثر اختلاطه بكبار المستشرقين وفي مقدمتهم دي ساسي ، أما احمد عرابي فيرجع تأثره بالفكر الاوروبي الى العلاقة الوثيقة التي كانت تربطه بالافغاني ومحمد عبده وطلابهما من ناحية وبقراءاته في التاريخ الاوروبي من ناحية اخرى (٢٦) .

وقد فتحت ابواب مصر على مصراعيها امام المؤثرات الاوروبية التي اشتد ساعدها في عهد الاحتلال البريطاني ، ففي ربع القرن السابق على الحرب العالمية الاولى ازدهرت الثقافة المصرية التي عرفت داروين ونيتشه واوجست كونت والروائيين الروس والفابيين البريطانيين ودعاة المذهب النفعي . هذا بالاضافة الى الكتاب الفرنسيين امثال فولتير وروسو وكوندياك ومونتسيكيه وكذلك سيجموند فرويد وجوستاف لبون وغيرهم من المفكرين الاوروبيين المعاصرين (٢٧) .

ورغم أن المثقفين المصريين كانوا لا يزالون في مجموعهم معادين للغرب الذي اعتبروه خطرا على مقوماتهم التقليدية فانهم رحبوا بالحضارة الغربية أكثر من ذي قبل . ثم ما لبث أن ظهرت جماعات فكرية تتبنى النظرية المتوسطية وتدعو لها ، وذهبوا الى ان مصر كانت تمثل باستمرار جزءا من حضارة البحر المتوسط التي شملت أوروبا والشرق الادنى . وقد قيض لهذا الراي الذي نادى به قبيل الحرب العالمية كل من قاسم امين ، ولطفي السيد ، ان يجد في طه حسين اقوى معبر عنه (٢٨) ، كذلك لعبت الجامعة المصرية دورا بارزا في ارساء الفكر القومي المصري مثلما كانت دليلا على تطور

تلك الحركة وكان الفضل في تأسيسها سنة ١٩٠٨ لبعض المؤمنين بالقومية المصرية ، مثل مصطفى كامل ، ومحمد فريد ، ولطفي السيد ، وقد أسدت الجامعة المصرية من الخدمات للقومية المصرية بمقدار ما أسدته الجامعة الامريكية في بيروت من خدمات للقومية العربية وبمقدار ما أسداه الازهر للفكرة الاسلامية (٢٩) .

ويرى د. انيس صايغ أن الاتصال المباشر بين الفكرين الاوروبي والمصري من خلال عشرات المفكرين المصريين الذين نهلوا من ينابيع المعرفة الاوروبية ، وتأثروا بها خلال القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين قد انتهى في مصر بقومية مصرية بينما انتهى في لبنان بقومية عربية وليست لبنانية ، ويفسر ذلك بأن أوروبا التي تأثرت بها مصر هي أوروبا الغربية وخاصة فرنسا وهي الجزء الذي ظهرت فيه الفكرة القومية في القرن الماضي بشكلها المعروف ، وقد اتخذت هذه القوميات الاوروبية مفاهيم اقليمية تقتصر على تحديد الامة بالاقليم ومناخه وحدوده الجغرافية أكثر من الاهتمام باللغة والعاطفة والدين ، وقد أخذت مصر هذا المفهوم الاقليمي عن أوروبا وتأثرت به ، وتبنته كما هو وطبقته على نفسها فاعتنقت القومية المصرية دون أن تتساءل عن مدى صواب تلك القومية وتلاؤمها مع ظروفها ، كما أن مصر كانت تخضع لظروف سياسية معينة أهمها وقوعها تحت سيطرة الاحتلال البريطاني . وفوق ذلك لم تكن مصر قد اختبرت نتائج هذا المفهوم القومي ومدى صلاحيته من الناحية العلمية . فضلا عن انعزالها جغرافيا عن القسم العربي من آسيا فحجب ذلك الانعزال عنها التفكير بغيرها من جاراتها الآسيويات . وباختصار فان ظهور الوطنية المحلية المصرية وخضوع الافراد (الامة المصرية) وولاءهم لها دون اعتبار للعقيدة او الطائفة كل ذلك أصبح أساسا للفكر السياسي في مصر بدلا من الولاء الاسلامي الواسع (٣٠) .

وقد لخص الدكتور طه حسين في كتابه « مستقبل الثقافة في مصر (٣١) » الابعاد الرئيسية لهذا الاتجاه الذي كان يتطلع الى

ربط مصر بالحضارة المتوسطة .. اذ يقول في مقدمته « ان العقل المصري منذ عصوره الاولى ، عقل ان تأثر بشيء فانما يتأثر بالبحر الابيض المتوسط . فاذا لم يكن بد أن نلتمس أسرة للعقل المصري نقره فيها فهي أسرة الشعوب التي عاشت حول بحر الروم » ، ويعلق على حديث الخديوي اسماعيل حول نظرية البحر المتوسط فيقول .. « لا ينبغي أن يفهم المصري ان الكلمة التي قالها اسماعيل وجعل بها مصرا جزءا من أوروبا ، قد كانت فنا من فنون التمسح، او لونا من الوان المفاخرة ، وانما مصر كانت دائما جزءا من أوروبا في كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية على اختلاف فروعها والوانها » .

كذلك يتابع الدكتور حسين مؤنس نفس الاتجاه محاولا تأصيله تاريخيا ، يقول في كتابه .. « مصر ورسالتها (٣٢) » ان تاريخ مصر هو تاريخ البحر الابيض المتوسط على وجه التقريب . ان حياة مصر لا تستقيم الا اذا كانت على صلة بالبحر الابيض .. ان مصر تنازعت تاريخها ثلاث قوى افريقيا واسيا والبحر الابيض . وان القوة الاولى تلاشت في منتصف الدولة الحديثة من تاريخ مصر القديم وأما الثانية فقد فرضت على مصر فرضا أما القوة الثالثة وهي البحر الابيض فهي العنصر الاساسي في تاريخ هذا البلد ومصر التي ولدت افريقية لم تلبث أن صارت بحرية مثلها في ذلك كمثل اليونان والرومان » .

وهكذا تتحدد ابعاد هذه النظرية التي وضعت الحملة الفرنسية بذورها الاولى في مصر وواصلت مسارها . وقد ظهرت آثارها لدى كثير من المفكرين والعلماء المصريين الذين تأثروا بالثقافة والفكر الاوروبي وتبلورت في النهاية على شكل تيار فكري ، عبر عنه في أوائل القرن العشرين كل من احمد فتحي زغلول ، واحمد لطفي السيد . وفي العشرينات والثلاثينيات ، أحمد أمين ، وعباس العقاد ، وتوفيق الحكيم ، وابراهيم المازني ، وطه حسين ، ومنصور فهمي ، ومحمود عزمي ، ومن أبرز الصحف التي تبنت هذا الاتجاه

وروجت له صحيفة الجريدة التي كانت تعد لسان حال تيار القومية المصرية ، وبعد احتجابها في يوليو ١٩١٥ استمر تيار القومية المصرية . وقد ساعدت ظروف الحرب العالمية الاولى على تعزيزه بما لقي المصريون من عنت الاحتلال وقهره وسيطرته الكاملة على مقدرات البلاد سياسيا ، واقتصاديا ، واستثماره لمواردها أثناء الحرب ، واعلان الحماية عليها ، وقد جاءت ثورة ١٩١٩ كي تمثل ذروة التعبير القومي في مصر ضد الاحتلال البريطاني . وقد تنبه الاحتلال الى اهمية هذا التيار ، وعمد الى تقويته وانعاشه لاستخدامه في محاربة التيار العربي ، وتطبيقا للقاعدة البريطانية المعروفة في انعاش القوميات المحلية لضرب امكانية التجمع العربي بعد أن تم لها بعد الحرب السيطرة على العالم العربي وتقسيمه (٣٣)، وقد انتقلت دعوة القومية المصرية من « الجريدة » الى « السفور » ثم « السياسة » اليومية والاسبوعية التي تأسست عام ١٩٢٢ وكانت تنطق بلسان الاحرار الدستوريين .. وقد داب كتابها على بث فكرة القومية المصرية في مختلف نواحي الحياة المصرية ، وقد تزعمهم الدكتور محمد حسين هيكل ، وعبد الله عثمان ، ومجلة المصور الاسبوعية والشهرية (١٩٢٧) ، وكان يراس تحريرها اسماعيل مظهر ومجلة الاسبوع التي اصدرها ادوارد عبده سعد سنة ١٩٣٣ ، والثقافة باشراف احمد امين في اوائل الحرب العالمية الثانية ، والكاتب المصري باشراف طه حسين التي اعادت الحياة لتيار القومية المصرية ، وقد اسهمت هذه الصحف في نشر الفكر القومي المصري ، وحمله الى الجماهير .

أما الشق الثاني لتيار القومية المصرية فهو ينحصر في الاتجاه الفرعوني ، ويعتبر التراث الفرعوني ، والصلات النيلية هي المنهل الثالث الذي استقت منه مصر حضارتها وتفكيرها القومي خلال القرنين الاخيرين . ويعتبر اكتشاف سر حجر رشيد بنجاح العالم الفرنسي شمبليون في تفسير كتاباته ١٨٢٢ بعد ذلك بداية مولد علم الآثار المصري المعروف بالاجيبتولوجي . والقومية المصرية وما

انتهت اليه من انعزال مصر في عالمها الافريقي مدينة لعلم الآثار بمقدار ما هي مدينة للعوامل الاخرى . فقد حصلت التنقيبات الاثرية في وقت بحثت مصر خلاله عن قوميتها ، وعن ماضيها وعن علاقاتها بذلك الماضي ، وقد كان لهذه الاكتشافات صدى عظيم في العالم ولكن صداها الاعظم كان في مصر ذاتها التي اكتشفت اصولها وفلسفت تلك الاكتشافات حتى انبثقت منها نظريات في القومية المصرية . واذا كان لفت نظر العالم الغربي الى مصر وكشف اعين شعوبه على اثر مصر في الحضارات العالمية ، وليد القرن التاسع عشر فان تنظيم علم التاريخ المصري ، واستنتاج النظريات الصحيحة في ذلك التاريخ وتعديل الآراء الاولية القديمة كان وليد القرن العشرين . وفي هذا القرن ايضا تفتح علم التاريخ والاثار عند المصريين انفسهم فتعاونوا مع المؤسسات التاريخية والاثرية الاجنبية العاملة في بلادهم كما تألفت في مصر عدة مؤسسات وطنية للعناية بالتاريخ القديم . وقد ادى الكشف العظيم ١٩٢٠ لمقبرة توت عنخ امون الى دعم حركة الاكتشافات الاثرية التي كانت تغذي بدورها الاتجاه الفرعوني في القومية المصرية (٣٤) . وقد برز كثير من الكتاب وعلماء الآثار الذين اسهموا بكتاباتهم في احياء القومية المصرية في فترة ما بين الحربين فقد كان تمجيد مصر القديمة ، والدفاع عن حضارتها ، والدعوة الى بعث ذلك التاريخ من مظاهر القومية المصرية في تلك الفترة ، ويعد الدكتور محمد حسين هيكل خير من عبر عن نظرة القوميين المصريين الى تاريخ بلاده كذلك برز هذا الاتجاه عند عباس العقاد ، واحمد امين ، والدكتور حسين مؤنس الذي كتب في تراث مصر القديمة يشير الى « ان الاسلام مسئول عن اهمال تاريخ مصر القديم . اذ ان الفتح العربي قد حمل المصريين على ان ينسوا تاريخهم الفرعوني مثلما جعل الفرس والسوريين واللبنانيين والعراقيين ينسون تاريخ الاكاسرة ، والاراميين ، والفينيقيين وابطالهم ليكونوا مواطنين في الدولة الاسلامية القومية الكبرى ، وتعددت الاستار بينهم ، وبين مواطنيهم بحجة انهم كفار عبدة أوثان (٣٥) » . وقد كان الانجليز الذين عاصر حكمهم لمصر نمو

الافكار القومية فيها والذين كانوا في ذات الوقت مؤثرين حقيقيين في توجيه هذه الافكار يؤيدون الاتجاهات الاقليمية أكثر من الاتجاهات الجامعة الا اذا كانت الاخيرة فضفاضة وخيالية .. لدرجة لا تشكل خطرا من تحقيقها ، وانطلاقا من هذا فقد شجع الانجليز القومية المصرية الفرعونية مع انهم حاربوا القومية المصريـة عند الحزب الوطني لانها كانت تجسد خطرا مباشرا عليهم ، ولذلك ساندوا النزعة الفرعونية لانها تقدم لها ضمانا لعزلة مصر عن العالمـين العربي ، والاسلامي ، وكان معظم دعاتها والمتحمسين لها من الاقباط الذين تبنوها وكرسوا انفسهم دعاة لها (٣٦) . وربما كان مشروع المعلم يعقوب القبطي لاستقلال مصر عن العثمانيين المسلمين برعاية الغرب ، الحلقة الاولى من سلسلة السعي القبطي لبعث قومية مصرية فرعونية ووطن مصري مستقل عن الشرق ومرتبط بالغرب حضاريا ، ولكن العمل القبطي المنظم في سبيل القومية المصرية قد ترسخ خلال السنوات الاولى من القرن العشرين ، فقد مهد الاقباط لفكرتهم الفرعونية بعمل طائفي شبه منظم على صعيد فكري وتربوي وقاموا بنشاط واسع لتحسين أوضاعهم الثقافية والاجتماعية لا كمصريين ولكن كطائفة مستقلة فدخلوا ميدان الوظيفة منذ مجيء الانجليز مصر وبرزوا في الاعمال الادارية . كما ان الانجليز وثقـوا بهم اكثر من المسلمين . وقد نشط الاقباط الى جانب ذلك في الصحافة فأسسوا لانفسهم عدة صحف حصرت اهتمامها في قضايا الطائفة والترويج للدعوة الفرعونية وتمجيد التاريخ المصري القديم* ومن أبرز هذه الصحف جريدة الوطن لميخائيل عبد السيد وجريدة

---

* وقد نشر المقتطف محاضرة لمرقص باشا سميكة القاها في الجامعة الامريكية ، مارس عام ١٩٢٦ عن المتحف القبطي وهي تصلح مثلا لهذا الاتجاه يقول فيها : « مضى على مصر اكثر من الفي عام منذ ان فقدت استقلالها بانتهاء حكم الفراعنة ومن ذلك العهد وهذه البلاد مطمع نظر الفاتحين من احباش ويونان وفرس ورومان وعرب وأتراك وافرنج . وبهذه المناسبة أحب ان اذكر ان لفظ قبـطي معناها مصري وهي محرفة عن اللفظ اجبتوس ولذلك فجميعكم اقباط بعضكم اقباط مسلمون والبعض الاخر مسيحيون وكلكم متناسلون من المصريين القدماء ».

مصر لتادرس شنوده والجنس اللطيف للكة سعد والعائلة القبطية لجمعيــة الاتحـاد الاسكنــدري والتوفيــق لجمعيــة التوفيــق بالقاهرة (٣٧) .

وقد التقى بعض المفكرين المصريين الذين كانوا ينادون باستقلال مصر ، واجلاء الانجليز عنها ، مع الاستعمار البريطاني وبعــض شرائح الاقلية القبطية في الاتفاق على النداء بفرعونية مصر ، ومن ثم تأييد بعض مطالب أصحاب هذا الاتجاه مثل وجوب احياء الآثار الفرعونية وبعث الادب المصري القديم واقامة الادب الحديث على أسسه وتمجيد مصر الفرعونية والتبرؤ من العرب والقول بأن لمصر كيانا انسانيا وحضاريا وثقافيا خاصا ، وانها لا تمت الى العروبة الا بصلة واهية هي صلة الدين ، والدين في سبيله الى الانهزام في الحياة الاجتماعية المعاصرة ، واللغة وحدها لا تجعل من المتحدثين بها امة واحدة . وراح بعضهم يدعو الى اصطناع اللهجة المصرية الدارجة في التعليم والادب والصحافة والتمثيل والصكوك والرسائل بحجة سهولة نشر الثقافة وايجـاد ادب مصري ولغـة مصرية خاصة (٣٨) . ولكن في النهاية لم يكن للنزعة الفرعونية صدى سياسي بل انحصرت في مدرسة أدبية لم تمارس اي نفوذ على الكتل الاخرى ، كما أن بعض دعاتها اتجهوا اتجاها مصريا معتدلا أو اسلاميا صريحا أو عربيا على الاقل (٣٩) .

هذا هو الشق التاريخي من اتجاه مصر الافريقي ، أمـا اتجاهها الافريقي على الصعيد الجغرافي فقد ســار مع الابحاث التاريخية جنبا الى جنب ومثلما أحيا اكتشاف آثار مصر وفك رموز حجر رشيد تاريخها القديم واوضــح امتدادها الى مصر الحديثة ، كذلك أحيت صلات مصر مع السودان ومناطق حوض النيل علاقاتها مع القارة الافــريقية واكدت ارتباطها بها ، وقــد ساعدت النهضة الجغرافية التي كانت وليدة الحملة الفرنسية ، وامتدت خلال عصر محمد علي الذي سعى لتحقيق رغبة مصر في أن تحتفظ بالنيل وان تتوحد مع السودان وارسل عدة حمـلات

(١٨٢٠ ــ ١٨٢٢) انتهت باعلان السودان جزءا من مصر واقتفى . اسماعيل خطوات جده في الاهتمام بالسودان سياسيا ، وفي رعاية البعثات العلمية التي نشطت في عهده ، وبلغت اقصى حد وصلته في تاريخها ، وقد تجاوب المصريون مع هذا النشاط الجغرافي ، واشترك عدد من جغرافييهم ومهندسيهم ورحالتهم في البعثات المصرية الى منابع النيل كما ازداد اهتمام رجال الفكر بالسودان (٤٠) وكان السودان وهو البلد العربي الافريقي عاملا في احياء القومية المصرية سواء عند ضمه او عند انسلاخه عن مصر ، وقد قاوم الشعب المصري فكرة نزع الحكم المصري عن السودان تلك الفكرة التي نفذها الانجليز بالتدريج لتقليم اظافر مصر عسكريا وسياسيا من جهة ولوضع السودان تحت الحكم البريطاني من جهة اخرى . واصبح السودان هدفا رئيسيا من اهداف الحركة الوطنية المصرية ، وسببا اساسيا في اذكاء شعلتها خاصة بعد ان افلحت بريطانيا في فصل السودان عن مصر في سلسلة من الاحداث ما بين ١٨٨٢ ــ ١٩١٤ غير ان ذلك الفصل كان حافزا للمصريين كي لا يتركوا السودان ، وكان الاهتمام به والمطالبة باسترجاعه عاملا بارزا من عوامل القومية المصرية ، وظاهرة من مظاهرها ، وكان مطلب وحدة مصر مع السودان احد المطلبين الرئيسيين اللذين شغلت مصر بهما طيلة فترة ما بين الحربين ولم يشذ اي حزب سياسي عن اجماع باقي الاحزاب على المطالبة بتلك الوحدة وجعلها من صلب المبادىء الاساسية ولم تمر مناسبة ولم يعقد مؤتمر ولم تجر مباحثات الا وكانت مصرية السودان جزءا رئيسيا منها وظهر اثر ذلك في النتاج الفكري والادبي .

التيـــار العـربي :

الواقع ان انتماء مصر العربي ليس موضع شك فهي قد اخذت اللغة العربية في اعقاب الفتح العربي ، وتحولت بالتدريج الى الاسلام كما وفدت اليها على مر العصور كثير من القبائل العربية

التي امتزجت بمضي الوقت بسكانها وتبنت من خلالها كثير من العادات والتقاليد واساليب الحياة العربية التي اصبحت جزءا لا يتجزء من الحياة العامة للمجتمع المصري بالاضافة الى الدور الهام الذي لعبته مصر في نشر واثراء وتطوير الثقافة العربية وبخاصة بعد قيام جامعة الازهر في القرن العاشر الميلادي وسقوط بغداد في ايدي التتار في اواسط القرن الثالث عشر (٤١) . ولا زالت مصر منذ القرن التاسع عشر وبعد قيام الدولة الحديثة تمثل الركيزة الاساسية لحركة البعث الفكري والثقافي في العالم العربي ، ولكن التيار العربي في مصر لم يصبح انتماء سياسيا ، وفكريا على النطاق الشعبي ، والرسمي سوى في نهاية الحرب العالمية الثانية (بداية الاربعينات من هذا القرن (٤٢)) . ويرجع ذلك التأخر الى عوامل عديدة بعضها ذاتي والاخر موضوعي . وفيما يتعلق بالعوامل الذاتية فهي تتضمن : ـ

اولا : النمو التاريخي المتميز الذي انفرد به المجتمع المصري . فالاستقلال الذي حصلت عليه مصر طبقا لمعاهدة لندن ، ١٨٤٠ قد اعطاها شخصية متميزة عن سائر البلدان العربية الاخرى الخاضعة للحكم العثماني المباشر . كما أن نمو القومية المصرية بشماراتها ورموزها التاريخية وخاصة الاتجاه الفرعوني .. كل ذلك ادى الى اعاقة التيار العربي في مصر .

ثانيا : غلبة التيار الاسلامي على التيارات الفكرية الاخرى التي سادت المجتمع المصري منذ نهاية القرن الثامن عشر .

اما **العوامل الموضوعية** فهي تتمثل في : ـ

اولا : الدور الذي قام به الاستعمار الاوروبي في عزل مصر عن العالم العربي منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين .

ثانيا : مسئولية العرب في عدم اشراك مصر في قضاياهم القومية .

ثالثا : الدور السلبي لبعض السوريين في مصر ..

وسنتناول بالتفصيل كل عامل من هذه العوامل على حدة ...

أولا ــ العـــــوامل الذاتية :

ا ــ النمو التاريخي :

العامل الاول الذي يتمثل في التطور التاريخي المتميز للمجتمع المصري منذ مجيء الحملة الفرنسية التي تمثل أول احتكاك عربي بالحضارة الغربية في العصر الحديث وما أعقبها من قيـــام الدولة المصرية الحديثة في عهد محمد علي ، وقد ساعد هذان الحدثان على سرعة انهيار النظام الاقطاعي في مصر وبدء ظهور القومية المصرية بمعناها الجديث ونشوء الطبقة الوسطى التي قادت النضال الوطني طوال تلك المرحلة الماضية . فالحملة الفرنسية وجهت الضربة الاولى الى الاقطاع في شكله الاقتصادي (نظام الالتزام وتعدد الضرائب) وفي شكله السياسي والعسكري ممثلا في جماعة البكوات والمماليك . ثم جاء محمد علي فالغى نظام الالتزام كما تخلص نهائيا من المماليك سنة ١٨١١ وبذلك قضى نهائيا على بقايا الاقطاع في مصر (٤٣) . واخذ يبني مصر على اساس المركزية المطلقة وهي أبرز سمات الدولة الراسمالية . ومن الناحية الاقتصادية بدا يوجه الاقتصاد المصري للانتاج الخارجي اي للتصدير بدلا من الانتاج الاقطاعي القائم على الاستهلاك . وقد كان من الطبيعي ان تؤدي هذه التغيرات الاقتصادية والسياسية (التي تشير الى تحويل المجتمع الاقطاعي الى مجتمع تسوده العلاقات الراسمالية) بفعل الدولة الى تغيرات اجتماعية وفكرية أيضا . فقد اختفت طبقة المماليك اختفاء تاما من الحياة المصرية وحل محلها كطبقة اجتماعية فئة ارستقراطيـــة تركية هي طبقة كبار الموظفين في دولة محمد علي وهي التي احتكرت كافة المناصب العسكرية الكبرى ومعظم المناصب المدنية والتي منحت اقطاعات كبيرة هي (الابعاديات) . وبجانب هذه الطبقة تكونت الطبقة الوسطى من المصريين الذين استعان بهم محمد علي في بناء

دولته سواء في المناصب الصغيرة في الجيش او الدولة واقطعهم اراض زراعية . فقد انتهى الامر بهؤلاء المصريين في أواخر القرن التاسع عشر الى ان اصبحوا يمثلون البورجوازية المصرية وهي التي قادت الكفاح الوطني ضد الاتراك والتدخل الاوروبي ابان الثورة العرابية (٤٤) ، كما حملت لواء الحركة الوطنية ضد الاستعمار الاوروبي منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين ، وقد واصل محمد علي محاولاته لتغيير البنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع المصري وتغيير مسار مصر السياسي بالعمل على اخراج مصر من نطاق الولاية التابعة للسلطة العثمانية الى شبه دولة ذات استقلال ذاتي وذات قوة عسكرية وسياسية واقتصادية يشعر بها العالم وتحسب لها اوروبا والسلطنة حسابا . وقد خاض من اجل ذلك حروبه في بلاد الشام (١٨٣٢ - ١٨٤٠) والتي ينظر اليها بعض المؤرخين على انها محاولة لبناء دولة عربية كبرى . والواقع أن دوافع محمد علي في حملته على الشام لم تكن قومية عربية رغم تصريحات ابنه ابراهيم باشا ، وتقارير القناصل الاجانب التي كانت تؤكد ان فكرة الوحدة العربية كانت مختمرة في ذهن محمد علي وابنه ابراهيم . ذلك أن حملات محمد علي في بلاد العرب وقلب افريقيا وفي اوروبا كانت تهدف بالقطع الى بناء دولة كبرى ولكنها ليست دولة عربية . وحروب محمد علي بالاضافة الى بناء جيش قوي وأسطول ضخم ، وارسال البعثات التعليمية الى أوروبا، كل هذه النشاطات كانت تحركها تطلعات محمد علي لبناء دولة تجسد طموحه الشخصي . وكان يرفع شعارات كاذبة عن تطلعاته لبناء دولة عربية كبرى تسهيلا لتحقيق أهدافه في الفتح ، وهناك عدة ادلة على ذلك ابرزها أنه بعد هزيمته في الشام واغراق اسطوله تراجعت اطماعه الى مجرد فرمان من السلطان العثماني يضمن بقاء حكم مصر وراثيا في اسرة محمد علي ، وكان له في نهاية المطاف ما أراد .. فضلا عن اعتماده في حكمه لمصر على الاجانب من الاتراك والمماليك والارمن واليهود والشوام والاقباط وغيرهم من الاوروبيين وخاصة بعد أن قضى على الزعامات الشعبية في مصر ، وانشأ

محمد علي كما سبق ان عرضنا طبقة ارستقراطية جعلها صفوة المجتمع وهي طبقة تركية تولت قيادة البلاد اداريا واجتماعيا . وتميزت هذه الطبقة بانفصالها الكامل عن المجتمع المصري بل وتعاليها على سكان مصر الاصليين الذين كانوا يعتبرونهم مجتمعا من الفلاحين (٤٥) .

وقد وفرت معاهدة لندن ١٨٤٠ الاطمئنان للرأسمال الاوروبي . كما أن الاجانب عامة وجدوا في طبيعة حكم محمد علي نفسه القائم على العناصر الاجنبية وفي تشجيعه وحمايته لهم ما يغريهم بالقدوم الى مصر فتضاعف عددهم اكثر من اربع مرات ما بين عامي ١٨٤٦ – ١٩١٧ . وقد تمكن الاجانب بفضل هذه الامتيازات التي قدمتها لهم أسرة محمد علي من السيطرة على الحياة الاقتصادية فضلا عما كانوا يتمتعون به من نفوذ اجتماعي وثقافي . مما ترتب عليه تعاظم الدور الذي أصبح يلعبه الغرب في الحياة العامة المصرية . ومن الملحوظ أن معاهدة لندن ١٨٤٠ قد ساعدت على عزلة مصر سياسيا عن العالم العربي في الوقت الذي كرس فيه محمد علي نظاما استبداديا يستبعد العنصر الوطني ويعادي الثقافة العربية ويستند الى ارستقراطية تركية وخبراء أوروبيين وثقافة وتعليم أجنبي (٤٦) . مما يؤكد ان العروبة أو الفكرة العربية لم تكن واردة بالنسبة لمحمد علي أثناء فتوحاته وحروبه في بلاد العرب .. وان كان هذا لم يمنع وجود مثل هذا التفكير لدى ابنه ابراهيم الذي كانت تسانده القوى الجديدة التي تربت في المدارس الحديثة ، والبعثات ، والجيش الوطني ، وجهاز الدولة الجديد ، وهم كانوا يرون أن الفتوحات المصرية يجب ان تقف عند اخر نقطة يتحدثون فيها بالعربية (٤٧) .

بداية الحركة الوطنية المصرية :

لقد كان السبب المباشر في قيام الحركة الوطنية المصرية هو تغلغل النفوذ الاوروبي المالي والسياسي في أواخر عصر اسماعيل ،

وكانت هذه الحركة تستند علي الطبقة البورجوازية المصرية بجناحيها العسكري والمدني . وقد عبرت عن نفسها بحدثين بارزين في تاريخ مصر الحديث ، اولهما تأليف الحزب الوطني القديم ۱۸۷۹ ، ومع أن برنامج الحزب قد تضمن الاعتراف بالولاء للسلطان العثماني وخديوي مصر ودعا الى المحافظة على حسن العلاقات مع دولة الخلافة الا انه جسد المطالب المصرية القومية في ذلك الحين . وقد تجلى ذلك بوضوح في برنامجه الذي ينص على « ان الحزب الوطني حزب سياسي لا دين له فانه مؤلف من رجال مختلفي العقيدة والمذهب وجميع النصارى واليهود وكل من يحرث ارض مصر ويتكلم بلغتها لانه لا ينظر لاختلاف المعتقدات ويعلم ان الجميع اخوان وان حقوقهم في السياسة والشرائع متساوية (٤٨) » .

اما الحدث الثاني فهو يتمثل في اول حركة رفض قام بها الضباط المصريون بزعامة احمد عرابي وسيطرة العناصر الاسلامية الاخرى من الاتراك والشراكسة وغيرهم على الجيش المصري واستئثارهم بالمناصب القيادية والمرتبات الضخمة ، وحدث أول تآزر بين الشعب والعسكريين في مظاهرة ٨ فبراير ١٨٧٩ التي اقيلت على اثرها وزارة نوبــــار . ثم تفجرت الثورة العرابية التي تجسدها مظاهرة الجيش في سبتمبر ۱۸۸۱ . وقد كانت قوى الثورة تضم خليطا من الاتجاهات الفكرية فهناك العناصر التي كانت تنتمي للازهر وقد كانت تتطلع الى انشاء خلافة عربية اي دولة ذات طابع ديني . كما كانت هناك عناصر اخرى داخل الثورة كانت تطالب بجمهورية أو دولة عربية في اطار الانفصال النهائي عن الخلافة سواء عثمانية أم غير عثمانية (٤٩) .

على ان اهم شعار رفعته الثورة في هذه المرحلة بمختلف اجنحتها الفكرية والطبقية هو شعار مصر للمصريين ورغم انه لا يبلور فلسفة قومية متميزة ولكن رفعه كأحد شعارات الجيش في بدء حركته ضد السيطرة التركية والجركسية كان احد الاسباب التي ادت الى اتساع هذه الحركة والتفاف عديــد من القوى

الاجتماعية حولها . وقد اختلف المؤرخون في تحديد موقف الثورة العرابية من الفكرة العربية فهناك من يرى أن ثورة عرابي كما اسلفنا كانت تضم اتجاهات اسلامية عربية استنادا الى المعلومات التي بعث بها المستشرق الاوروبي دوفيريه الـى مستر برودلي المحامي البريطاني الذي تولى الدفاع عن عرابي وتتضمن اتهام عرابي بأنه كان على صلة وثيقة بالحركة السنوسية في ليبيا وهي الحركة المعادية للخلافة العثمانية والاوروبيين والتي كانت تتميز بالطابع العربي الذي يختلط بأساس اسلامي لا يتعارض مع العروبة . والمرجح أن الثورة العرابية لم تكن تخلو من الاتجاهات العربية التي ظهرت جنبا الى جنب مختلطة بالاتجاهات الاسلامية . وهو امر واضح في مجتمع كانت تسوده الافكار السلفية . على ان الثورة العرابية نجحت في اجتذاب تأيد الراي العام الشعبي في العالم العربي في تونس وفلسطين وسوريا والسودان حيث انفجرت في هذه الاقطار المظاهرات الصاخبة ضد احتلال القوات البريطانية لمصر وتضامنا مع عرابي ورفاقه الذي هزمت ثورته . وقد بلغ الامر ان المهدي عرض على الانجليز استبدال جوردون قائد الحملة البريطانية الاسير لديه بأحمد عـرابي الذي نفي الى سرنديب (٥٠) .

بعد فشل الثورة العرابية واحتـلال بريطانيا لمصر سـنة ١٨٨٢ ، اصيبت الحركة الوطنية بنكسة مؤقتة استمرت حتى ظهور مصطفى كامل حيث انتقلت قيادة الحركة الوطنية الى الحزب الوطني بزعامته . تتميز هذه المرحلة بوقوع تناقض بين القومية المصرية والقومية العربية ساعدت على ابرازه الظروف الدولية وتفجر التناقضات داخل المعسكر الاستعماري . اذ شهدت هذه المرحلة ظهور التناقضات الكامنة بين الاستعمار التركي الذي كان على وشك الاحتضار والاستعمار الاوروبي الذي كان يتهيا كي يرث مناطق النفوذ العثمانية في المنطقة العربية . كذلك شهدت هـذه المرحلة اكتمال مقومات كل من القومية العربية التي كانت تتهيا لمقاومة الاضطهاد التركي والقومية المصرية التي تعد الثورة العرابية

ابرز تجسيد لها داخل معسكر التحرر الوطنـي (٥١) . وكان التناقض الرئيسي بين معسكر الاستعمار (التركي والاوروبي) من ناحية ومعسكر التحرر الوطني (العربي المصري) من ناحية أخرى . ولكن الظروف الموضوعية التي أحاطت بالقضية المصرية محليـا ودوليا في ذلك الحين فرضت على الحركة الوطنية المصرية رؤيـة ضبابية اذ أنها لم تدرك جيدا طبيعة معركتها ضد الاستعمار الاوروبي ووحدة المعسكر الاستعماري رغم ما يحويه من تناقضات ثانوية ، ولم تدرك أيضا أن حلفاءها الطبيعيين في معركتها ضد المعسكر الاستعماري هم الشعوب العربية ، فلجأت الى الدولة العثمانية لاكراه انجلترا على الجلاء مستندة على ما لتركيا من حقوق دولية في مصر تكفلها معاهدة لندن ١٨٤٠ والفرمانات المؤكدة لها . هذا في الوقت الذي كانت الشعوب العربية تغلي تحت الحكـم العثماني . وكانت حركة الثورة العربية في مرحلة التبلور لمواجهة مساوىء الحكم العثماني . فالصراع القومي كان يدور أسـاسا ضد دولة الخلافة بينما في مصر كان موجها ضد بريطانيا . ففي الوقت الذي كان أحرار العرب يتآمرون فيه ضد السلطان عبد الحميد تساندهم وتشجعهم انجلترا ، كان مصطفى كامل زعيم الحركة الوطنية في مصر يتغنى بمزايا السلطان ويصفه بأنه « أعظم سلطان جلس على أريكة آل عثمان » ، وقد ندد مصطفى كامل بالافراد القليلين الذين قاموا من المسلمين ضد « جـلالة السلطان الاعظم » . كما هاجم فكرة الخلافة العربية باعتبارها فكرة انجليزية واعتبر الثوار العرب ضد السلطان « من الخوارج والخونة » (٥٢) .

أما حزب الامة فقد لخص موقفه من المسألة العربية على لسان رئيسه لطفي السيد الذي كتب في الجريدة تحت عنوان المسـألة المصرية يقول : « العرب اكثرية في بلاد الدولة العثمانية لذلك لا نستطيع ان نفهم وجود مسالة عربية تستأهل النظر في حلها . وليس هناك مسألة عربية ، ولكن هناك قلقا في نفوس كثير من العرب . لذلك نقول اذا كان هناك للمسالة العربية محل من الوجود

فان وجودها الان سابق للاوان جدا . ولئن كان للمسألة العربية ظل من الوجود فحلها بيد العثمانيين من غير مضارة أحد (٥٣) » .

ومن هنا يتضح لنا ان موقف حزب الامة من المسألة العربية لم يختلف عن موقف الحزب الوطني الا بمقدار ما يختلف الحزبان ايديولوجيا . لذلك نلاحظ أن لطفي السيد يسوي بين الجامعة الاسلامية ، والاتحاد العربي ، ويرفضهما معا اذ يقول : « لدينا وسائل العمل لمصلحتنا فلا يعوزنا الذكاء ولا الوطنية ، ولكن يعوزنا شيوع الاعتقاد بأن مصر لا يمكنها أن تتقدم اذا كانت تجبن عن الاخذ بمنعتها ، وتتواكل في ذلك على أوهام يسميها البعض (الاتحاد العربي) ، ويسميها الاخرون الجامعة الاسلامية (٥٤) » . وقد ساعد هذا المناخ على نشوء القومية المصرية باطاراتها الفكرية المعروفة وهي الاطار الفرعوني ، واطار الحضارة المتوسطية ، وتتفق جميعها في حصر مصر داخل حدودها الطبيعية ، وقد كانت هذه الدعوات تمثل التعبير الفكري والسياسي للنمو الذاتي الخاص الذي اخذت تسير فيه مصر مستجيبة لما فرض عليها من عوامل الحضار ، وظروفه .

ب ـ غلبة التيار الاسلامي :

ويرجع ذلك الى أن ظهور البورجوازية المصرية في منتصف القرن التاسع عشر ان كان قد ارتبط في داخل مصر بنشوء القومية المصرية فانه وفي ذات الوقت ارتبط بدعوة الجامعة الاسلامية التي تمثل أول تعبير عن البورجوازية العربية في تكاتفها مع البورجوازية التركية ، والاقطاع التركي ضد الاستعمار الاوروبي (٥٥) ، وقد ترتب على ذلك تراجع الاعتبارات القومية الاخرى امام القومية الاسلامية وحتى بعد استكمال القومية العربية لقوماتها ظلت الفكرة الاسلامية تخلط في بادىء الامر بالفكرة القومية العربية ، وتكوين ما يمكن تسميته بالفكرة العربية الاسلامية .

هذا بجانب عامل ثالث وهو انه رغم انتشار الاسلام على أيدي العرب في مصر فان السيادة العربية لم تستمر بل انتقلت الى عناصر اسلامية اخرى مثل المماليك ، والعثمانيين ، وكان الاحساس السائد في مصر هو الاحساس الاسلامي ، وليس الاحساس القومي . علاوة على ذلك المعنى الذي احاط بكلمة عرب بين الناس لا سيما في مصر ، والذي كان من اهم العوامل التي أدت الى تباعدهم عن الفكرة العربية لان الناس صاروا يستخدمون هذه الكلمة للدلالة على البدوي غير المتحضر ، فأخذوا يعتبرونها مقترنة بالتأخر والهمجية مما استوجب تنصل المتحضرين من العروبة وابتعادهم عنهـا .

ثـانيا ــ العوامل الموضوعية :

ا ــ الاستعمار :

لقد رسخ الانجليز اقدامهم في مصر منذ اليوم الاول لقدومهم سنة ١٨٨٢ . الغوا الجيش الوطني واسسوا جيشا جديدا هزيلا بقيادة انجليزية ، والغوا القوانين والانظمة القديمة ووضعوا رقابة شديدة على المالية ، والغوا الدستور القديم، وحرموا مجلس شورى القوانين ، والجمعية العمومية من صلاحياتهما ، وانتزعوا من مصر حقوقها في السودان ، وسحبوا جيشها منه ، وعمموا اللغــة الانجليزية على حساب العربية ، واهملوا برامج التعليم الوطني ، واغتنمت بريطانيا الفرصة حينما اندلعت الحرب العالمية الاولــى (اغسطس ١٩١٤) ، وفرضت الحماية على مصر ، وخول القرار للقوات البريطانية حق استعمال مصر كقاعدة أثناء الحــرب ، واعلنت الاحكام العرفية ، ووضعت الصحف تحت الرقابة . ولا شك ان كل هذه العملية بتعقيداتها السياسية والاجتماعية قد شغلت مصر عن التفكير في اية قضية أخرى خارج نطاقها الوطني . هذا بالاضافة الى ما عمدت اليه بريطانيا من جعل قضية مصر

تختلف موضوعيا عن قضية المشرق العربي ، فبينما كانت الحركة الوطنية في مصر (حركة الحزب الوطني بزعامة مصطفى كامل) تكافح ضد السيطرة الاوروبية وتتطلع الى تأييد ومساندة الدولة العثمانية كانت بقية الشعوب العربية في المشرق العربي تكافح في سبيل تحررها من السيطرة العثمانية ، وتتطلع الى تأييد الدول الاوروبية ، فأعداء مصر كانوا حلفاء الحركة القومية في المشرق العربي ، واعداء الاخيرة كانوا حلفاء مصر (٥٦) ، ونتيجة لذلك لجأت الحركة الثورية العربية المعادية للدولة العثمانية الى الدول الاستعمارية الاوروبية (انجلترا وفرنسا) التي احتضنتها وشجعتها، فمن المعروف أن بعض الجمعيات العربية في بلاد الشام كانت على صلة بالقنصل الفرنسي بيكو في بيروت كما أن جمعية اللامركزية كانت على صلة بكتشنر المعتمد البريطاني في مصر ، وقد اتخذ حزب اللامركزية الذي تكون سنة ١٩١٢ مقره في القاهرة بتشجيع من السلطات البريطانية التي رحبت بهذا النشاط الموجه ضد الدولة العثمانية ، ولكنها اشترطت في ذات الوقت ابتعاده عن القضية المصرية ، وان ينحصر في بحث قضايا العرب في الولايات العثمانية (٥٧) ، كذلك ساندت بريطانيا الشريف حسين للقيام بثورته ضد العثمانيين في منتصف عام ١٩١٦ . وقد تم ذلك بعد مراسلات طويلة بين الشريف حسين وسير هنري مكماهون المعتمد البريطاني في مصر امتدت من يوليو ١٩١٥ ــ يناير ١٩١٦ . وفي ذات الوقت كانت بريطانيا تجري مفاوضات سرية مع فرنسا لتقسيم المنطقة العربية بعد انهيار الدولة العثمانية وقد أسفرت هذه المفاوضات عن اتفاقية سايكس بيكو في مايو ١٩١٦ . ولم تكتف بريطانيا بذلك بل عمدت من أجل كسب الصهيونية العالمية الى جانبها الى ارضاء اليهود على حساب العرب فأصدرت تصريح بلفور في ٢ نوفمبر ١٩١٧ تعهدت فيه لزعماء الصهيونية بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين . وبانتهاء الحرب العالمية الاولى وسقوط دولة الخلافة التي كانت محور الدعوة للجامعة الاسلامية سقطت معها استراتيجية التعلق بالدولة العثمانية في مصر ، وفي الوقت نفسه

سقط تحالف العرب مع بريطانيا بعد أن كشفت حقيقة نواياهـا وطعنت الحركة العربية بالتقسيم ووعد بلفور : فقد مزق الاستعمار الاوروبي وحدة بلاد الشام التي كانت في العهد العثماني وحدة سياسية وجغرافية واقام بينها حـواجز سميكة . وقسم المشرق العربي لاول مرة الى وحدات سياسية صغيرة ، فلسطين ، ولبنان ، وسوريا ، وشرق الاردن ، والعراق (٥٨) ، ولا شك ان هذا التقسيم قد ساعد على خلق مصالح محلية أصبح مصيرها مرتبطا ببقاء هذه الوحدات المنفصلة كما ساعد على تنمية النزعات الاقليمية ، وهذا هو ما كان يهدف اليه الاستعمار من اجل الهاء الحركات الوطنية داخل هذه الوحدات السياسية بقضاياها المحلية والكفاح من اجل تحررها الذاتي .

ب ـ مسئولية العرب في اسقاط مصر من حسابهم :

عند تقييم الظروف التاريخية التي ادت الى ابتعاد مصر عن الميدان العربي طيلة (القرن ١٩) وأوائل (القرن ٢٠) نلاحظ ان العرب طيلة القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين نلاحظ ان العرب خارج مصر يتحملون جزءا من المسئولية مماثلا لمسئولية المصريين ومسئولية الاستعمار الاوروبي ذاته ، ويرجع هذا الى انشغالهم بقضاياهم الوطنية ، وبسبب عدم ادراكهم لحقائق عصرهم . فهم لم يفهموا حقيقة الاستعمار ، ووجوب مجابهته كوحدة . ويلاحظ في تاريخ النضال العربي ضد الامبراطورية العثمانية والذي كان في البداية على شكل جمعيات سرية تكونت منذ ١٨٧٥ تجاهل العرب لمصر ، ويمكن تفسير ذلك بالدور الذي لعبه الانجليز في دعـم الحركات الثورية ضد السلطان عبد الحميد ، وايواء الثوار العرب الهاربين من الامبراطورية في مصر (٥٩) ، فمن المعروف كما أسلفنا ان جمعية اللامركزية في مصر كانت على صلة بكتشنر المعتمد البريطاني، وقد تدخل بناء على رغبة الجمعية عن طريق السفير البريطاني في الاستانة للعفو عن عزيز المصري الذي كان من ابرز المناضلين العرب، وكانت الدولة العثمانية قد ألقت القبض عليه ، وقد استمر ابتعاد

مصر عن الحركات العربية حتى ما بعد اسقاط السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٩ . ولم يشارك المصريون في مؤتمر باريس ١٩١٣ وهو أول مؤتمر قومي عربي . كذلك استبعدت قضايا مصر عن ابحاث المؤتمر ولم تساهم مصر في مباحثات زعماء الثورة العربية مع المسئولين الانجليز في القاهرة والتي انتهت بالاتفاق على العمل المشترك ضد الاتراك ، واعلن الشريف حسين الثورة العربية في يونيو ١٩١٦ ، ورغم اشتراك مئات الشخصيات السياسية ، والعسكرية ، والوطنية من العراق ، وفلسطين ، وسوريا ، ولبنان ، ولكن بالنسبة لمصر لم ينضم منها أحد باستثناء عزيز المصري (٦٠) . ولم يكن لثورة الحسين اثر كبير عند المصريين بل وقفوا منها موقفا عدائيا ورغم ذلك لم تتمكن الصحف المصرية آنذاك من مهاجمة الثورة لانها كانت تخضع للرقابة العسكرية (٦١) .

جـ ـ الدور السلبي للسوريين في مصر : *

من القطاعات الاجتماعية التي نشطت نشاطا بارزا في أواخر عصر محمد علي وما بعد محمد علي كانت العناصر الاجنبية وعلى راسهم الشوام ، وقد كانوا يقومون بدور الوسيط بين الحضارة الاوروبية من جهة والحياة المصرية من جهة اخرى في مجالات الخدمة الحكومية ، والتجارة والصحافة . وكانت هجرات الشوام تفد الى مصر نتيجة للازمات الاقتصادية ، ولا سيما ازمة صناعة الحرير في لبنان ، ونتيجة للاضطهادات الدينية على يد الاتراك طوال القرن التاسع عشر (٦٢) ، وكان السوريون يشكلون الاغلبية الساحقة من العرب الذين استوطنوا مصر ، وكانوا ينقسمون الى فريقين .. الاول يضم أحرار العرب الذين هربوا الى مصر لمواصلة نضالهم ضد الحكم العثماني ، وخاصة في عهد السلطان عبدالحميد ،

---

* يهمنا أن نوضح هنا ان المقصود بكلمة « السوريين » فئة طائفية معينة ومعروفة ، وانما استخدمنا الكلمة لانها كانت الكلمة التي تطلق على هذه الفئة في القرن الماضي ومطالع هذا القرن بجانب كلمة « الشوام » (المراجع) .

وهؤلاء يمثلون اقلية ، وقد تركز نشاطهم وهم في مصر في متابعة نضالهم الوطني ، ولم يحدث لقاء أو تعاون بينهم وبين الحركة الوطنية المصرية نظرا للتناقض الذي كان قائما في ذلك الحين بين الحركة الوطنية المصرية ، والحركة الثورية العربية ، اما الفريق الثاني ، وهو يضم أغلبية السوريين في مصر فقد كان يتكون من الذين لجأوا الى مصر للارتزاق ، ولم يهتموا بالعمل في سبيل عقيدة سياسية بقدر ما اهتموا بالسعي وراء الرزق ، وهناك فريق ثالث يمثل الوطنيين السوريين الذين اندمجو اندماجا كاملا في المجتمع المصري وشاركوا في الحركة الوطنية المصرية ، واسهموا اسهامات فكرية بارزة ، ويتصدرهم اديب اسحاق ، وسليم النقاش ، ونجيب حداد ، وشبلي شميل ، وفرح انطون ، وجورجي زيدان .

اما الدور المعادي الذي قام بعض السوريين ضد الحركة الوطنية المصرية فهو يبدأ منذ الحملة الفرنسية . اذ انهم تعاونوا مع الفرنسيين ، وتهافتوا على العمل معهم كما احتفلوا بانتصارات الجيش الفرنسي وعملوا لحساب السلطات الفرنسية ضد العناصر الوطنية ، وفي عهد محمد علي تولى السوريون شئون الادارة والمكاتب ، والمحاسبة ، والترجمة نظرا لما كانوا يتمتعون به من اتقان اللغات الاجنبية ، وفي عهد اسماعيل الذي تطلع الى اعادة تنظيم المجتمع المصري طبقا للنمط الاوروبي استعان بالسوريين على نطاق واسع ، وذلك بسبب العجز في عدد المصريين الذين يتقنون اللغات الاجنبية ، وعندما احتل الانجليز مصر احتضنوا السوريين ، ومنحوهم فرصا واسعة للعمل في الادارة والترجمة ، ووصفهم اللورد كرومر في مذكراته بأنهم منحة من السماء (٦٣) . ولم يقتصر دورهم في خدمة الاحتلال البريطاني على تقلد الوظائف الادارية بل مارسوا الربا ، وأصدر بعضهم عدة صحف كانت تروج لسياسة الاحتلال ، وتنطق بلسانه باللغة العربية وابرزها المقطم ، والمقتطف اللتان أصدرهما فارس نمر ويعقوب صروف . واسكندر مكاريوس ، وقد تبنوا آراء الاحتلال ، ودافعوا عنها ، وهاجموا الحركة الوطنية المصرية ، وقد اعرب الشعب المصري عن استنكاره

ونقمته على الدور العدائي الذي كان يقوم به السوريون ضد الحركة الوطنية المصرية ، وتمثل ذلك في افتتاحيات الصحف الوطنية مثل صحيفة الاستاذ لعبد الله النديم ، والمؤيد للشيخ علي يوسف ، بالاضافة الى المظاهرات التي كان يقوم بها الوطنيون ضد الصحف السورية الموالية للاحتلال ، وقد عبر عبد الله النديم عن ذلك الموقف في مقال شهير جاء فيه : « انا اخوك فلم انكرتني ؟ ما الشام ومصر الا توامان ابوهما واحد يسوء الاثنين ما ساء احدهما فلم تنافر ابنائهما وانحاز السوريون في جانب بعيد عن المصريين وان ساكنوهم في مصر ... أبراتب عشرون جنيها يبيع المرء منا اخاه ووطنه بل جنسه ودينه ؟ أم بكلمة تفرير نصرف حياتنا في خدمة الاجنبي لنعينه على اخواننا لينتقم منهم بغير ذنب ويجني على غير جان » (٦٤) .

التيار العربي وسط التيارات الفكرية السائدة في مصر في فترة ما بين الحربين :

بانتهاء الحرب العالمية الاولى سقطت معظم التناقضات التي كانت تحاصر التيار العربي وتعوق انتشاره في مصر . اذ ان سقوط دولة الخلافة التي كانت محور دعوة الجامعة الاسلامية قد ادى الى تقلص التيار الاسلامي الذي كان مسيطرا في المرحلة السابقة على اتجاهات الحركة الوطنية المصرية . وانتهت استراتيجية التعلق بدولة الخلافة كما انكشفت حقيقة بريطانيا بالنسبة للعرب ، وسقط التحالف العربي البريطاني بعد أن غدرت بريطانيا بالثورة العربية بالتقسيم ، ووعد بلفور ، ثم خضعت معظم الدول العربية للنفوذ الاوروبي ونشبت ثورة مصر القديمة التي كانت فاتحة الثورات الوطنية في العالم العربي اذ تبعتها ثورات العراق ، وفلسطين ، وسوريا ، وتونس للمطالبة بالاستقلال ، وقد ساعدت هذه الثورات على خلق مزيد من التقارب بين البلاد العربية حيث بدات تتخطى الحواجز التي كان الاستعمار الاوروبي يعمل على تدعيمها وتقويتها ،

ثم برزت القضية الفلسطينية فكانت محور استقطاب رئيسي للجهود العربية ، وخاصة مصر حيث تحدد انتماؤها النهائي للعروبة وقضاياها ، وقد ظهر أول رد فعل شعبي في مصر لقضايا العرب سنة ١٩٢٥ حينما نشبت ثورة سوريا ضد السلطات الفرنسية . فقد اهتمت الصحافة المصرية بابراز أنباء الثورة ، وتأييد حق السوريين في الاستقلال ، كما قامت حركة تبرعات لمنكوبي الثورة قادها سعد زغلول بنفسه (٦٥) .

وقد انتهت ثورة ١٩١٩ بحدوث عدة تغييرات في البنيان السياسي والفكري للمجتمع المصري نستطيع أن نرصدها على الوجه التالي :

من الناحية السياسية :

١ ــ استطاعت أن تلغي الحماية البريطانية بصدور تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ، ورغم أن هذا التصريح لم يؤد الى الاستقلال الذي تطلع اليه المصريون بسبب التحفظات الاربعة، فان الغاء الحماية أتاح الفرصة للبورجوازية المصرية للتنفس السياسي وتمصير بعض وظائف الدولة ، وبالتالي المشاركة في الحكم ، والاشتغال بالسياسة ، والعمل الحزبي (٦٦) . وقد ادى انتعاش البورجوازية المصرية بعد تأسيس بنك مصر الى التطلع خارج حدودها بحثا عن أسواق جديدة في الدول المجاورة لها ، ولذلك نرى طلعت حرب مؤسس بنك مصر يقوم بجولة سنة ١٩٢٨ في الدول العربية لبحث امكانية فتح فروع لبنك مصر ، وقد عبرت عن هذا الاتجاه صحيفة السياسة لسان حال الاحرار الدستوريين وهو الحزب الذي كان يجسد مصالح كبار الملاك في مصر (٦٧) .

٢ ــ نشوء أحزاب جديدة . . فقد تفتت وحدة البلاد السياسية بعد هبوط المد الثوري الذي اشاعته ثورة ١٩١٩ ، واخذت تظهر

تكتلات سياسية هي امتداد لما كان قبل ١٩١٤ مع اختلاف في التفاصيل- مما كان يمليه تطور البلاد خلال الحرب العالمية الاولى . فقد استطاع حزب الوفد بقيادة سعد زغلول أن يجمع الشعب تحت زعامته أثناء الثورة ، واصبحت الحركة الوطنية بقيادته حركة مستقلة بذاتها تحتل مكان الصدارة في الحياة السياسية المصرية . ولكن كان من الصعب عليه أن يستمر في زعامة كل الفئات التي تصدت للعمل السياسي ، فكان نشوء الاحزاب بعد الثورة أمرا طبيعيا ، وقد تأسس حزب الاحرار الدستوريين في أكتوبر ١٩٢٢ على أساس قومي مصري استمرارا لحزب الامة ، وعلى أكتاف عدد من ذوي الثقافات الاوروبية ، وكبار الملاك (٦٨) . ثم تلاه حزب الاتحاد ١٩٢٥ فحزب الشعب ١٩٣٠ وحزب السبعة ونصف ١٩٣١ .

من الناحية الفكـرية :

١ ـ انتهت ثورة ١٩١٩ بانتصار التيار (القومي المصري) الليبرالي وتقلص التيار السلفي (الاسلامي) ، وقد اتخذ الصراع بين هذين الاتجاهين مسارا فكريا أكثر تحديدا عن الفترة السابقة على الثورة ونلحظ أنه بينما كان دعاة الاتجاه الليبرالي ومعظمهم خريجو الجامعات الاوروبية من انصار التيار القومي المصري كان انصار التيار السلفي ، ومعظمهم من الازهريين أقرب الى الفكرة العربية ، والواقع أن طغيان الفكرة الاسلامية على الفكرة العربية الذي كان سائدا في نهاية القرن التاسع عشر واوائل العشرين ظل مستمرا (٦٩) ، رغم أن الظروف التي احاطت بالعالم العربي بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى قد ساعدت على تنشيط الفكرة العربية في مصر خاصة قضية فلسطين التي أمدتها بدفعة قوية . كما قام تآلف وثيق بين انصار التيار الاسلامي والتيار العربي وتكتلوا لمواجهة التيار القومي المصري ، وقد ساعد هذا الصراع على سرعة حدوث الاستقطاب بالنسبة للتيار العربي الذي انحاز الى جانب التيار الاسلامي .

٢ ـ التيـار الشرقي :

في هذه الفترة التي تميزت بسيادة التيـار المصري ظهرت تيارات فكرية وحدوية أمدت التيار العربي بمـدد فكري ومعنوي ساهم في تمهيد الطريق امامه وسط التيارات الفكرية الاخرى التي كانت تتصارع داخل المجتمع المصري . ومن ابرز هذه التيارات الوحدوية التيار الشرقي الذيتجسد في جمعية الرابطة الشرقية التي اعلن قيامها في مارس ١٩٢٢ . واهتم أعضاؤها بالقضايا العربية وناصروها على أسس مختلفة . وقد تألفت الرابطة من عدد من المفكرين والسياسيين المصريين ذوي انتماءات فكرية متناقضة ، فقد كان يراسها مجموعة من أنصار التيار السلفي أمثال السيد عبد الحميد البكري ونائبيه الشيخ محمـد بخيت ورشيد رضـا والشيخ محمد الغنيمي التفتنازاني مساعدا عربيا لكاتم السر العام (٧٠) . كما كانت تضم عناصر علمانية مثل اميل زيدان ومحجوب ثابت ومنصور فهمي واحمد شفيق باشا . كذلك ضمت بعض العناصر الموالية للتيار العربي مثل أحمد زكي باشا وعزيز المصري . كما ضمت مصطفى نور الدين مساعداً تركيا لكاتم السر ومحمد رضـا قزويني مساعدا فارسيا لكاتم السر . وقد جاء في قانون الجمعية (أنها جمعية علمية اجتماعية تقوم بترقية الامـم الشرقية بالعلم الذي هو اساس كل فلاح وبأحكام الروابط بين هذه الامم ، وباحياء حضارة الشرق وارجاعه الى فضـائله مع الاخذ بما في مدنية الغرب من المحاسن التي لا تتنافر مع الروح الشرقية) . كما نصت في قانونها على أن المحـاولات الدينية والمنازعات السياسية خارجةعن حدود وظيفتها (٧١).

وقد شكلت الجمعية سبع لجان لمعالجة كل ما يتعلق بامور الشرق والعمل على النهوض به وهي اللجنة التركية واختصاصاتها تركيا الحديثة واسـيا الوسطى ، واللجنـة الفارسية وتبحث في شئون فارس وأفغانسـتان وبلوخستان ،

واللجنة الغربية وتهتم بشئون بلاد العرب وسوريا والعراق ، واللجنة الهندية واختصاصها شئون الهند والهند الصينية ، ولجنة الشرق الاقصى وتبحث في الهند الشرقية وسيام والصين واليابان ، واللجنة المغربية واختصاصها شمال افريقيا ، ثم اللجنة الافريقية واختصاصها السودان والحبشة وباقي البلاد الافريقية (٧٢) .

ونلاحظ من أسماء أعضاء الرابطة الشرقية وانتماءاتهم الفكرية فضلا عن تشكيل لجانها واختصاصاتهم على النحو الذي سبق عرضه ان الدافع الى انشائها لم يكن فكرة الجامعة الاسلامية ولا الفكرة العربية أيضا ، فان تنوع اتجاهات اعضائها علاوة على ما جاء على لسان مجلتها من أن الدافع الى انشاء الجمعية هو شعور أبناء الشرق بإفتقارهم الى جمعية تؤلف بينهم وتربط شعوبهم وتعمل على اعلاء كلمتهم (٧٣) — يشير بوضوح الى أن الفكرة الشرقية وحسب هي التي كانت الدافع الاساسي لتأسيس هذه الجمعية وقد ساعد تشكيل الرابطة الشرقية على هذا النحو باعتبارها تضم خليطا من ذوي الاتجاهات الشرقية والاسلامية والعربية المصرية على أن تلقى التشجيع والارتياح من جانب قطاعات كبيرة من المثقفين ورجال الدين وبعض اعضاء الاسرة المالكة والتجار والمستشرقين (٧٤) .

ويرى د. عبد العظيم رمضان أن الرابطة الشرقية هي جسر الانتقال بين فكرة الجامعة الاسلامية التي كانت سائدة قبل الحرب العالمية الاولى وفكرة القومية العربية . والواقع أن الرابطة الشرقية تمثل تيارا علمانيا مستقلا رغم انها كانت تضم خليطا متناقضا من المفكرين السلفيين والعلمانيين فقد ظهرت في مرحلة تتميز بسيطرة التيار العلماني وانكماش التيار السلفي . كما انها انتهت بسيطرة التيار العلماني المتغرب . وقد بدا ذلك واضحا عندما اصدرت الجمعية فى

١٥ اكتوبر ١٩٢٨ مجلة الرابطة الشرقية بعد ست سنوات من تأليف الجمعية فكانت تتبنى افكار وايديولوجية الاحرار الدستوريين . اذ كان يراس تحريرها الشيخ علي عبدالرازق، وكان من ابرز كتابها الدكتور طه حسين ومنصور فهمي ومصطفى عبد الرزاق وسلامة موسى ، مما ساعد على تفجر الخلاف داخل الرابطة بين ذوى الاتجاه الاسلامي بقيادة رشيد رضا وبين اصحاب الاتجاه العلماني الذي كان يسيطر بالفعل على فكر الرابطة ونشاطها . وهذا يقيم دليلا على ان الفكرة العربية لم تكن امتدادا او جزءا غامضا من الفكرة الشرقية ، خصوصا وان التيار المسيطر داخل الرابطة لم يكن التيار ذا النزعة الاسلامية او العربية بل على العكس فان التيار الذي كان يمثل القومية المصرية والانتماء الى الحضارة المتوسطية هو الذي سيطر على افكار واتجاهات الرابطة . كما ان المفاهيم التي حددها بعض اعضاء الرابطة كاطار ايديولوجي للفكرة الشرقية كانت تتفق تماما مع افكار وايديولوجية الاحرار الدستوريين ، فهي لا تستند الى اساس ديني او عرقي بل تستند الى تصور صحيح في ذلك الحين للاختلاف المادي والحضاري بين الشرق والغرب . كما انها تترجم العوالم المتعددة التي تنتمي اليها مصر فهي من ناحية جزء من العالم الاسلامي بحكم الانتماء الديني ، وهي من ناحية ثانية جزء من العالم الشرقي الذي يقف في مواجهة العالم الغربي الاستعماري . ومن ناحية ثالثة هي جزء من عالم البحر المتوسط الذي تربطه به صلات حضارية تاريخية ، كما انها من ناحية رابعة جزء من وادي النيل الذي يعتمد على النهر العظيم في حياته ومعاشه . ثم هي جزء من العالم العربي الذي تربطها به اكثر من رابطة مادية ومعنوية . وقد روى الدكتور محمد حسين هيكل قصة تأليف الرابطة الشرقية باعتبارها دعامة لمصالح مصر القومية عن طريق تقوية علاقات مصر بالغرب وبالشرق عموما ، اذ كتب يقول (٧٥) : « لقد فكر

جماعة من المصريين في ان يصلوا حركة مصر القومية بحركة جاراتها العربية وبحركة البلاد الشرقية التي تخضع لسلطان الاجنبي مثلما تخضع مصر ، فقد كانت البلاد العربية التي انفصلت عن الدولة العثمانية تفكر في الاستقلال الذي كفلته لها انجلترا في مكاتبات رسمية .. ثم ان هناك حركة استقلالية قد بدأت في الهند يقودها الزعيم غاندي وجعلت المقاومة السلبية شعارها .. وقامت بلاد أخرى تطلب استقلالها بعد ان ظلت عشرات السنين خاضعة للاستعمار . أفلا يمكن تنظيم هذه النهضات القومية كلها تنظيما يؤدي الى نجاح مشترك ؟ . لهذا فكر جماعة من المصريين الشرقيين المقيمين بمصر أن يصلوا حركة مصر القومية بهذه الحركات الاستقلالية في بلاد الشرق المختلفة .. » ، ثم يمضي فيقول : « وقد اعتذرت يومئذ عن الانضمام للرابطة ذلك أنني أرى من التفاوت بين مصر وبين هذه البلاد الشرقية في ثقافتها وفي لغاتها وفي مقوماتها القومية ما قد يصرفنا نحن المصريين عن تركيز جهودنا في قضية وطننا وما يدعونا لحمل عبء لا طاقة لنا به وبذلك يضيع جهد ما احوج مصر اليه (٧٦) .

وقد حاول الشيخ علي عبدالرازق ان يحدد مقدمات الفكرة الشرقية وتاريخ ظهورها فأشار الى « انه لا يستطيع أن يحدد تاريخا مفصلا للفكرة الشرقية التي أخذت في الاعوام الاخيرة وخصوصا بعد الحرب الكبرى تحيا بين الشرقيين وتملأ أذهانهم والتي اخذت تتطور في صور مختلفة وتنتقل من قطر الى قطر ، ومن جماعة الى جماعة حتى كادت تصير حقيقة عملية لا مجرد عقيدة وفكر » وقد أرجع اصولها « الى أيام الحروب الصليبية حينما تألب ملوك اوروبا تحت راية الصليب يشنون على الاسلام تلك الحروب الصليبية فنشأت الفكرة الشرقية في ذلك الحين ، وكان ذلك في مقابلة الفكرة الغربية التي تعني رجال الصليب » (٧٧) .

ويشير الشيخ علي عبد الرازق في مقاله الى ان اصول الفكرة الشرقية ترجع الى الصراع التاريخي بين الشرق والغرب والذي اتخذ في البداية طابعا دينيا هو الحروب الصليبية ، ثم تطور في العصر الحديث واتخذ اشكالا اخرى اشمل عندما « اتسعت مساحة الدنيا وانكشفت امام اوروبا المتألبة بلاد جديدة غير بلاد الاسلام . عندئذ ظهرت الفكرة الشرقية بمعناها الحديث الواسع ويشمل اسيا وافريقيا ، وذلك في مقابلة الفكرة الغربية التي تعني أوروبا وأمريكا (٧٨)» والفكرة الشرقية بهذا التحديد تقترب في جوهرها من التقسيم المعاصر الذي يضع اسيا وافريقيا في جبهة التحرر الوطني مقابل أوروبا وامريكا في الجبهة الاستعمارية . ويشير عبد الوهاب عزام الى المضمون ذاته في مقال بعنوان « واجب الشرقيين اليوم » محاولا تحديد واجبات الشرقيين في هذه المرحلة وذلك باستعراض تاريخ الصراع بين الشرق والغرب منذ القدم ، صراع روما وقرطاجة ، وحروب الفرس واليونان ، وتنازع الروم الشرقيين والاكاسرة على غرب اسيا ، ووقائع الفتح الاسلامي والحروب الصليبية ، وفتح الاتراك لشرقي اوروبا الى أن يصل الى العصور الحديثة حيث « نظر الشرق فاذا الغرب يشن غاراته ويوالي هجماته ومال الميزان على الشرق كل ميل ثم نظر فاذا أسباب القوة والفتنة مجتمعة للغرب بسلاح مدمر ، سخر البر والبحر بالبخار ثم بالكهرباء ، وسلسلة من المعجزات يحار فيها العقل والنظر . فجاهد الشرق جهد قوته ثم عيي بالجهاد فاستكان » ويرى أن الدواء « هو ان نجد انفسنا بعد أن فقدناها وضللنا عنها ، وذلك بأن نصل ماضينا وحاضرنا بالمستقبل الذي هو أشبه بنا وبأخلاقنا وأدبنا وعقائدنا وتاريخنا » (٧٩) .

ومن هنا نرى ان الرابطة الشرقية لم تكن معبرا الى الفكرة العربية في مصر كما يرى د. عبد العظيم رمضان بل كانت تمثل تيارا علمانيا مستقلا اشمل من الفكرة العربية ومن الفكرة الاسلامية بل تضمهما معا وتتجاوزهما وتمثل منهجا اكثر تكاملا واكثر عصرية . فهي قد وضعت انتماء مصر في اطاره العصري الصحيح . لقد تجاوزت الاعتبارات الدينية المحضة التي تميز ذوى الانتماء السلفي وان لم تتغافلها . كذلك تجاوزت الروح الاقليمية الضيقة التي تميز بها دعاة الاتجاه القومـي المصري بشـقيه الفرعونـي والمتوسطـي (الحضارة المتوسطية) وان شملتهما معا . وهي تعتبر الفكرة الجنينية التي برزت فيما بعد في مرحلة ازدهـار حركات التحرر الوطني في اسيا وافريقيا في نهاية الخمسينيات من القرن الحالي وتبلورت في جبهة الشعوب الافرواسيوية في مواجهة الجبهة الاوروبية الا انها قدمت خدمات لا بأس بها للتيار العربي في مصر .

العوامل التي ساعدت على نمو التيار العربي في مصر :

لقد ترددت القيادة السياسية في مصر في اتخاذ سياسة عربية تسير بموجبها أو تبني سياسة أوسع شرقية أو اسلامية توجه خطاها ، وكما سبق أن عرضنا كانت جميع هذه التيارات تتصارع وتتعايش داخل المجتمع المصري ولكن لم يتح لاي منها السيادة والتفوق . ومن دلائل عدم تبلور الاتجاهات السياسية في مصـر خلال هذه الفترة ، وترددها وحيرتها بين النزعتين القومية المصرية والعربية الاسلامية محاولات تجديد الخلافة الاسلامية واحيائها على يد الهيئة الدينية العليا في الازهر التي كان يتزعمها الشيخ مصطفى

المراغي ❊ ، وقد وجدت في مصر بعض جماعات تميل الى مبايعة الملك بالخلافة اعتقادا منها انها تؤدي واجبا دينيا . على أن هذه الجماعات كان نفوذها محدودا ودعايتها محصورة . فهناك مقامات دينية لها وزنها ابدت اعتراضها على ذلك علاوة على موقف حزب الوفد الذي عارض الفكرة معارضة صريحة تجلت في موقف صحفه (٨٠) .

وعلى الرغم من جميع وسائل التمزيق ، والتفتيت التي لجأت اليها الدول الاستعمارية لتجزئة المشرق العربي فقد ظلت الصلة قوية بين اجزاء الامة العربية وقد طرات في الثلاثينيات على الواقع العربي ، المادي عدة متغيرات هامة او ما يمكن ان يطلق عليه العوامل المضادة للتباعد العربي (٨١) . مما ساعد على تخطي الحواجز الاقليمية المصطنعة ، والبدء في دخول مرحلة تاريخية تختلف نوعيا عن المراحل السابقة لها في الميدان العربي . ويمكن ايجاز هذه المتغيرات فيما يلي : ـ

اولا : تطور وسائل المواصلات وبالذات انشاء طريق السيارات عبر بادية الشام مما ساعد على تقريب المسافات بشكل ملموس بين كل من دمشق وبغداد ـ ودمشق ، وعمان . كذلك تحسنت سبل المواصلات بين مصر والمشرق العربي برا ، وبحرا وجوا . وقد شجع ذلك على خروج المثقفين المصريين من عزلتهم وذهابهم في رحلات مدرسية وثقافية الى الاقطار العربية او للعمل في بعض المعاهد الجامعية الحكومية (٨٣) .

❊ بذلت محاولات في مصر لبعث الخلافة الاسلامية وسعى الازهر لذلك ودعا الى مؤتمر في القاهرة يجتمع فيه علماء المسلمين واقطابهم سنة ١٩٢٦ . وقد قرر المؤتمر يومئذ عدم ملائمة الظروف لاحياء الخلافة . وتاجل البت فيها الى مؤتمر آخر اشترط ان يعقد في القاهرة ليعالج المسالة ويفصل فيها . المصدر د. احمد طربين ـ الوحدة العربية بين ١٩١٦ ـ ١٩٤٥ ـ معهد الدراسات العربية القاهرة ١٩٥٧ ص. ١٩٥ .

ثانيا : انتعاش البورجوازية المصرية وتطلعها الى خارج حدودها بحثا عن الاسواق . فاذا كانت ثورة ١٩١٩ قد انتهت الى الفشل في تحقيق الاستقلال السياسي كما كان يبتغيه المصريون فان الطبقة التي استطاعت أن تكسب الى حد كبير من هذه الثورة كانت الطبقة البورجوازية في قطاعها الزراعي وقطاعها الصناعي التجاري . وقد جاءت هذه المكاسب على مرحلتين سياسيتين الاولى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، الذي أتاح للبورجوازية المصرية نوعا من المشاركة السياسية في الحكم مع الاحتلال (رغم التحفظات الاربعة) ثم معاهدة ١٩٣٦ التي كان من أبرز نتائجها الغاء الامتيازات الاجنبية . وقد ساعدت هذه الظروف على نمو البورجوازية المصرية وتطورها مما جعلها ترمي ببصرها الى خارج حدودها بحثا عن السوق . وسرعان ما انتقلت الى العمل بمجرد ظهور سحب الازمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩ ـ ١٩٣٢) ، خاصة وان عام ١٩٢٧ شهد ازمة حادة في تصدير القطن المصري فكسدت تجارته مما دعا البورجوازية المصرية الى التفكير في البحث عن أسواق جديدة لتصريف القطن خارج الاسواق الاوروبية التي كانت تحتكر العملية . وفي سنة ١٩٢٨ قام طلعت حرب مؤسس ومدير بنك مصر بجولة في أقطار المشرق العربي لبحث امكانية فتح فروع لبنك مصر . وقد تبنت مجلة السياسة الاسبوعية هذا الاتجاه ، وروجت له من خلال المقالات التي كانت تنشرها عن اقطار المشرق العربي ، كما أوفدت أبرز كتابها « عبد الله عنان » لزيارة هذه الاقطار والكتابة عنها . والمعروف أن السياسة كانت لسان حال الاحرار الدستوريين وهو الحزب الذي كان يجسد مصالح كبار الملاك في مصر (٨٣) .

ثالثا : انتشار الصحافة والاذاعة كوسائل لنشر الثقافة وكوسيلة اتصال فعالة بين جماهير المنطقة العربية . وقد لعبت الصحافة

المصرية دورا هاما في هذه الفترة في نقل ومتابعة الاحداث وخلق راي عام عربي حول ما يدور في المنطقة خاصة وان معظم الصحف المصرية اليومية لها مندوبون ومراسلون في فلسطين ، وسوريا ، ولبنان ، والعراق مثل الاهرام والمقطم والسياسة وكوكب الشرق والبلاغ لتغطيةالاحداث ومتابعتها في حينها .. والى جانب المجلات الفكرية والثقافية كالهلال والمقتطف والرسالة التي كانت ملتقى رجال الفكر والسياسة من كافة الاقطار العربية كانت الاعداد الاسبوعية التي تصدرها الصحف اليومية تقوم احيانا بنفس الدور كما اصبحت تبذل اهتماما أكبر بدراسة أوضاع البلاد العربية (٨٤) .

كما ان الصحف المصرية كانت تنشر كثيرا من الاخبار والتعليقات نقلا عن الصحف العربية التي كان ترد اليها بصفة دورية .. وقد ترتب على ذلك زوال المعنى الذي احاط بكلمة (عرب) بين المصريين والذي كان من اهم العوامل التي ادت الى تباعدهم عن الفكرة العربية خصوصا وانها كانت مقترنة في اذهانهم بالتأخر والهمجية ، وبدأت لفظة العرب في تلك الاثناء تنتقل تدريجيا من معناها الذي كان سائدا في مصر قبل الحرب العالمية الاولى والمرادف لكلمة الاعراب الى مدلولها الحديث . وقد تم ذلك عبر محاولات واجتهادات من الكتاب والمفكرين المصريين شغلت صفحات كثيرة من الصحف والمجلات في تلك الفترة (٨٥) .

كما ترتب على ذلك ايضا ان اصبح ما يجري في مصر يجد صداه في الاقطار العربية الاخرى . واصبحت القوى الشعبية الناشئة في هذه الاقطار تتابع باهتمام تفاصيل السياسة الداخلية المصرية وعلاقات القوى داخل المجتمع المصري ، والضغوط التي تتعرض لها الحركة الوطنية المصرية من قبل السراي ، والاحتلال ، واحزاب الاقلية (٨٦) .

وقد تمخض عن ذلك بروز قيادات فكرية وثقافية بدأت تدرك العلاقة العضوية بين القضية المصرية والقضايا العربية وكان في طليعة هؤلاء عصام الدين حفني ناصف وعبد الله عنان ومحمود عزمي ومكرم عبيد .

رابعا : ظهور الخطر الصهيوني على اثر تطور قضية فلسطين على نحو يهدد الوجود العربي كله بالفناء .

جرت خلال هذه الفترة (اغسطس ١٩٢٩) حوادث حائط المبكى الحائط الغربي للمسجد الاقصى اخر آثار هيكل سليمان عند اليهود ومصعد البراق عند المسلمين .. كان الصراع في صميمه بين الحركة الوطنية العربية في فلسطين وبين الصهيونية والانتداب البريطاني بسبب الهجرة اليهودية المتزايدة . وقد أراد اليهود انتزاع ملكية الحائط ووضعوا الستار عليه ، وسارت مظاهراتهم تهتف ، الحائط حائطنا وهب العرب يهتفون . ان الوطن لهم ، والحائط للمسلمين وأشهر السلاح وسالت الدماء وسقط مئات القتلى والجرحى من الجانبين (٨٩) . وتحركت الصهيونية في العالم مستثمرة علاقاتها الوثيقة بالدول الاستعمارية ، وركائزها الاقتصادية في هذه الدول . كما تحركت الشعوب العربية أيضا متعاطفة مع الشعب العربي في فلسطين . وقد تزعمت الفئات الدينية التي ارتاعت على الاماكن المقدسة حركة التأييد ، والمساندة للشعب الفلسطيني . والواقع أن شعب فلسطين كان يخوض معركة لا تتعلق باستقلاله فحسب ولكن بوجوده المادي ، ولا تتعلق ببلده وحدها ولكن بالعالم العربي كله ، اذ كان مطعن الرمح الاستعماري في الجسد العربي كله . وعلا صوته لتكتيل القوى على كل المستويات المتاحة عربيا واسلاميا ودوليا باسم التحرر وباسم العروبة وباسم الاسلام . وقد دعا لعقد مؤتمر اسلامي عام بالقدس في ديسمبر من ذلك العام لايجاد

كتلة اسلامية عربية معادية لمطامع الصهيونية (٩٠) . وفي مصر تلاقت مختلف الاتجاهات الدينية ، والقومية في الاهتمام بفلسطين . وكانت مصر تعيش في ذلك الوقت ملحمة صراع وطني ديموقراطي طرفها الاساسي الحركة الوطنية بقيادة الوفد في مواجهة طرفي الصراع التقليديين وحلفائهما من احزاب الاقلية أي السراي والاحتلال البريطاني . وقد عارض الملك اية دعوة للجامعة الاسلامية لا تخرج من تحت تاجه بعد فشل مشروع الخلافة . ولا شك أن الانجليز كانوا يعارضون اي اقتراب مصري من الشعب الفلسطيني والعربي. وارتبطت مصالح كبار ملاك المصريين بفكرة القومية المصرية المنعزلة عن العرب . ووقفت حكومتهم سنة ١٩٢٩ ضد ثورة شعب فلسطين وكتبت جريدتهم (السياسة) تهدد الوطنيين الفلسطينيين في مصر بالطرد لتهييجهم الراي العام خوفا من اغضاب الانجليز من ناحية . وخوفا من تشجيع الشعب المصري على التمرد على حكمهم خصوصا وان مقومات هذا التمرد كانت متوفرة (٩١) .

وقد كتب محمد عبد الله عنان في جريدة السياسة الاسبوعية يقول : « مهما كانت اسباب هذه الحوادث الدامية .. ومهما كانت المسئولية في اثارتها فانه لا يمكن ان نتجاهل اليهودية هذه الحقيقة وهي ان الوطن القومي اليهودي لا يمكن أن يقوم على سياسة العنف في قلب شعوب تجمعها روابط جنسية ودينية وتاريخية لا يمكن أن يغفل أثرها » ولكنه في ذات الوقت ادان سياسة العنف التي يسلكها الشعب الفلسطيني قائلا انه « لا يعتقد ان سياسة العنف طريق صالح يستطيع أن يسلكه الشعب الفلسطيني لتحقيق أمانيه لان سياسة العنف اصبحت اليوم طريقا خطرا لا يأمن سلوكه الاقوياء انفسهم فضلا عن الضعفاء » (٩٢) .

كما كتب مرة أخرى في ٢١ سبتمبر ١٩٢٩ ينصح كلا من العرب واليهود بالاعتدال قائلا : « ان في وسع العرب أن يغنموا أكثر بالاتحاد والجهاد السلمي المستمر وان يحولوا في المستقبل دون اراقة الدماء .. وعلى اليهودية اذا أرادت سلاما أن تقنع الامم العربية بأنها لا تفهم فكرة الوطن القومي الا في معنى متواضع وفي دائرة محدودة وانها لا تنوي افتئاتا على حقوق العرب او أوطانهم ». وقد امتدحت جريدة اسرائيل الصهيونية التي كانت تصدر في مصر هذا الاتجاه من جانب صحيفة السياسة . كما بعثت جريدة هآرتس الصهيونية مقالا نشرته جريدة السياسة الاسبوعية على صفحاتها يتضمن اشادة هآرتس بهذا الصوت الواحد في العالم الاسلامي الذي يطالب بالسروية ، والانصاف .. اذا لم يقم بين المسلمين المتنورين من يخاطب الجمهور الثائر بمثل هذه الكلمات الواضحة البسيطة التي وجهها محرر السياسة . ان سياسة العنف ليست طريقا صالحا يسلكه الشعب الفلسطيني لتحقيق أمانيه (٩٣) » . أما في الجانب المقابل فقد استفزت أحداث البراق ومحنة فلسطين عامة لدى الشعب المصري جماع المشاعر الوطنية والاسلامية والمشاعر العربية الغامضة الوليدة .

وقد قادت الصحف الناطقة بلسان حزب الوفد وهما البلاغ وكوكب الشرق حملة واسعة النطاق لتنوير الراي العام المصري بأبعاد القضية الفلسطينية وتنبيهه الى الخطر الصهيوني ، وذلك بالتوسع في نشر المقالات والتعليقات والاخبار عن النشاط الصهيوني في فلسطين وطرد الفلاحين الفلسطينيين منها وطرد العمال العرب ، واحلال اليهود مكانهم وتواطؤ سلطات الانتداب البريطاني مع الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني الذي لم يعدم وسيلة المقاومة السلمية من احتجاجات ونداءات الى عصبة الامم والعالم الاسلامي والعربي واضرابات ومظاهرات شملت جميع المدن الفلسطينية ، ثم صدامات مباشرة وغير مباشرة ضد الخصوم القوميين وحلفائهم من جنود الانتداب . وقد كانت الصحف الوفدية خصوصا البلاغ غالبا

ما تنقل من الصحف الفلسطينية ، كما كانت تتيح فرصة واسعة للكتاب الفلسطينيين المقيمين بالقاهرة الكتابة على صفحاتها وابراز الجوانب المختلفة للمشكلة الفلسطينية .

وقد كتبت البلاغ عدة مقالات أبرزت فيها الاسباب الحقيقية لاحداث البراق كتبت في احداها تقول : « يكفي القول بأن العرب في فلسطين هم أصحاب البلاد الذين لا يجوز منازعتهم فيها ولا في اي ركن من اركانها حتى ولو كان هذا الركن لا علاقة له بعقيدة دينية ، او كان غير محل تقديس واحترام من الوجهة الدينية . واذا كان العرب كذلك والصهيونيون ينازعونهم في هذه الحقوق ويريدون أن يقيموا قومية صهيونية على انقاض القومية العربية وحكومة صهيونية بدلا من الحكومة الوطنية العربية ، نقول اذا كان الامر كذلك فهو يكفي وحده في أن يلقي ضوءا باهرا يكشف أسباب تلك المعارك الدموية التي تحرجت الحالة من اجلها في فلسطين .. وطالما بقي هذا الوضع الشاذ فان النزاع سيبقى مستمرا وسيبقى الفلسطينيون على اعتقادهم بأن الصهيونيين قوم مغيرون عليهم ينازعونهم في بلادهم ويريدون أن يبنوا لهم قومية على أنقاض قوميتهم ووطنا على أنقاض وطنهم » الى أن يقول : « ولنفرض جدلا ان السبل ممهدة معبدة أمام ذلك الحلم الجميل الذي يراه اليهود او بالاحرى بعض اليهود في منامهم فأين يذهب الفلسطينيون وهم الاكثرية الساحقة بمصالحهم وقوميتهم ، وبعد كم الف من السنين يستطيع الصهيونيوون أن يكونوا الاكثرية التي تجرف أمامها تلك الاكثرية الساحقة من الفلسطينيين مسلمين ومسيحيين حتى تصبح اقلية .. اذن فالمضي في تنفيذ وعد بلفور هو منشأ هذا النزاع ولولاه ما وقف اليهود موقفهم من مسألة البراق ، ولا نظن أن هذا يؤدي الى استقرار الحالة في فلسطين استقرارا تاما لان الفلسطينيين لا يسكتون بطبيعة الحال عن حقوقهم في بلادهم التي لا ينكرها عليهم أحد » (٩٤) .

ومن الواضح ان الفكرة العربية في مصر قد تلقت بقضية فلسطين دفعة قوية الى الامام . فقد خطب محمد علي علوبة باشا الذي تولى الدفاع عن حقوق العرب في جدار البراق الشريف امام لجنة التحقيق الدولية خطابا هاجم فيه الفرعونية هجوما شديدا ودعا لعروبة مصر في حرارة فقال : « واني ليحزنني ايها السادة ان ارى واسمع بعد ان ذهبت الى فلسطين ودافعت بضعفي عن قضيتها وعلمت ان الامة العربية امة واحدة يربطها رباط واحد ، نعم يحزنني ان افكر انه يوجد في بلادي فريق مهما كان شأنه يبث فكرة الفرعونية، انا لا ادري ما الحافز الذي حدا ذلك النفر الضئيل في مصر الى ان يصرح بقوله .. حذار يا مصر أن تكوني واسطة عقد الامم العربية واختها الكبرى لانك لست منها بل انت فرعونية .. ان الفرعونية ليست جنسا من اجناس البشر ولكنها عصر كمن عصور الحكم .. على انني لو فرضت أن هناك جنسا فرعونيا لحما ودما وعظما فان فوق هذا الجنس جنسا اخر ورابطة اخرى هي أن هذه الامم العربية تجمعها لغة واحدة وتقاليد واحدة وعادات واحدة والام واحدة وآمال واحدة فهل يظن ظان انه يوجد اعتبار فوق هذه الروابط الوثيقة لا التي لا تنقسم أواصرها ، ما مصر الا عربية ولا تقوم الا على انها عربية ولا يرضى المصريون بغير العربية (٩٥) .

خامسا : ـ التطورات السياسية داخل المجتمع المصري .

طرات في تلك الفترة عدة متغيرات داخل المجتمع المصري ساعدت على نمو الاهتمام المصري بالفكرة العربية يمكن ايجازها فيما يلي : ـ

(أ) ظهور حركات اسلامية ذات اتجاه سلفي (الاخوان المسلمين ومصر الفتاة) .

(ب) تكوين صحف وروابط ومنظمات شعبية تعمل لخدمة التيار العربي في مصر مثل جمعية الشبان المسلمين ومجلة الرابطة العربية .

(جـ) تبني حزب الوفد لهذه الفكرة واهتمامه بقضية فلسطين .

وسنعالج كل عامل من هذه العوامل على حدة ..

اولا : هناك عدة أسباب موضوعيةمهدت لظهور بعض الحركات السلفية مثل حركة الاخوان المسلمين ومصر الفتاة في نهاية العشرينيات وبداية الثلاثينيات .. فلقد طرات على المجتمع المصري خلال هذه الفترة تغييرات سياسية وفكرية واقتصادية وحضارية عميقة ومتنوعة ، وقد كان لذلك انعكاسه على البنية الاجتماعية والسياسية والانماط الفكرية واساليب الحياة في مصر .

فمن الناحية السياسية بعد انتهاء ثورة ١٩١٩ بالفشل في تحقيق الاستقلال السياسي وخروج الطبقات الشعبية من هذه الثورة دون مكاسب على الاطلاق استأثرت الطبقة البورجوازية بجناحيها الزراعي ، والصناعي التجاري ببعض المكاسب السياسية التي اتاحت لها فرصة النمو الاقتصادي والمشاركة السياسية في الحكم مع الاحتلال . وقد اتسمت هذه الفترة بالصراع بين اجنحة البورجوازية المصرية المختلفة حول السلطة وظلت آمال الجماهير في الاستقلال وتحقيق الديموقراطية السياسية رهينة هذا الصراع. وتعلقت الابصار بالوفد خلال العشرينات ليقود المجتمع الى هذه الغاية فلما تلكأ تحقيق هذين المطلبين بل وطرات مزيد من المشاكل الاجتماعية التي لم تكن لها حلول واردة في برامج الوفد ، ساعد ذلك على تحول كثير من الانظار ، يأسا من الاوضاع الراهنة وأملا في تلمس الحلول في اساليب اخرى ، او اهداف مغايرة . وقد اتسمت الفترة من أواخر العشرينات الى الثلاثينات بالانقلابات الدستورية والصراعات التي تدور في دائرة شبه مغلقة بين الوفد واعدائه ، وبدا للبعض ان المؤسسات السياسية التي نجمت عن ثورة ١٩١٩ لا يظهر في الافق انها قادرة على تفريج ازمة المجتمع . وثار الشك حول قدرة الوفد على احداث التغييرات المطلوبة . وانتكس تفاؤل العشرينيات في نظر الكثيرين الى تشاؤم وحيرة وخوف من ان يسير المستقبل على نفس المنوال (٩٦) .

اما من الناحية الفكرية فعلى الرغم من أن الشعب المصري كان يدين بالمذهب القومي الليبرالي كما ظهر واضحا في موقفه من ثورة ١٩١٩ والتفافه الكامل حول الوفد بكل ما يرمز اليه وخلو تطلعه الى الاستقلال من اي مضمون اسلامي ، فان هذا التخلي عـــن الاسلامية كفكرة سياسية اي كقومية ووطن وحكومة لم يترتب عليه مطلقا التخلي عنها كدين وتراث وحضارة وتقاليد ، ومن ثم فقد كان من الطبيعي أن ينفتح قلبه لدعوة تخاطب هذه المعاني في نفسه ، دعوة دينية تدعو لكتاب الله وسنة نبيه وتعمل لاعادة مجد الاسلام والمسلمين (٩٧) . بالإضافة الى ان هذه الفترة شهدت هجــوم البعثات التبشيرية الاوروبية ومحاولاتها التغلغل في المجتمع وانشاء ركائز دينية تتبع الغرب في مصر وقد اقترن ذلك في اذهان البعض بحركة الفكر العلماني التي قادها المثقفون المصريون الذين احتكوا بالثقافة الغربية . ووضعت دعوة الاخوان المسلمين حركة الاستنارة الفكرية بجانب النشاط التبشيري ودعت الى النظر اليها باعتبارها هجوما واحدا على الاسلام ، واستقر ذلك في عواطف الكثيرين واقتصرت الدعوة على الاثارة دون محاولة للتوضيح تكشف ان حركـة الاستنارة انمـا هي موجهـة بالضرورة ضـد النشاط التبشيري ..

ومن الناحية الاقتصادية كان التطور الراسمالي في مصر يتجه الى تصفية الكثير من الحرفيين واصحاب الدكاكين والتجار ويقذف بهم الى صفوف العمال . وعندما احس هؤلاء بأن المستقبل في غير مصلحتهم يتجهون الى الماضي يلتمسون منه العون . وبقدر ما ينغلق افق المستقبل امامهم بقدر ما ينمو الخيال ويستمد من الماضي مدينته الفاضلة . وكانت الدعوة السلفية هي ما يجذب هؤلاء بفكر غامض كالاحلام ظنوه مخرجا . فضلا عن أن اشتغال العمال المصريين في تلك الفترة في مؤسسات راسمالية يسيطر على معظمها الاجانب او اليهود ساعد على تغليف العلاقات الطبقية بمسوح دينية واصبح الوضع في اذهان العمال بمثابة سيطرة غير المسلمين على الاسلام .

وفي غياب الفهم الصحيح للعلاقات الطبقية في المجتمع لا يبدو واضحا افق التطور المستقبلي وتصبح صور الماضي هي الرصيد الوحيد للامل في الخلاص (٩٨) .

من هنا وجدت الدعوة السلفية ممهدة والظروف ملائمة تماما سياسيا وفكريا واقتصاديا . ولقد نشأت حركة الاخوان المسلمين بمثابة رد فعل عنيف ضد الفشل السياسي والاجتماعي للنظام القومي الليبرالي . وقد قامت الجماعة في اواخر العشرينيات بزعامة حسن البنا باعتبارها حركة سياسية دينية مستلهمة التفسير الجاد للاسلام بصدد المسائل الاجتماعية والسياسية ، وكان الاخوان منذ بداية حركتهم يدعون الى اصلاح ديني سلفي شبيه بما كان يدعو اليه رشيد رضا وان فاتوه في التركيز على الاهمية الاجتماعية للقرآن والسنة ، فلوحوا للفقراء بقرب عهد تحقيق العدالة والمساواة في نفس الوقت الذي طالبوا باستقلال مصر التام ولكن في اطار اسلامي اكثر منه مصري او عربي . وقد قدم الاخوان المسلمون انفسهم باعتبارهم بديلا لحكم الساسة العلمانيين ، وبالتالي للنمط الاوروبي المستورد فيما يتعلق بالحكومة والمجتمع ، وهو النمط الذي رفضوه جملة وتفصيلا بما في ذلك قيمه ونظمه .

ورغم ذلك فان جماعة الاخوان المسلمين لم توفر بدائل سياسية او فكرية ملائمة ، كما انها عجزت عن طرح حلول موضوعية للمشاكل التي كانت تواجه المجتمع المصري آنذاك ، بل لم تسع الى فهم هذه المشاكل . وكان تأكيدها على ان القرآن اساس لقيام مدينة فاضلة اسلامية يقوم على العقيدة لا على الاثبات العقلي (٩٩) . ومن الاسباب التي ادت الى نجاح حركة الاخوان المسلمين في تلك الفترة جمود علماء الازهر وتوقف نشاطهم عند حدود معينة من التفسيرات والشروح ، وبعدهم عن اهتمامات الجماهير الحقيقية ، وعدم اهتمام الاحزاب السياسية القائمة بالمشكلات الاجتماعية التي كانت تطرح نفسها بالحاح في ذلك الوقت .

وفي السنوات السبع السابقة على قيام الحرب العالمية الثانية خاض الاخوان ميادين النشاط الآتية : فقد نظموا التشكيلات شبه العسكرية ، وهي التي يطلق عليها البنا اسم التشكيلات الكشفية والرياضية واقاموا المحاضرات والدروس في الدور والمساجد وتأسيس درس الثلاثاء واصدروا الرسائل والمجلات مثل رسالة المرشد ، ومجلة الاخوان المسلمين الاسبوعية ، ومجلة النذير ، وانشأوا الشعب في القاهرة والاقاليم وفي الخارج ، في السودان ، وسوريا ، ولبنان ، وفلسطين ، والمغرب . واقاموا المؤتمرات الدورية في القاهرة ، والاقاليم ، وساهموا في الحركات الاسلامية كحركة مقاومة التبشير وحركة تشجيع التعليم الديني ، وساندوا بكل قوتهم القضية الفلسطينية ، وهي القضية التي كانت معبرا وجسرا عريضا لهم الى الحياة السياسية والارهابية (١٠٠) .. وتقول كريستينا هاريس ان حسن البنا سنحت له في ثورة فلسطين ١٩٣٦ فرصة للعمل والتوسع ، واكسبه تأييده للثورة عطف مفتي فلسطين الحاج امين الحسيني ، واتصل بحكام البلاد العربية والاسلامية وملوكها ، وبدأ يهاجم السياسة البريطانية . وقد اتفق هجوم حسن البنا في تلك الفترة على الانجليز مع الحملة النازية الفاشية ضد البريطانيين في الشرق الاوسط مما جعل البعض يعتقد أنه يعمل لحساب الايطاليين والالمان في المنطقة (١٠١) .

وفي الواقع أن البنا قد ابدى اعجابه بهتلر وموسوليني منذ وقت مبكر جدا من حركته اي في عام ١٩٣٣ . فقد وصفها بأنها « قادة النهضات الحديثة في اوروبا » واشاد بالاتفاقات التي عقداها مع الفاتيكان قائلا انها تدل على انهما لا يحاربان الاديان والعقائد بل هما على النقيض من ذلك يؤيدانها ويثبتانها في نفوس الامة . ودعا اولئك الذين لا يزالون غارقين في سكرتهم هائمين على اوروبا اللاتينية أن يفيقوا من هذه السكرة ويفتحوا اعينهم على اوروبا الحديثة الفاتيكانية (١٠٢) .

وقد تكون حزب مصر الفتاة في هذه الفترة سنة ١٩٣٣ وكان اول تنظيم سياسي مصري يضع في برنامجه هدف التحالف مع الدول العربية (١٠٣) . وقد نجح زعيمه أحمد حسين في توثيق علاقاته مع بعض الوطنيين الفلسطينيين المقيمين في مصر وبشكل خاص مع محمد علي الطاهر صاحب مجلة الشورى . وعندما أصدر مصر الفتاة صحيفته عام ١٩٣٨ التي حملت اسم الحزب نفسه فتح صفحاتها لمحمد علي الطاهر خاصة بعد أن اوقفت السلطات البريطانية صحيفة الشورى (١٠٣) .

وكان هناك أوجه تشابه بين حركة مصر الفتاة التي نشأت بمشروع القرش مستهدفة السعي لبناء الاقتصاد الوطني (بأسلوب غير علمي) بجمع التبرعات ومقاطعة البضائع الاجنبية ، وبين حركة الشباب العربي الفلسطيني الذي عقد مؤتمره الاول في ديسمبر ١٩٣٢ وبحث تشجيع المصنوعات الوطنية ، ومشروع صندوق الامة وتنشيط الحركة الكشفية ودعا للوحدة العربية والذي طالب في مؤتمره الثاني سنة ١٩٣٥ بأن تقوم نهضة الشباب على أساس (الاخلاص لله والوطن) (١٠٤) ، وهو شعار شبيه بشعار مصر الفتاة . كما دعا لتكوين جبهة وطنية واحدة من الاحزاب على نحو ما فعلت حركة مصر الفتاة في مصر وقتها .

وتتفق جماعة الاخوان المسلمين وجماعة مصر الفتاة في الملامح البارزة . فكلتا الحركتين تتخذ تنظيمات شبه عسكرية ، وتعادي النظم الديموقراطية الليبرالية ، وتتفق في اتخاذ الدين قاعدة اساسية لدعوتها (١٠٥) .

وبالنسبة للاخوان المسلمين فقد آمنوا بالعروبة (آمنوا بها كرابطة حضارية وليس كقومية) وآمنوا بالوحدة كخطوة أولى واساسية نحو الوحدة الاسلامية . اي ان الفكرة العربية لديهم كانت تدور في اطار الوطن الاسلامي وفكرة الجامعة الاسلامية ووحدة

الامة الاسلامية وما اطلق عليه حسن البنا اسم « قومية الاسلام » (١٠٦) . وقد جاء في المبدأ الخامس من تعاليمهم ان من بين اهدافهم ، تحرير مصر والعالم العربي والعالم الاسلامي باسره ، وطرد الحكم الاجنبي منه وتأييد الوحدة العربية تأييدا كاملا والسير بها نحو الجامعة الاسلامية .. اذ ان الاخوان يعتبرون العالم الاسلامي من ضمنه العالم العربي ، وحدة لا تتجزأ ، وان اي اعتداء على قسم منه هو اعتداء على باقي الاقسام ، وان من واجب المسلمين في سائر ديارهم مد يد العون لبعضهم بعضا . وقد دعا البنا الى القومية العربية في مواجهة القومية المصرية ، ولذلك كان الدين اهم مقومات القومية العربية في نظر الاخوان المسلمين . وقد كتب منظرو الاخوان وفي مقدمتهم حسن البنا نفسه ابحاثا كثيرة في تأييد الفكرة العربية ، وتحديد موقف الاخوان منها . ويعتبر المقال التالي تجسيدا حيا لرؤية الاخوان المسلمين للوحدة العربية وعنوانه « وحدتنا الكاملة » ، يقول فيه حسن البنا مؤسس الاخوان المسلمين ومرشدهم العام : « هذا الوطن العربي الممتد من الخليج الفارسي الى طنجة على سعة اقطاره وانفساح مداه وحدة جغرافية لا تفصل بينها حواجز طبيعية .. وهو كذلك وحدة روحية بسريان الاسلام في عنق ابنائه جميعا فالمسلمون منهم يقدسون الاسلام كعقيدة ودين وغير المسلمين يعتزون به كشريعة قومية عادلة .. وهذا الوطن وحدة لغوية بسريان لغة العرب في ابنائه وفشوها بينهم تقدسها المحاريب في الصلوات ويخلدها كتاب الله وآيات بينات .. وهو وحدة فكرية ثقافية بما انه منبع الفيض الروحي في العالم كله ، ومصدر الفلسفات ومهبط الوحي ومهد الشرائع والديانات . وهو وحدة اجتماعية تتشابه العادات والتقاليد فيه تشابها يكاد يكون تاما في شعوبه وسكانه وتؤلف بين ابناء هذا الوطن بعد هذا كله المصالح العملية المشتركة ولا شك ان كل شعب من شعوبه يدرك الفوائد العظيمة الجليلة التي تعود عليه بعودته الى هذه الوحدة ، وعودتها اليه وبخاصة في هذا الزمن الذي لا تعيش فيه الا الامم المتجمعة والشعوب الموحدة المتكتلة (١٠٧) .

وقد اتفق الاخوان المسلمون وجماعة مصر الفتاة في الاهتمام بالقضية الفلسطينية . ولكن بينما نبع اهتمام الاخوان من احساس عميق بحق العروبة ورابطة الاسلام ، فان اهتمام مصر الفتاة كان بحركة دافع عنصري مبعثه كراهية اليهود . ولذلك لم يكن حزب مصر الفتاة يفرق بين الصهيونية واليهودية بل كان يهاجم اليهود في عنف ويدعو لمقاطعتهم على صفحات جريدته .

ثانيا : اما العامل الثاني في نمو الاهتمام المصري بالفكرة العربية فهو تكوين روابط ومنظمات شعبية تعمل لخدمة التيار العربي في مصر ، وابرز هذه التنظيمات واقدمها جمعية الشبان المسلمين التي اسسها الدكتور عبد الحميد سعيد احد اعضاء الحزب الوطني في سنة ١٩٢٧ . وكان الدافع الى انشائها النشاط التبشيري الذي استفز مشاعر المسلمين في مصر في نهاية العشرينات بالاضافة الى حوادث الخروج عن الدين ، وحوادث نقد الاسلام في محاضرات بعض المبشرين وكتبهم مما كان له وقع عنيف ، ثم اعدام عمر المختار في ليبيا وخضوع المغرب لهجمة فرنسية دينية (١٠٩) ، كل ذلك خلق المناخ الملائم للبحث عن كيان يربط بين هذه البلاد تحت راية الاسلام . وكان الحزب الوطني الذي قاد الحركة الوطنية قبل الحرب العالمية الاولى واصطبغ الفكر السياسي لبعض زعمائه بالفكرة الاسلامية ، والذي وقف في صفوف المعارضة الوطنية بعد ثورة ١٩١٩ كان اكثر استجابة لهذا الموقف. وفي نوفمبر ١٩٢٧ شرع في انشاء جماعة للشبان اختلف على وصفهم بالمصريين او المسلمين وفضل المؤسسون الاسم الثاني باعتبار ان الاسلام جزء من الماضي الوطني ومن التكوين الحاضر للشرق ، ورغبة في ان تمتد الحركة خارج مصر الى الشرق . وخرجت جمعية الشبان المسلمين الى الوجود وقد لاقت اقبالا لدى شباب مصر المسلم ثم انتشرت دعوتها بين الشباب المسلم خارج مصر . واصبح للجمعية في العام التالي فروع في فلسطين وسوريا والعراق . وبدات في فلسطين بجمعيات يافا والقدس وحيفا ثم زادت جمعياتها الى

عشرين جمعية في أوائل الثلاثينيات (١١٠) . ومع أن تلك الفروع لم تكن موحدة فانها كانت تتعاون فيما بينها وتتبادل الراي في المناسبات . وكثيرا ما عقدت المؤتمرات المشتركة وكان شبابها يتبادل الزيارات بين بلد واخر ويتبادل المنشورات والبيانات .

ورغم نشأة الجمعية ذات الصبغة الطائفية الثقافية الاجتماعية وخلو مبادئها من اي نص سياسي ، فان هذا لم يمنعها من أن تهتم بقضايا العرب السياسية وتسهم في معالجتها ، ويمكننا ملاحظة ذلك بوجه خاص في قضية فلسطين . فقد اهتم الشباب بوضع العرب في فلسطين منذ السنة الثانية لتأسيس منظمتهم . وقرروا في المؤتمر العام الذي عقدوه في يوليو ١٩٣٠ الدفاع عن حق العرب في حائط البراق . ورغم انهم تحركوا للدفاع عن تلك القضية بدافع اسلامي لا عربي فقد ساهموا في تنبيه الراي العام المصري الى خطورة الوضع في فلسطين . كذلك ساهمت جمعية الشبان المسلمين في تعبئة الراي العام المصري لمساندة القضايا العربية المطروحة آنذاك وابرزها الحملة التي قامت بها للدفاع عن المغرب سنة ١٩٣٠. وكان الفرنسيون قد ساروا شوطا بعيدا في سياستهم لمحو عروبة المغرب عن طريق احياء ثقافة البربر ، فاحتجت الجمعية على هذه المحاولات وأرسلت عدة مذكرات الى عصبة الامم والدول المختلفة المعنية بالامر. كما طالبت الحكومة المصرية بالتدخل رسميا والسعي لدى فرنسا لايقاف تنفيذ سياستها . وقد حرصت جمعية الشبان المسلمين على استثمار الاحداث التي مر بها العالم العربي في ذلك الحين للدعاية لصالح الفكرة العربية ولم يمنعها ايمانها بوجوب تقوية الروابط بين المسلمين كما جاء في مواثيقها من العمل على تقوية الروابط بين العرب ، وكانت أول مطالبة صريحة لها بالوحدة العربية سنة ١٩٣٣ في المهرجان الكبير الذي اقامته في ذكرى معركة حطين (١١١) .

ومن المؤسسات العربية الاخرى في مصر (النادي الشرقي) الذي تأسس حوالي سنة ١٩٢٢ . وكان معظم اعضائه من السوريين المقيمين في مصر ، لذلك لم يعش طويلا ولم تكن صلته بالحياة المصرية وثيقة .

كذلك شهدت هذه الفترة صدور صحف تعمل للوحدة العربية مثل مجلة (الرابطة العربية) التي أصدرها امين سعيد في مايو ١٩٣٦ وكان يهدف الى أن تصبح صلة وصل بين مصر والاقطار العربية تحمل اليها ما يجب أن تطلع عليه من أخبار تلك الاقطار وتحولها السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، وتعالج قضايا العالم العربي وترفع صوته وتدافع عن مصالحه (١١٢) .

ثالثا : أما العامل الثالث الذي ساعد على نمو التيار العربي في مصر في الثلاثينيات فهو تبني حزب الوفد للفكرة العربية واهتمامه بالقضية الفلسطينية . وقد كان موقع حزب الوفد على رأس الحركة الوطنية المصرية وجهاده ضد الاستعمار يزيده مع الوقت قربا من حركات التحرر بشكل عام والحركات الوطنية في العالم العربي بوجه خاص . وقد ساعدت قاعدته الشعبية العريضة على سرعة الاستجابة لمشاعر الجماهير المتعاطفة مع القضية الفلسطينية وخصوصا بعد وقوع حادث البراق ١٩٢٩ . وقد حضر الوفد المؤتمر الاسلامي العام الذي انعقد بالقدس ١٩٣١ للبحث في انقاذ فلسطين . وقد اجتمع المندوبون العرب اثناء انعقاده وحدهم وقرروا الدعوة الى مؤتمر عربي قومي لم يتيسر عقده (١١٣) . وقد القى عبد الرحمن عزام ممثل الوفد رسالة مصطفى النحاس الى المؤتمر باسم مصر والوفد، كما انتخب ممثل الوفد في عضوية اللجنة التنفيذية والامانة العامة للمؤتمر ، وكان ابرز القرارات التي اتخذها المؤتمر الدعوة الىتوحيد البلاد العربية، واستنكار تجزئة فلسطين، وتأسيس مصرف عربي لمنع بيع الاراضي الى اليهود ، وانشاء جامعة عربية

بالقدس (١١٤) ، وكان من أهم ما اسفر عنه هذا المؤتمر اقتراب حزب الوفد المصري من القضايا العربية ومشاركته في بحثها وفي الدعوة لحلها .

وفي عام ١٩٣١ زار مكرم عبيد في رحلة صيفية سوريا ولبنان وفلسطين ، وتحدث في ذلك الحين عن الوحدة العربية ، واكد عروبة المصريين وعزز رايه ببعض الاسانيد التاريخية (لان المصريين جاءوا من آسيا ، وهم أدنى الى العرب منذ القدم من حيث اللون والخصائص السامية والقومية) (١١٥) .

ويشير الدكتور انيس صايغ الى خطب مكرم عبيد في بيروت ودمشق وشتورة والقدس وعكا ويافا ويقول ان من يطالع نصوصها الكاملة حسبما سجلها مراسلو الصحف آنذاك يعجب لبراعة صاحبها في مهاجمة الآراء الفرعونية الخيالية ومهاجمة أصحابها من مسلمين ومن اقباط ، ثم يعجب لبراعته في تحليل عروبة مصر وفي تعقب التراث العربي في مصر الى اقدم العهود (١١٦) .

وفي عام ١٩٣٦ وعلى يد الوفد انتقل الاهتمام بقضية فلسطين من الصعيد الشعبي الى الصعيد الرسمي . فقد نشبت الثورة الفلسطينية الكبرى في ابريل ١٩٣٦ بينما كانت المفاوضات المصرية البريطانية تجري لحل القضية المصرية . وقد عقد النحاس باشا مع المستر ايدن جلسة خاصة ناقش فيها المسالة الفلسطينية ، وبين له ان مشروع التقسيم لا يمكن ان يكون حلا مرضيا كما أوضح ان (موطن الحرج في موقف الامم المجاورة لفلسطين هو انها لا يمكن ان تغفل عن المحنة التي يعانيها القطر الشقيق (١١٧)) ثم ترك النحاس باشا للصحف المصرية الحرية في نشر اخبار الثورة الفلسطينية والاشادة ببطولات الفلسطينيين وابراز تعاطف الشعب المصري ومشاركته لهم .

مراجع وهوامش

١ ــ انيس صايغ ــ الفكرة العربية في مصر ، بيروت ١٩٥٧ ص ١١٧ .

٢ ــ محمد عمارة ــ الاعمال الكاملة للافغاني ــ دار الكاتب العربي ــ القاهرة ١٩٦٨ ص ٣٤ .

٣ ــ د. احمد سويلم العربي ــ المجتمع العربي وتطوراته الاجتماعية والسياسية ــ الانجلو ــ القاهرة ١٩٦٠. ــ ١٩٦٦ ــ ص ٢٠٧ .

٤ ــ العروة الوثقى مجموعة مقالات وأخبار • المكتبة الاهلية ــ القاهرة ١٩٢٧ .

٥ ــ ساطع الحصري ــ ما هي القومية ص ٢٥٨ نقلا عن محمد عمارة ــ العروبة في العصر الحديث ــ دار الكاتب العربي ــ القاهرة ١٩٦٧ .

٦ ــ عبد العظيم رمضان ــ تطور الحركة الوطنية ١٩١٨ ــ ١٩٣٦ ــ دار الكاتب العربي ــ القاهرة ١٩٧٢ ــ ص ٣٦ .

٧ ــ د. عبد العظيم رمضان ــ تطور الحركة الوطنية ١٩٣٧ ــ ١٩٤٨ ــ الوطن العربي ــ بيروت ــ ١٩٧٤ ــ ص ٢٨٤ .

٨ ــ د. يونان رزق ــ الحياة الحزبية في مصر ١٨٨٢ ــ ١٩١٤ ــ القاهرة ١٩٧٢ ــ ص ١٧ .

٩ ــ د. احمد عبد الرحيم مصطفى ــ تطور الفكر السياسي في مصر الحديثة ــ القاهرة ١٩٧٤ ــ ص ٧٢ .

١٠ ــ المصدر السابق ص ٧٧ .

١١ ــ عبد العظيم رمضان ــ الحركة الوطنية من ١٩٣٧ ــ ١٩٤٨ ــ ص ٢٨٥ .

١٢ ــ عبد الرحيم مصطفى ــ مصدر سابق ص ٧٨ .

١٣ ــ عبد العظيم رمضان ــ الحركة الوطنية ١٩٣٧ ــ ١٩٤٨ ــ ص ١٨٦ .

١٤ ــ المنار الجزء ٣ مجلد ٩ ص ١٥١ ــ ١٥٢ ــ ١٩١٦ .

١٤ م ــ مجلد العصور يوليو ١٩٢٨ .

١٥ ــ المصدر السابق .

١٦ — د. حسني الخربوطلي — القومية العربية من الفجر الى الظهر ص ١٥٩ نقلا عن محمود فياض .

الصحافة الادبية في مصر فترة ما بين الحربين رسالة دكتوراه غير منشورة ص ٢٣٢ .

١٧ — الوقائع المصرية ١٩ ديسمبر ١٩١٤ .

١٨ — المعرفة اكتوبر ١٩٣١ .

١٩ — السياسة الاسبوعية العدد الاول ٣٠ اكتوبر ١٩٢٢ .

٢٠ — رشيد رضا — الامام المجاهد — ص ١٢٩ سلسلة اعلام العرب ٣٢ .

٢١ — الفتح العدوان ٢١٤ ، ٢١٥ .

٢٢ — محمود فياض — الصحافة الادبية في مصر فترة ما بين الحربين . رسالة دكتوراه غير منشورة — ص ١١٤ .

٢٣ — د. انيس صايغ — الفكرة العربية في مصر — بيروت ١٩٥٧ — ص ٨٧ .

٢٤ — د. عبد الرحمن البزاز — بحوث القومية العربية — بيروت ٥٨ — ص ٢١٨ .

٢٥ — د. انيس صايغ — مصدر سابق ص ٨٩ .

٢٦ — صلاح عيسى — الثورة العرابية — القاهرة ١٩٧٢ ص ٢١٣ .

٢٧ — د. عبد الرحيم مصطفى — تطور الفكر السياسي في مصر الحديثة — معهد الدراسات العربية — القاهرة ١٩٧٣ — ص ٤٧ .

٢٨ — المصدر السابق ص ٤٨ .

٢٩ — انيس صايغ — مصدر سابق ص ١٢٩ .

٣٠ — د. عبد الرحيم مصطفى — مصدر سابق ص ٤٩ .

٣١ — صدرت طبعته الاولى سنة ١٩٣٧ .

٣٢ — صدر سنة ١٩٥٣ .

٣٣ — محمود فياض — مصدر سابق ص ٢٥٦ .

٣٤ — د. انيس صايغ — مصدر سابق ص ١٣١ — ١٣٤ .

٣٥ ـ المقتطف ـ تراث مصر القديمة ـ مقال للاستاذ حسين مؤنس . سبتمبر ١٩٣٩ ـ ص ٣ .

٣٦ ـ المقتطف مارس ١٩٢٦ .

٣٧ ـ انور الجندي ـ الصحافة السياسية في مصر فترة ما بين الحربين ـ القاهرة ١٩٦٢ ـ انيس صايغ ـ مصدر سابق ص ١٩٣٦ .

٣٨ ـ انيس صايغ ـ مصدر سابق ص ١٣٩ .

٣٩ ـ احمد طربين ـ الوحدة العربية ١٩١٦ ـ ١٩٤٥ ـ القاهرة ١٩٦٨ ص ١٨٩ ـ ١٩١ .

٤٠ ـ محمد عوض محمد ـ نهر النيل ـ القاهرة ١٩٥٤ ص ١٣٨ .

٤١ ـ د. عبد الرحيم مصطفى ـ تطور الفكر السياسي في مصر الحديثة ـ معهد الدراسات العربية ـ القاهرة ١٩٧٣ ـ ص ٨٦ .

٤٢ ـ المصدر السابق ص ٨٧ .

٤٣ ـ د. محمد انيس ورجب حراز ـ التطور السياسي للمجتمع المصري الحديث ـ النهضة العربية ـ القاهرة ١٩٧٢ ـ ص ١٠٨ .

٤٤ ـ المصدر السابق ـ ص ١١٤ .

٤٥ ـ ذوقان قرقوط ـ تطور الفكرة العربية في مصر ـ رسالة ماجستير ١٩٧١ ـ جامعة القاهرة ـ ص ١٢٢ .

٤٦ ـ المصدر السابق ـ ص ١٢٨ .

٤٧ ـ محمد عمارة ـ العروبة في العصر الحديث ـ دار الكاتب العربي القاهرة ١٩٦٧ ـ ص ١٥٨ .

٤٨ ـ جاكوب لانداو ـ الحياة النيابية والاحزاب في مصر من ١٨٦٦ ـ ١٩٥٢ ترجمة سامي الليثي ـ مكتبة مدبولي ـ القاهرة ١٩٧٤ ـ ص ٨٢ .

٤٩ ـ صلاح عيسى ـ مصدر سابق .

٥٠ ـ محمد عمارة مصدر سابق ص ٢٧٥ .

٥١ ـ صلاح عيسى مصدر سابق ص ٣٠١ .

٥٢ — عبد العظيم رمضان — تطور الحركة الوطنية في مصر من ١٩٣٧ — ١٩٤٨ .
الجزء الثاني — الوطن العربي — بيروت ١٩٧٣ ص ٢٣٣ .

٥٣ — المصدر السابق ص ٢٣٤ .

٥٥ — لطفي السيد — تأملات في الفلسفة والسياسة والاجتماع نقلا عن محمد عمارة .
مصدر سابق ص ١٦٠ .

٥٦ — د. حازم نسيبة .
القومية العربية (فكرتها — نشأتها — تطورها) بيروت ١٩٥٩ — ص ١٦٠ .

٥٧ — أنيس وحراز مصدر سابق ص ٢٩٥ .

٥٨ — المصدر السابق ص ٣٠١ .

٥٩ — المصدر السابق ص ٣٠٩ .

٦٠ — عبد العظيم رمضان مصدر سابق ص ٢٣٥ .

٦١ — د. أنيس صايغ — الفكرة العربية في مصر — بيروت ١٩٥٧ ص ٨٩ .

٦٢ — المصدر السابق ص ٩١ .

٦٣ — محمد أنيس وحراز مصدر سابق ص ٣٠٤ .

٦٤ — المصدر السابق ص ١١٦ .

٦٥ — أنيس صايغ مصدر سابق ص ١١٢ .

٦٦ — الاستاذ — السنة الاولى ٢ يناير ١٨٩٣ .

٦٧ — انيس صايغ مرجع سابق ص ١٩٣ .

٦٨ — محمد أنيس الجذور التاريخية لثورة يوليو ص ٩٦ .

٦٩ — عبد القادر ياسين بحث عن موقف الشيوعيين المصريين من القضية الفلسطينية.
غير منشور .

٧٠ — عبد الرحيم مصطفى مصدر سابق ص ٦٢ .

٧١ — أنيس صايغ مصدر سابق ص ٢١٠ .

٧٢ — عبد العظيم رمضان مصدر سابق ص ٢٣٧ .

٧٣ ـ المصدر السابق ص ٣٣٨ .

٧٤ ـ الرابطة الشرقية العدد الاول ١٥ أكتوبر ١٩٢٨ .

٧٥ ـ المصدر السابق .

٧٦ ـ عبد العظيم رمضان ص ٣٣٨ .

٧٧ ـ محمد حسين هيكل مذكرات جـ ١ ص ١٠٤ .

٧٨ ـ المصدر السابق ص ١٠٥ .

٧٩ ـ ملحق السياسة الادبي ١٤ أكتوبر ١٩٣٢ ـ مقال بعنوان (الفكرة الشرقية) .

٨٠ ـ ملحق السياسة الأدبي ١٤ أكتوبر ١٩٣٢ ـ مقال لعبد الوهاب عزام (واجب الشرقيين اليوم) .

٨١ ـ انيس صـــايغ مصـــدر سابق ص ٢٠٢ .

٨٢ ـ الرابطة العربية : ٢ فبراير ١٩٣٨ ص ١٨ .

٨٣ ـ ساطع الحصري : محاضرات في نشوء الفكرة القـومية نقـلا عـن محمد انيس ورجب حراز ـ التطور السياسي للمجتمع المصري الحديث ـ ص ٢١٣ .

٨٤ : عبد العظيم رمضان : الحركة الوطنية في مصر من ١٩٣٧ ـ ١٩٤٨ الوطن العربي ـ بيروت ـ ص ٣٤٤ .

٨٥ ـ عبد القادر ياسين : بحث مصر والقضية الفلسطينية . غير منشور ص ٩ .

٨٦ ـ ذوقان قرقوط : التطور والفكرة العربية في مصر ـ ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة ١٩٧١ ـ ص ٢٢٨ .

٨٧ ـ عبد العظيم رمضان : الحركة الوطنية من ١٩٣٧ ـ ١٩٤٨ ص ٣٤٥ .

٨٨ ـ ذوقان قرقوط : مصدر سابق ص ٢٣٠ .

٨٩ ـ عيسى السفرى : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ـ الجزء الاول .

٩٠ ـ طارق البشرى : الحركة السياسية في مصر من ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢ . ص ١٢٢ ـ الكاتب العربي ـ القاهرة ١٩٧٢ ص ١٣٧ .

٩١ ـ محمد علي الطاهر : ظلام السجون ـ القاهرة ١٩٣٨ .

٩٢ — السياسة الاسبوعية : ٧ سبتمبر ١٩٢٩ .

٩٣ — السياسة الاسبوعية : ٢٨ سبتمبر ١٩٢٩ .

٩٤ — البـــلاغ : ٢٨ أغسطس ١٩٢٩ .

٩٥ — السياسة اليومية : ٥ أكتوبر ١٩٣٠ .

٩٦ — طارق البشرى : مصدر سابق ص ٦٨ محمد انيس وهراز ص ١٩٤ .

٩٧ — عبد العظيم رمضان : مصدر سابق ص ٣٠٠ .

٩٨ — طارق البشرى : مصدر سابق ص ٦٩ .

٩٩ — د. عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسي في مصر الحديثة — القاهرة ١٩٧٣ .

١٠٠ — حسن البنا : مذكرات الدعوة الداعية — ص ١٤٤ — ١٤٥ .
د. اسحق الحسيني : الاخوان المسلمون كبرى الحركات الاسلامية الحديثة ص ٢٢ .

١٠١ — Christina Harris : Nationalism and Revolution in Egypt. London, 1968. P. 182.

١٠٢ — جريدة الاخوان المسلمين (جمادى الاولى ١٣٥٢ (١٩٣٣)

١٠٣ — أحمد حسين : ايماني — الطبعة الثانية / القاهرة ١٩٧١ ص ٦٦ .

١٠٤ — عيسى السفري : فلسطين بين الانتداب والصهيونية — الجزء الاول ص ١٩٥ .

١٠٥ — عبد العظيم رمضان : مصدر سابق ص ٣١٢ .

١٠٦ — مجلة الاخوان المسلمين : في ٨ ذو القعدة ١٣٥٢ هـ مقال لحسن البنـــا — بعنوان (قومية الاسلام) .

١٠٧ — مجلة الاخوان المسلمين : ٢٢ ذي القعدة ١٣٦٢ هـ .

١٠٨ — حسن البنا : مذكرة الدعوة والداعية — ص ٢٢٢ .

١٠٩ — H. Gibb : Within Islam - London. 1951, P. 121.

١١٠ — Ibid : PP. 106 - 109 .

١١١ ــ د. انيس صايغ : الفكرة العربية في مصر ص ١٩٨ .

١١٢ ــ مجلة الرابطة العربية : العقد الاول ٢٧ مايو ١٩٣٦ .

١١٣ ــ عبد العظيم رمضان : الحركة الوطنية ١٩٣٧ ــ ١٩٤٨ ــ ص ٣٥٢ .

١١٤ ــ Palestine : A study of Jewish ... op. cit., P. 76L.

١١٥ ــ الهلال ابريل ١٩٣٩ .

١١٦ ــ انيس صايغ : مصدر سابق ١٧٣ .

١١٧ ــ المصور : ٣٠ اكتوبر ١٩٣٦ .



٢

القوى السياسية في مصر وقضية فلسطين

١ ـ الحركة الوطنية المصرية والقضية الفلسطينية

لقد لعبت القضية الفلسطينية دورا اساسيا في تطوير وتعميق الحس العربي لدى المصريين منذ نشوء هذه القضية في اعقاب الحرب العالمية الاولى . كما أن هذه القضية بتطوراتها والملابسات التي صاحبتها وصراعاتها المعقدة ضد الاستعمار الصهيوني البريطاني ، كانت ميدانا رئيسيا ادركت من خلاله القوى الوطنية وعلى الاخص الحركة الوطنية المصرية العلاقة العضوية التي تربط حركات التحرر الوطني في المنطقة العربية ، كما ادركت ان وحدة الجبهة الاستعمارية التي تقف هذه القوى في مواجهتها تحتم على هذه القوى ضرورة التوحد والتنسيق والتكامل ازاء العدو الواحد ، وقد تحققت هذه النتيجة عبر طريق طويل من التخبطات ومحاولات عديدة من جانب الحركات الوطنية العربية سعيا وراء تلمس الطريق الصحيح ، وقد حدث ذلك بفضل كفاح جيل كامل ونتيجة نشوب حرب عالمية ثانية وانتشار واسع للفكر الاشتراكي . وقد تمخض النضال الوطني في مصر بعد الحرب العالمية الاولى عن صدور تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذي اعلن انتهاء الحماية البريطانية والاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة (رغم التحفظات الاربعة) . وتبلورت الحركة الوطنية المصرية في نطاقها المحلي مع المطالبة بوحدة مصر والسودان ، وكان موقفها من البلاد العربية وفلسطين بوجه عام موقف التعاطف وتبادل الاصداء فقط ولم يصل الى المشاركة أو التضامن الفعلي سوى في نهاية الثلاثينيات ، وكان هذا يرجع الى اسباب موضوعية واخرى ذاتية يمكننا تلخيصها فيما يلي :

الاسباب الموضوعية :

١ ـ التناقض بين الحركتين الوطنيتين في مصر والشام : فقد عمد الاحتلال البريطاني الى خلق هذا التناقض عندما جعل قضية مصر تختلف موضوعيا عن قضية المشرق العربي ، فقد ادى التناقض البريطاني العثماني الى التعارض بين الحركات الوطنية بينما كانت الحركة الوطنية في مصر تكافح السيطرة البريطانية وتتطلع الى مساعدة الدولة العثمانية ، كانت الشعوب العربية في المشرق تكافح في سبيل تحررها من السيطرة العثمانية وتتطلع الى تأييد الدول الاوروبية . وعرفت مصر اللاجئين اليها من احرار سوريا ممن ينظرون الى بريطانيا غير نظرة مصر اليها . كما عرفت الكثيرين من الشوام الذين أتى بهم الانجليز لمعاونتهم في حكم مصر ، مما خلق مزيدا من الحواجز بين مصر والمشرق العربي . وقد حسمت الحرب العالمية الاولى الموقف بهزيمة تركيا وتقسيم المنطقة وتكتل الاستعمار الاوروبي (الانجليزي والفرنسي) ازاء حركة التحرر الوطني في المشرق العربي وأسفر هذا عن اعلان الحماية البريطانية على مصر وتقسيم سوريا والعراق بين بريطانيا وفرنسا وصدور وعد بلفور بانشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين . ولكن انتهاء التناقض الموضوعي بين الحركتين الوطنيتين نتيجة هزيمة تركيا في الحرب لم يؤد الى الترابط او التوحد بين الحركة الوطنية في مصر وفي فلسطين . اذ ان تقسيم المنطقة بين انجلترا وفرنسا ادى الى نشوء حركات وطنية محلية مرتبطة بالتركيب الاجتماعي والاقتصادي لكل قطر على حدة . وظلت المؤسسات السياسية التي تجابهها الحركة الوطنية كالدولة وسلطة الاحتلال والعمل من خلالها كالاحزاب محددة بالاطار المحلي . وقد ساعد هذا على تكريس العزلة والتباعد بين الحركة الوطنية في مصر وفي فلسطين .

٢ ـ ان بريطانيا حين اصدرت وعد بلفور اخذت في الاعتبار امكانية استخدام الصهيونية في مواجهة حركة التحرر الوطني في المشرق العربي وفي مصر بالذات اذ تشكل فلسطين كما يقول كيزون (خط الدفاع الاستراتيجي بالنسبة لمصر وانه اذا وجب ان تدافع عن القناة في المستقبل وهي الجهة الضعيفة في مصر فسيتم ذلك من جهة فلسطين (١)) ، ولا شك ان هذا الضمان كان موجها الى الحركتين الوطنيتين معا مستهدفا القضاء على احتمال توحدهما .

وقد لعب الشعور بخطر الصهيونية دورا هاما في تعميق الانقسام والتباعد بين الحركات الوطنية في العالم العربي ، فضلا عن الاوضاع التي فرضتها القوى الاستعمارية في المنطقة . وقد صور ساطع الحصري في كتابه (يوم ميسلون) هذه الحقيقة عند وصفه الاتجاهات الاقليمية في الحركة القومية العربية الواحدة كتب يقول : (فهذا فلسطيني يعتبر الصهيونية أول ما يجب ان يهتم به من المشاكل وذاك سوري يرى في اطماع فرنسا اكبر الاخطار التي تهدد القضية العربية وذلك عراقي يقول بوجوب الثورة ضد الانجليز قبل اي شيء (٢)) .

وفي يوليو ١٩٢٠ حسم احتلال فرنسا لسوريا الشمالية وتصفية حكومة فيصل العربية وتوطيد التقسيم الاستعماري بين فرنسا التي احتلت سوريا ولبنان وبريطانيا التي احتلت العراق وفلسطين كل هذا حسم الموقف بالنسبة للحركة العربية ودفعها الى وجهة اقليمية .

٣ ـ استخدام بريطانيا للصهيونية باعتبارها دعوة عنصرية كركيزة لاثارة الطائفية في فلسطين والدول العربية المجاورة بأن تكون قاعدة بشرية تخلق ما تستطيع خلقه من ردود الفعل الدينية في هذه البلاد ، بما يحرف الحركة الوطنية عن اتجاهها

السياسي والاجتماعي الصحيح الى مسارات عنصرية وطائفية . وقد حاولت بريطانيا اتباع هذه السياسة في مصر بأن ضمنت تصريح ٢٨ فبراير تحفظات يتعلق بعضها بحقها في حماية الاقليات كمحاولة لخلق ركيزة طائفية لها في الداخل . كما حاولت بعثات التبشير خلق اقليات دينية لضرب الحركة الوطنية واجبارها على اتخاذ ردود فعل دينية . ولكن استطاعت حركة الوفد في مصر أن تحبط سياسة اثارة الطائفية بين المسلمين والقبط وان تحبط ايضا محاولات البعثات التبشيرية في هذا الصدد ، ولكن جهود الوفد اقتصرت على النطاق المحلي فقط نتيجة لقصور ادراك الوفد في ذلك الحين لاهمية البعد العربي وارتباطه بالحركة الوطنية المصرية .

٤ ـ اختلاف طبيعة الصراع واطرافه الرئيسيين في كل من مصر وفلسطين . ففي مصر كان الصراع اكثر وضوحا وتحديدا عنه في فلسطين. فقد كان صراعا بين احتلال بريطانيا العسكري وشعب يدافع عن حريته واستقلاله ، وقد حدد هذا منذ البداية طبيعة الصراع واساليب مواجهته . أما في فلسطين فقد كان على الشعب العربي أن يجابه شكلين من الاستعمار.. الاستعمار البريطاني والاستعمار الصهيوني ، وكان أحدهما استعمارا سياسيا اقتصاديا عسكريا والثاني استعمارا استيطانيا . وقد حدد هذا كله طبيعة الصراع ، فهو صدام بين الاستعمار السياسي العسكري الاستيطاني من جهة وبين ارادة التحرر والاستقلال والمحافظة على الوطن من جهة اخرى . ولقد فرضت طبيعة الجاليات الصهيونية أن يكون الصدام شاملا : فالجاليات الصهيونية في فلسطين ليست شعبا بالمعنى المتعارف عليه ، بل هي موجات هجرة تدفعها أهداف سياسية واقتصادية واجتماعية . وفيما يتعلق بالاهداف السياسية فهي تختلف عن اية حالة أخرى في

العالم ، لاختلاف اهداف الهجـرة الصهيونية والحركـة الصهيونية عن اية هجرة اخرى (٣) .

وكانت هذه الطبيعة الشامـلة للصدام بين المجتمـع الصهيوني والمجتمع العربي وبين المطامع الصهيونية والحقوق العربية واضحة منذ البدء . وقد اشار تقرير اللجنة الملكية سنة ١٩٣٧ الى هذه الحقيقة محاولا توضيح طبيعة الصدام فأشار الى (أن اللجنة كانت تتوقع ان تجد أمتين تتحاربان في نطاق واحد . فقد ثبت ان اندماج العرب واليهود معا امر مستحيل حدوثه فالعرب يرون أن كل ما يمكن أن يصل اليه اليهود هو أن يتبوأوا المكان الذي تبواوه في مصر العربية او في اسبانيا العربية في السابق . أما اليهود فيرون أن العرب لا مكان لهم بينهم وان شأنهم معهم لن يختلف عن شأنهم مع الكنعانيين الذين كانوا يقيمون فيأرض اسرائيل القديمة (٤)) .

٥ ـ اختلاف اسـاليب كل من الحركتـين الوطنيتين المصريـة والفلسطينية لمواجهة الخصم الاستعماري . ففيما يتعلـق بمصر فقد بلورت الحركة الوطنية موقفها النضالي حول شعار الجلاء الذي ظل مطروحا منذ ظهور مصطفى كامل ومحمد فريد .. وبقي مطلب الجلاء بعد اشتعال ثورة ١٩١٩ كما استمر بعد تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ، مما أبرز مدى وعي الحركة الوطنية المصرية بمناورات الانجليز . والواقع ان الشـعب المصري لم تضلله كافـة مناورات السياسة البريطانية من تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الى معاهدة ١٩٣٦ ، ولم تنل منه اساليب القمع والعنف ولا حكم اليد الحديدية لمحمد محمود سنة ١٩٢٨ ولا حكم اسماعيل صدقي ١٩٣٠ .. بل ظل مدركا أن عماد الاستعـمار في مصر هو الاحتـلال العسكري مهما كانت الحجج التي يبرر بها وجوده . أمـا الحركة الوطنية الفلسطينية فقد انتابتها في البداية موجة من الحيرة الى اين توجه ضربتها .. الى الحركة الصهيونية ام

الى البريطانيين أم اليهما معا . ومما ضاعف صعوبة الاختيار تداخل الاستعمار البريطاني والاستعمار الاستيطاني الصهيوني ، وقد اختارت الحركة الوطنية الفلسطينية أسلوب مهاجمة معسكر واحد من معسكرات الخصم وليس الاشتباك مع قوى الخصم كلها . وكان تقدير الحركة الوطنية الفلسطينية انها لا تستطيع مواجهة الاستعمار البريطاني ذلك الحين (العشرينيات) وان الهدف المرحلي هو وقف الهجرة واحباط وعد بلفور . ومن ثم اختارت ضربتها الرئيسية ضد الحركة الصهيونية محاولة أن تحيد السلطات البريطانية وان تجعل من بريطانيا حكما والحركة الصهيونية خصما . وقد ظل الامر كذلك طوال العشرينيات ، ولم يتبلور موقف الحركة الوطنية الفلسطينية وتتمكن من تحديد عدوها الرئيسي سوى سنة ١٩٣١ . وقد بلور هذا الاتجاه حزب الاستقلال العربي (١٩٣١ ــ ١٩٣٣) ، ومنذ ذلك الحين بدات الحركة الوطنية توجه ضرباتها الرئيسية ضد حكومة الانتداب .

وفيما يتعلق بالحركة الوطنية المصرية فان قيادتها الممثلة في الوفد لم تستطع طوال العشرينات والثلاثينات أن تتفرغ لقضية الصراع ضد الانجليز من اجل تحقيق الاستقلال ، كما بدات في ثورة ١٩١٩ ، اذ اضطر الوفد في تلك المرحلة في (الفترة ما بين الحربين العالميتين) الى أن يخوض معركة الدستور ضد القوى المنسلخة منه والتي وضعت نفسها في خدمة السراي او الانجليز ، وكان الوفد باتباعه الاساليب المشروعة في الكفاح عاجزا عن تحقيق اية مكاسب وطنية أو ديمقراطية في معركته ضد السراي أو معركته ضد الانجليز .

اما بالنسبة للحركة الوطنية الفلسطينية فقد اختلف أسلوب المواجهة بسبب وجود العنصر الصهيوني كجزء أساسي من عملية الصراع . فالطبيعة العدوانية العرقية الاستفزازية للحركة الصهيونية والتي تمثلت في تصريحات المسئولين في الحركة

الصهيونية حول تحويل فلسطين الى وطن قومي يهودي والاصرار على تدفق الهجرة بلا حدود علاوة على احتلال الاراضي واجلاء الفلاحين العرب بالقوة ، فضلا عن عمليات تسليح اليهود واحلال العمال اليهود محل العمال العرب . كل هذه العوامل ساعدت على تأجج الحركة الوطنية الفلسطينية ووحدتها . وقد اتخذ ذلك شكل انتفاضات شعبية أبرزها انتفاضة القدس سنة ١٩٢٠ واضطرابات ١٩٢١ ثم أحداث البراق ١٩٢٩ واضطرابات سنة ١٩٣٣ واخيرا ثورة ١٩٣٦ . والواقع ان الضغوط التي كانت تفرضها حكومة الانتداب البريطاني فضلا عن طبيعة الاستعمار الاستيطاني القائمة على احتلال الارض ، كل ذلك كان يدفع القيادة الفلسطينية الوطنية في فلسطين الى اتخاذ مواقف راديكالية تتعارض في معظم الاحيان مع تكوينها الطبقي والاجتماعي الذي لم يكن يسمح لها بأكثر من تقديم الاحتجاجات وارسال وفود الى لندن لاقناع المسئولين فيها بعدالة القضية الفلسطينية .

الاسباب الذاتيــة :

وهناك اسباب ذاتية ساعدت على تباعد الحركتين الوطنيتين المصرية والفلسطينية وحالت دون التقائهما خلال العشرينات وحتى نهاية الثلاثينات تتلخص في : ـــ

اولا : التركيب الاجتماعي والطبقي للقيادة الوطنية في كل من مصر وفلسطين . فقد كانت قيادة الحركة الوطنية في مصر التي كان يمثلها حزب الوفد تتكون في البداية من البورجوازية الزراعية الكبيرة والبورجوازية التجارية والصناعية النامية ثم تعرضت لمجموعة من الانسلاخات كان أبرزها سنة ١٩٢١ من جانب مجموعة كبار الملاك الزراعيين الذين الفوا ١٩٢٢ حزب الاحرار الدستوريين وهو الحزب الذي كانت انجلترا تعتقد انه يمثل التوازن بين السراي من ناحية والوفد من ناحية أخرى .

وهذا الحزب اقرب الى مهادنة الانجليز ، ثم تلا ذلك انسلاخ اخر سنة ١٩٣٢ من جانب المجموعة التي كانت تمثل بعض قطاعات الراسمالية النامية . والانسلاخ الاخير كان سنة ١٩٣٧ من جانب السعديين وهم يمثلون اصحاب المصالح الصناعية في المقام الاول . وقد أدت هذه الانسلاخات الى اقتصار الوفد على الطبقة الوسطى مما ساعد علي تقريب الفجوة بين قيادة الوفد وقواعده الجماهيرية . أما في فلسطين فقد تألفت الحركة الوطنية الممثلة في اللجنة التنفيذية العربية اساسا من كبار الملاك وابناء العائلات الاقطاعية ، أمثال عائلات الحسيني والنشاشيبي وعبد الهادي . وقد ضمت الى جانب هؤلاء التجار واصحاب المهن الحرة أمثال « الاطباء والمهندسين والمحامين » .

ولم تعكس الحركة الوطنية الفلسطينية القوى الاجتماعية التي اضيرت من سياسة الاستعمار البريطاني والصهيونية .. ويرجع هذا الى ضعف هذه الطبقات والفئات الاجتماعية على المستوى السياسي برغم ان العمال الفلسطينيين كانوا قد اقاموا اول منظمة نقابية لهم سنة ١٩٢٥ ، ولكنها كانت محدودة الاثر واقتصر نشاطها على العمال في حيفا في البداية . وقد كانت البورجوازية الفلسطينية جنينية عند بداية الانتداب ، وقد تطورت ببطء شديد بسبب المنافسة الصهيونية وسيطرة بريطانيا على الاقتصاد الفلسطيني . ولذلك لم تصل الى مركز قيادي في الحركة الوطنية .

وقد لعبت سلطات الانتداب دورا هاما في ترتيب قواعد اللعبة السياسية وتوزيع رؤوس العائلات الاقطاعية على المناصب الهامة في الدولة فعينت امين الحسيني مفتيا للقدس ورئيسا للمجلس الاسلامي سنة ١٩٢٢ وعينت راغب النشاشيبي رئيسا لبلدية القدس .

وقامت حكومة الانتـداب بادارة الصراع بين العائلتين لصالح الانتداب والصهيونية ، وقد اتخذ هذا الصراع في هذه المرحلة شكل صراع بين عناصر اقل مهـادنة للانجليز هم المجلسيين (عائلة الحسيني وانصارها) وعناصر أكثر مهادنة وهم المعارضون الذين تكتلوا حول عائلة النشاشيبي . وقد دفعت الحركة الوطنية الفلسطينية ثمنا باهظا نتيجة هذا الصراع . فقد أدى هذا الصراع الى استنزاف الحركـة الوطنية وتوجيهها الى معارك جانبية مما ساعد على تعميق العصبية العائلية ، كما ادى الى اقحام الدين كعامل أساسي في الصراع . وقد أضفى هذا طابعا سلبيا على الحركـة الوطنيـة ككل . ومما قوى هذا الاتجـاه الدينـي اعتماد الصهيونية على الدين اليهودي سواء في تركيبتها الايديولوجية او ممارستها اليومية حتى ان احداث البراق اندلعت اساسا بسبب خلاف جوهري قومي ولكن ظاهره ديني .

وظلت السياسة البريطانية تعمل في فلسطين طـوال العشرينات على توجيه طاقات الفلسطينيين نحو اليهود واثارة الخلافات الشخصية بين المجلسيين والمعارضين وخلقت بعض الاحزاب المؤيدة لسياستها ودفعت أحزابا أخرى الى أخذ مواقف معادية .

ولم يكن التكوين الفكري والسياسي للقيادة الوطنيـة الفلسطينية آنذاك يسـمح لهـا بفهم الاعيـب الاستعمار البريطاني على حقيقتها .

كما ان ضعف ثورية هذه القيادة بسبب تركيبها الطبقي والاجتماعي جعلها طوال السنوات العشر الاولى من الانتداب تدعو الى تحقيق اهدافها بالوسائل السلمية .

ثانيا : لقد ترتب على اختلاف التركيب الطبقي والاجتماعي لكل من الحركتين الوطنيتين المصرية والفلسطينية فروق هامـة في

مستوى النضج السياسي ، يضاف الى ذلك قدم التجربة السياسية في مصر عنها في فلسطين ، ويرجع ذلك الى احتكاك مصر المبكر بالفكر والحضارة الاوروبيين منذ الحملة الفرنسية في أواخر القرن ١٨ ثم تجربة الاستعمار البريطاني سنة ١٨٨٢ ، بالاضافة الى البعثات التعليمية التي اتجهت الى أوروبا خلال القرن ١٩ .

وأما بالنسبة لفلسطين فقد ظلت لعدة قرون ولاية عثمانية يسودها الجهل والتخلف وتحكمها القبلية والاسرية ، ولم تزد تجربتها السياسية عن المجالس البلدية التي كانت تشترك في ادارة المدن ، ومجلس « المبعوثان » الذي كان يضم عددا محدودا من عرب فلسطين يؤمنون بتبعيتهم المطلقة لتركيا ، باعتبارها مركز الخلافة وحامية حمى الاسلام (٥) .

وقد ترتب على هذا العامل وهو عدم نضج عرب فلسطين سياسيا أن ظلوا طوال فترة الادارةالعسكرية والمدنية يحسنون الظن ببريطانيا يأملون في تحييدها وامكانية كسبها الى جانبهم في صراعهم ضد الصهيونية . ولكن بعد أن عاشوا تجربة الانتداب البريطاني كاملة ولمسوا تشبث بريطانيا بسياستها التي أعلنتها في الكتاب الابيض سنة ١٩٢٢ والتي تنص على العمل على تسهيل اقامة الوطن القومي لليهود ، حينئذ ومن بداية الثلاثينات أدركت الحركة الوطنية الفلسطينية أن كل الجهود التي بذلتها لاقناع الحكومة البريطانية بتنفيذ سياستها قد ذهبت سدى .

ثالثا : افتقاد الرؤية الشاملة لدى كل من الحركتين المصرية والفلسطينية للاستراتيجية البريطانية في المنطقة العربية . والواقع أن الحركة الوطنية المصرية لم تدرك أن الاحتلال البريطاني لمصر ليس مصدره فقط الرغبة في استغلال أرضها وقوة عملها ولكن أساسه أيضا السيطرة على شريان حيوي من

شرايين المواصلات العالمية الذي يربط بين الغرب والشرق ، وكان هذا هدفا سياسيا له من الاهمية ما يجعله مقصودا لذاته . ولم يكن من السهل ادراك جانبه الاقتصادي الا بنظرة شاملة تستوعب ظروف المرحلة التاريخية عالميا ومحليا وعربيا . وقد ترتب على ذلك عدم ادراك العلاقة بين انتداب بريطانيا لفلسطين ووعد بلفور والوجود البريطاني في مصر وعلاقة ذلك كله بالاستراتيجية البريطانية ليس في المنطقة فحسب بل استراتيجية الاستعمار البريطاني ككل وعلاقة احتلال مصر والانتداب على فلسطين بمصالح بريطانيا في الهند وغيرها من بلاد الشرق . وقد ادى ذلك الى استغراق كل حركة من الحركتين داخل تفاصيل واقعها المحلي وافتقاد الرؤية الشاملة . وبالتالي افتقاد الخط السياسي الملائم للظرف التاريخي المطروح آنذاك .

واستخلاصا مما سبق .. وقبل أن ننتقل الى مرحلة الثلاثينات التي شهدت تقاربا مصريا فلسطينيا على عدة مستويات شعبية ورسمية نود أن نورد ملاحظتين : ـ

اولاهما : انه رغم التباعد والاختلاف بين ظروف المجتمع الفلسطيني والمجتمع المصري من حيث التركيب الاجتماعي والسياسي ونوعية الخطر الاستعماري الذي كان يتعرض له كل منهما ، فقد لوحظ وجود سمات مشتركة بين قيادة الحركة الوطنية في كل من مصر وفلسطين . فالوفد قيادة الوطنية المصرية كان يشبه في أوجه كثيرة اللجنة التنفيذة العربية التي تولت قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية طوال العشرينات الى منتصف الثلاثينات من حيث أن كلا منهما كان يمثل تجمعا وطنيا أكثر منه حزبا بالمفهوم الاوروبي ، بالاضافة الى تشابه استراتيجية كل منهما في مواجهة الاستعمار البريطاني . فقد اعتمد الوسائل السلمية وأسلوب المفاوضات أملا في التوصل الى تحقيق الاستقلال .

وقد اسفر ذلك عن الدوران في حلقة مفرغـة انتهت بالفشل ــ فشل كل منهما في تحقيق الاهداف الوطنية .

وكما قام الاستعمار البريطاني بخلـق ظروف الصراع والانقسام داخل الحركة الوطنية لفلسطين وظل يواصل ادارة الصراع بكفـاءة بين جناحي الحـركة الوطنيـة المجلسيين والمعارضة بحيث احتل هذا الصراع المكانة الاولى وامتص طاقة ونشاط القيادات الوطنية . كذلك فعل الاستعمار نفس الشيء في الساحة المصرية مع اختلاف في التفاصيل اذ كان الصراع هنا يدور بين الاحرار الدستوريين والـوفد حول المعركة الدستورية التي ظلت القضية الاولى طوال العشرينات وحتى منتصف الثلاثينات .

ثانيتهما : انه رغم التباعد بين الحركتين الوطنية المصرية والفلسطينية خلال العشرينات فان الصحافة الحزبية كانت تتابع القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني وتبدي تفهما عميقـا لابعاد الصراع الفلسطيني البريطاني الصهيوني . فقد عالجت قضايا الهجرة والاراضي والمؤتمرات الصهيونية والسياسية الانتدابية وهبة البراق ١٩٢٩ بفزارة وتتبع واستمرارية تدعو للتأمل وذلك خلافا للمواقف الرسمية للاحزاب المصرية من القضية الفلسطينية خلال هذه المرحلة .

ويلاحظ أن صحافة الوفد التي كانت ممثلة في البلاغ وكوكب الشرق قد عبرت عن تضامنها مع الجناح المقابل لها في الحركـة الوطنية الفلسطينية اي اللجنة التنفيذية العربية . وكذلك عبرت صحافة الاحرار الدستوريين ممثلة في صحيفـة السياسة عـن مساندتها للمعارضة (النشاشيبية) .

أما صحافة القصر التي كانت ممثلة في « الاتحاد » فقد كانت تؤيد السياسة البريطانية في فلسطين وتدعو الى التفاهم بين العرب واليهود .

مع نهايـة العشرينات وبدايـة الثلاثينات بدات امكانيـات التقارب بين الحركتين الوطنيتين المصريـة والفلسطينية نتيجـة للتغيرات التي طرات على الواقع العالمي والواقع المحلي في كل من مصر وفلسطين ـ ويمكن رصد مؤشرات التقارب فيما يلي : ـ

اولا : ادى انتعاش البورجوازية المصرية بعد صدور تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ والذي اعطى مصر قسطا من استقلالها السياسي نمت في ظله البورجوازية المصرية وتطورت وبدات تبحث عن أسواق جديدة وتبلور هذا في الزيارة التي قام بها سنة ١٩٢٨ طلعت حرب مؤسس ومدير بنك مصر لاقطار المشرق العربي لبحث امكانية فتح فروع لبنك مصر فيها . وقد كتب الدكتور هيكل بمناسبة زيارة طلعت حرب ليافا تلبية لدعوة من الغرفة التجارية هناك حيث اقترحوا على طلعت حرب ورفاقه انشاء بنك مصري ـ فلسطيني براسمال مشترك . ويعلق هيكل على ذلك بالاعراب عن امله في أن يمتد التعاون الاقتصادي الى الانتـاج المشترك بانشاء شركـات براسمال مشترك وادارة مشتركة من هذه البلدان (٦) .

واشارت المقطم الى الترحيب الذي قابلت به الاوساط الوطنية في فلسطين مشروع انشاء فرع لبنك مصر هناك . اذ اعتبروه بمثابة انقاذ وتفريج لازماتهم نتيجة بيع أراضيهم لليهود بسبب ضيق ذات اليد . قالت (فاذا وجدوا مصرفا كالمصرف المصري الذي لا ترتاب في انه سيكون رحيما بهم ناظرا الى مصلحتهم غير معتمد الاضرار بهم فانهم يلجأون اليه ويستدينون منه مـا يفرجـون به ضيقتهـم ويستثمـرون به أرضهم (٧)) . وقد تبنت السياسة الاسبوعية لسـان حال الاحرار الدستوريين هذا الاتجاه وبدات منذ ١٩٢٧ تكتب عدة مقالات عن اقطار المشرق العربي وكانت معظمها تدور حول العلاقات الاقتصادية بين مصر وفلسطين . وقد كتب محمود عزمي يطالب بانشاء فروع لبنك مصر في القدس ويافا وحيفا

وتيسير دخول الفلسطينيين الى مصر من ناحية الجوازات وتأشيرات الدخول . وقد خصص مقالا كاملا عن دعوته لتوحيد التعامل النقدي بين مصر وجارتها الشرقيـة وخصوصا فلسطين (٨) .

ثانيا : صدى حوادث البراق ١٩٢٩ في مصر :

لقد تلقى الاهتمام المصري بالقضية الفلسطينية دفعة قوية الى الامام بسبب نشوب أحداث البراق ١٩٢٩ . فقد استفزت هذه الاحداث جماع المشاعر الوطنية والاسلامية والمشاعر العربية الغامضة لدى الشعب المصري .

وقد كان رد الفعل شاملا لدى مختلف الدوائر الدينية والقومية ونشطت جمعية الشبان المسلمين لجمع التبرعات لعرب فلسطين من ضحايا الثورة وارسال برقيات الاحتجاج لعصبة الامم والحكومة البريطانية ، وعقدت في القاهرة ١٩٣٠ مؤتمرا لجمعياتها بمصر وفلسطين بحث فيه وسائل دعم التضامن الاسلامي وانشاء بنك اسلامي وجمعيات تعاونية محلية تحفظ ارض فلسطين لشعبها . وأوصت بانشاء عصبة أمم اسلامية . وسافر الى القدس كل من محمد علي علوبه واحمد زكي شيخ العروبة وعبد الحميد سعيد للدفاع عن ملكية العرب لحائط البراق امام لجنة التحقيق الدولية (٩) .

وقد اتخذت نقابة المحامين المصرية قرارا بانتداب بعض اعضائها للدفاع عن المتهمين العرب في حوادث البراق ، وتلقت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني بالقاهرة برقيات كثيرة من جميع مدن فلسطين رجا فيها مرسلوها من اللجنة أن تنوب عنهم في الاعراب عن شكرهم لنقابة المحامين والرابطة الشرقية (١٠) . كما ارسل الامير عمر طوسون برقية احتجاج الى الحكومة البريطانية بصفته الرئيس الاعلى للجنة عمارة الحرم القدسي في الديار المصرية (١١) ، وقد علقت

صحيفة الشورى على هذه البرقية قائلة : (اذا كان نداء المرحوم الزعيم سعد زغلول من اجل دمشق يعد أول صوت رفعته مصر لمصلحة جيرانها فان احتجاج سمو الامير عمر من اجل فلسطين يعد الصوت الثاني بلا شك (١٢)) .

ثالثا : اشتراك مصر في المؤتمرات التي عقدت في فلسطين في الثلاثينات لبحث تطورات القضية الفلسطينية واخطار الهجرة وبيوع الاراضي ، مثل المؤتمر الاسلامي العام الذي انعقد بالقدس عام ١٩٣١ . وقد القى عبد الرحمن عزام ممثل الوفد رسالة مصطفى النحاس الى المؤتمر باسم مصر والوفد . كما انتخب ممثل الوفد في عضوية اللجنة التنفيذية والامانة العامة للمؤتمر . وقد القى عزام خطبته في حشد يضم خمسين الفا اجتمعوا في المسجد الاقصى . وقد ابعدت حكومة الانتداب في فلسطين عبد الرحمن عزام من اراضيها لانه دعا في خطبته التي القاها في المؤتمر الاسلامي الى مساندة الشعوب الاسلامية المضطهدة سواء في روسيا او في طرابلس الغرب . وهنا ثارت ثائرة ايطاليا وتدخلت لدى حكومة فلسطين من اجل اسكات عزام أولا وتفنيد اقواله ثانيا وقد استجابت حكومة فلسطين لطلب ايطاليا . وعلقت الصحف المصرية على هذا الموقف باستنكار شديد مشيرة الى تضامن الدول الاستعمارية في مواجهة شعوب الشرق . وابدت دهشتها من موقف حكومة فلسطين خصوصا وان الحكومة البريطانية في ذلك الوقت كانت تحتضن احرار ايطاليا وخصوم النظام الفاشستي الذين تمتلىء بهم لندن ويعملون على تقويض أركان نظام الحكم في ايطاليا (فمن الغريب أن تبادر هذه الحكومة الى ابعاد رجل ذى مكانة كبيرة في قومه مثل الاستاذ عبد الرحمن عزام لانه القى خطبة عادية اظهر بها بعض العطف على شعب شرقي انزلت به ايطاليا افظع المظالم (١٣)) .

وقد نددت الصحف الوفدية بموقف الحكومة المصرية (حكومة صدقي باشا) في ذلك الوقت من الحادث لانها لم تبد أية احتجاج على موقف حكومة الانتداب في فلسطين . وعلقت البلاغ على ذلك (بأن الخصومة السياسية أعمتها عن واجب قومي لا شأن له في النزاع السياسي الداخلي (١٤)) .

موقف القوى السياسية المصرية من القضية الفلسطينية :

هناك حقيقة هامة لا بد من الاشارة اليها وهي أن التيار الشعبي في مصر هو الذي كان له السبق في معالجة القضية الفلسطينية والاهتمام بها وتتبع أخبارها وعقد المؤتمرات بشأنها وجمع التبرعات من أجل شهدائها ، وقد كانت قضية البراق سنة ١٩٢٩ هي الحادثة الاولى التي اثارت اهتمام الشعب المصري بالقضية الفلسطينية على نطاق واسع . وكانت المبادرة في ذلك الموقف للفئات الاسلامية في مصر وخاصة جمعية الشبان المسلمين التي كانت تقيم اجتماعا سنويا في ذكرى وعد بلفور علاوة على نشاطاتها الاخرى لصالح القضية . وقد انتقل الاهتمام الى سائر التنظيمات الشعبية مثل نقابة المحامين التي قررت ايفاد مجموعة من كبار المحامين المصريين للدفاع عن الاحرار الفلسطينيين الذين اعتقلتهم السلطات البريطانية في أحداث البراق . كما سافر وفد اخر موفدا من جمعية الشبان المسلمين للدفاع عن ملكية العرب لحائط البراق امام اللجنة التي شكلتها عصبة الامم للتحقيق في النزاع .

وتعتبر الصحافة المصرية في العشرينات مؤشرا هاما للاهتمام الشعبي في مصر بالقضية الفلسطينية . ففي الوقت الذي اتسم فيه موقف الحكومات المصرية ازاء القضية بالتخاذل وانعدام الاهتمام الذي وصل الى حد اتخاذ مواقف معادية ، كانت الصحافة المصرية بمختلف أجنحتها واتجاهاتها توالي العناية بتطورات القضية

الفلسطينية من كافة زواياها . وقد ساهمت بالفعل في خلق تراث من الاهتمام المصري ازاء القضية الفلسطينية . ولا شك أن الانجليز كانوا يعارضون أي اقتراب مصري من الشعب الفلسطيني والعربي، وارتبطت مصالح كبار ملاك الارض المصريين بفكرة المصرية المنعزلة عن العرب خارج الدولة وعن الشعب المصري في داخلها . وقد وقفت حكومتهم سنة ١٩٢٩ (حكومة محمد محمود) ضد ثورة شعب فلسطين . وكتبت صحيفة السياسة لسان حال الحكومة في ذلك الوقت تهدد الوطنيين الفلسطينيين في مصر بالطرد لاتهامهم باثارة الفتنة الطائفية لدى الشعب المصري وتهييجهم للراي العام (١٥) ، كذلك عندما تولى اسماعيل صدقي الوزارة سنة ١٩٣٠ وصادر واغلق كثيرا من الصحف الوطنية فضلا عن الارهاب والبطش الذي مارسه ضد الحركة الوطنية المصرية ، اغلق جريدة الشورى الفلسطينية التي كانت تصدر في مصر وكان صاحبها محمد علي الطاهر من مؤيدي حزب الوفد ، ولكنه أبقى صحيفة اسرائيل التي انشأها البرت موصيري منذ سنة ١٩٢٠ ، وكانت لسان الحركة الصهيونية في مصر . وكان صدقي من قبل وهو وزيرا للداخلية سنة ١٩٢٥ قد اعتقل الوطنيين الفلسطينيين الذين هتفوا ضد بلفور صاحب الوعد أثناء مروره على القاهرة في طريقه الى فلسطين لافتتاح الجامعة العبرية (١٦) . وكذلك أوفدت حكومة زيور باشا احمد لطفي السيد مندوبا عن الجامعة المصرية لحضور احتفالات افتتاح الجامعة العبرية سنة ١٩٢٥ ، كما اشتركت حكومة صدقي باشا في معرض تل أبيب الصهيوني الذي اقيم في ربيع سنة ١٩٣٢ متجاهلة جميع التحذيرات والنداءات التي وجهتها اليها الاوساط الوطنية في فلسطين ، فضلا عن ان المعروضات المصرية التي ارسلت الى المعرض عادتكلها الى مصر بدون أن يبتاع منها اليهود شيئا(١٧) وقد ذكر ممثل مصر في تقريره عن معرض تل ابيب اسباب ذلك الكساد الذي أصاب المعروضات المصرية في ذلك المعرض فقال (ان اهل فلسطين وهم يمثلون ٨٠٪ من السكان قد قاطعوا ذلك المعرض مقاطعة تامة (١٨)) .

حزب الوفد .. والقضية الفلسطينية :

يتحدد موقف حزب الوفد من القضية الفلسطينية طبقا لموقفه العام من عروبة مصر . وبالرغم من ثقافة سعد زغلول الازهرية ، فقد كان الوفد في عهده حزبا قوميا مصريا ولم يول القضايا العربية اهتماما كافيا (١٩) . والواقع ان الوفد لم يحاول ان يلتحم بالحركات الوطنية في المنطقة العربية ليعمل خلالها كقوة ضخمة في مواجهة الاستعمار . بل كان للوفد مواقف معادية للحركة الوطنية العربية وابرز دليل رفض حكومة سعد زغلول عام ١٩٢٤ ايواء اللاجئين الليبيين الوطنيين الهاربين الى مصر من الارهاب الايطالي في ليبيا (٢٠) .

وتنص المادة الاولى من برنامج حزب الوفد الذي وضع في ٢٣ نوفمبر ١٩١٨ (ان مهمة الوفد هي السعي بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجد للسعي سبيلا في استقلال مصر استقلالا تاما) . كما تنص المادة الثالثة على أن الوفد يستمد قوته من رغبة اهالي مصر التي يعبرون عنها راسا او بواسطة مندوبيهم) . ويتضح من هذا أن القومية المصرية هي الخط الفكري والسياسي الرئيسي للحزب . وكذلك لا نجد في أبحاث مؤتمر الوفد العام الذي انعقد في يناير ١٩٣٥ وحضره عدة آلاف من المواطنين وتحدث فيه أعمدة الوفد عن سياسة الحزب الداخلية والخارجية لا تجد سوى المضمون القومي المصري . ولم تعثر في خطبة النحاس السنوية التي كان يلقيها في ١٣ نوفمبر من كل عام بمناسبة عيد الجهاد من ١٩٢٩ حتى سنة ١٩٣٥ على أدنى اشارة الى القضايا العربية أو القضية الفلسطينية بصورة اكثر تحديدا (٢١) . غير أن موقع حزب الوفد على راس الحركة الوطنية المصرية وكفاحه ضد الاستعمار ادى الى اقترابه من الحركات الوطنية في العالم العربي من خلال استجابة الجماهير المصرية المتعاطفة مع قضايا الوطن العربي وخصوصا حادث البراق الذي اهتز له الشعب المصري بعمق . وقد كان هذا الحدث نقطة تحول هامة في موقف حزب

الوفد من القضية الفلسطينية ومن هنا بدات نظرة الوفد الى القضايا العربية تتطور شيئا فشيئا . وفي مطلع الثلاثينات أخذ الوفد يعترف بوجه مصر العربي ، وقد برز ذلك في اشتراك الوفد في المؤتمر الاسلامي العام الذي انعقد بالقدس سنة ١٩٣١ . كما تجلى في الجولة التي قام بها مكرم عبيد في سوريا ولبنان وفلسطين ١٩٣١ . وقد تحدث في ذلك الحين عن الوحدة العربية ، واكد عروبة مصر مستندا الى بعض الادلة التاريخية مثل انحدار المصريين من أصول عربية سامية فضلا عن روابط اللغة والتقاليد والخصائص الاجتماعية والجهاد المشترك من أجل الحرية . وقد اشار الى توفر اسس الوحدة العربية ولكنها في حاجة الى تنظيم والغرض من هذا التنظيم هو خلق جبهة مناهضة للاستعمار وقادرة على صيانة القوميات وتحقيق الرخاء الاقتصادي وتنسيق العلاقات والمصالح المتبادلة بحيث تصبح الدول العربية (وطنا كبيرا يتفرع منه عدة أوطان لكل منها شخصيتها لكنها في خصائصها القومية العامة متحدة ومتصلة اتصالا وثيقا بالوطن الاكبر) (٢٢) .

وفي ابريل ١٩٣٦ نشبت ثورة فلسطين الكبرى واستمرت ثلاثة أعوام وفي هذا الوقت كانت المفاوضات المصرية البريطانية تجري لحل القضية المصرية . وكانت مظاهر التضامن مع شعب فلسطين قد تجاوزت رسميا وشعبيا الحدود التقليدية واتجهت الى مشاركة الفلسطينيين وتأييدهم في نضالهم ، وذلك رغم أن الحكومة المصرية تعمدت اخفاء مشاعرها المتضامنة مع شعب فلسطين حرصا على مفاوضاتها مع بريطانيا التي انتهت بمعاهدة ١٩٣٦ (٢٣) . على أن هذا كاله لم يمنع النحاس باشا من الاعراب عن تضامن مصر حكومة وشعبا مغ شعب فلسطين حين صرح بأن مصر لا تستطيع أن تقف مكتوفة الايدي تجاه ما يجري في فلسطين ، واعلن عن تأييده لمطالب الشعب العربي الفلسطيني (٢٤) وكان النحاس باشا قد عقد جلسة خاصة مع مستر ايدن ناقش

فيها القضية الفلسطينية واوضح له عدم رضائه عن مشروع التقسيم . وقد كان هذا الموقف من جانب حكومة النحاس باشا كفيلا بتدفق الاهتمام الرسمي والشعبي ازاء أحداث الثورة ، وانعكس ذلك على موقف الصحف المصرية التي تابعت أحداث الثورة وصداها في العالم العربي والخارجي كما جسدت تعاطف المصريين مع الوطنيين الفلسطينيين (٢٥) . وقد أعرب النحاس باشا عن نفوره من مشروع التقسيم للسفير البريطاني السير مايلز لاميسون يوم ١٤ يوليو ١٩٣٧ ، وأوضح له انه لا يستطيع ان يشعر بالاطمئنان وهو يفكر في قيام دولة يهودية على حدود مصر . اذ ما الذي يمنع اليهود من ادعاء حقوق لهم في سيناء فيما بعد (٢٦) ؟ والواقع أن هذه المخاوف التي جسد بها النحاس باشا ادراكه لابعاد الخطر الصهيوني كانت الصحف الوفدية قد أشارت لها منذ عام ١٩٢٨ عندما نشرت كوكب الشرق مقالا منقولا عن صحيفة « دوراما يوم » العبرية و صحيفة « بالستين ويكلي » البريطانية تحت عنوان « مصر وسيناء » ، ويدعو هذا المقال الى جعل فلسطين وطنا لليهود على أن تصبح مستعمرة بريطانية مثل كندا واستراليا وتضم اليها شبه جزيرة سيناء بعد أن تقتطع من مصر . وأوضح كاتب المقال بأنهم يقبلون التنازل عن الانتداب الذي يقربهم من الاستقلال ويقبلون أن تهبط فلسطين الى درجة مستعمرة بريطانية ، ولكن على « أن تتسع بلادهم وتمتد حدودها وهذا هو التعويض الذي يطلبونه من بريطانيا » (٢٧) .

وقد اشار الكاتب الى عدم أهمية سيناء بالنسبة لمصر ، ودليل ذلك ان الحكومة المصرية قد وافقت منذ ٢٥ سنة للدكتور هرتزل على ارسال بعثة الى جزيرة سيناء لتدرس امكان اتخاذها وطنا لليهود (وان هذا كاد يتم لولا أن البعثة لم تعجبها سيناء (٢٨)) . وتعلق كوكب الشرق على ذلك بأن هذا المشروع هو في أساسه أحد مشروعات السياسة البريطانية ، ودليل ذلك انه ورد في كتاب الفه الكولونيل ودجود وعنوانه (الدمينون

السابع) . وتبدي كوكب الشرق دهشتها بسبب موقف الحكومة المصرية آنذاك (حكومة محمد محمود) التي تقرر فتح اعتمادات مالية كبيرة لاصلاح الطرق في شبه جزيرة سيناء في الوقت الذي يتردد فيه ذكر هذا المشروع في الصحف البريطانية والصهيونية.. وتتساءل هل ممكن أن يكون ذلك محض صدفة ؟ وتعود الصحيفة فتستدرك قائلة بأنه (لو أن في مصر حكومة دستورية تقاوم أطماع الاستعمار ومن خلفها شعب يقف ورائها كتلة واحدة ولو أن فيها برلمان تعرف انجلترا انه لا يفرط في حقوق البلاد ، وقد استطاعت انجلترا أن تقتطع واحة جغبوب من مصر في غيبة البرلمان فهل تستطيع الان أن تلحق بهاسيناء بعد أن محيت الحياة النيابية أصلا (٢٩)) .

الصحافة الوفدية .. والقضية الفلسطينية :

لم تصدر عن الوفد صحف تحمل ايديولوجية بشكل واضح ومحدد ، ولكن كانت هناك صحف تلتزم بسياسة الوفد بوجه عام وتنطق بوجهة نظره ، ولكن مع عدم استبعاد احتمالات نشوب الخلاف بين رؤساء تحرير هذه الصحف وبين الوفد . ولذلك نستطيع أن نقول ان الصحف الوفدية لم تكن صحفا حزبية بالمعنى المتفق عليه علميا . بل كانت مرتبطة بسياسة الوفد فيما يتعلق بالقضايا الداخلية وهما قضيتا الاستقلال والدستور . أما فيما عدا ذلك فان هذه الصحف كانت تعكس ثقافة واتجاهات رؤساء تحريرها سواء ما يتعلق بالمسائل الفكرية أو السياسية . ولعل موقف الصحف الوفدية من القضية الفلسطينية يعد مثلا واضحا أمامنا على الفجوة التي كانت قائمة بين سياسة الوفد وموقفه من القضايا العربية وخاصة اثناء العشرينات والثلاثينات وموقف الصحف التي كانت تنطق باسمه . ففي حين كان موقف الوفد من القضية الفلسطينية في تلك المرحلة يشوبه الغموض واللامبالاة وانعدام الادراك لخطورة الصراع الدائر في فلسطين كانت

صحف الوفد تبدي تفهما عميقا لابعاد هذا الصراع . وتحرص على متابعتـه وكشف مكـامن الخطـر فيه طـوال العشرينات والثلاثينات .

ومما يـدل على أن موقف هـذه الصحف من القضيـة الفلسطينية لم يكن يعكس الموقف الفكري أو السياسي لحزب الوفد الاشادة والثناء الذي وجهه عبد القادر حمزة صاحب البلاغ لوزارة محمد محمود في عامي ١٩٣٨ ، ١٩٣٩ بسبب موقفها من القضية الفلسطينية (٣٠) وعاب البلاغ على النحاس باشا سكوته عن القضية وأورد بعض الوقائع التي تؤخذ على حكومة الوفد في هذا الصدد مثلا موافقة حكومة النحاس على سفر مئات من العمال المصريين الى فلسطين كي يحلوا هناك محل العرب الذين اضربوا تأييدا لثورة ١٩٣٦ . ولم يوقف سفر هؤلاء العمال الا بمسعى خاص وبعد اعتراض وتنبيه . كذلك اعتراض حكومة النحاس على تنسيق جهودها مع السعودية من اجل العمل لصالح القضية الفلسطينية مما اضطر السعودية الى الاشتراك مع العراق واعداد مذكرة مشتركة الى بريطانيـا تحمل وجهـة نظرهما في المسألة الفلسطينية وقد برر النحاس باشا موقف الرفض من جانبه بأنه يريد أن يعمل وحده مستقلا عن الحكومات العربيـة الاخرى (٣١) .

وقد وقع اختيار المؤلفة على البلاغ وكوكب الشرق باعتبارهما ناطقين باسم الوفد رغم ما بينهما من اختلافات في المنطلقات الفكرية والسياسية والرؤية العامة للقضايا العربية . ويرجع سبب هذا الاختيار الى ان البلاغ كانت مرتبطة بالوفد طـوال العشرينات منذ صدورها في يناير ١٩٢٣ وحتى بداية الثلاثينات (١٩٣٢) ثم تحولت عن الوفد . ولم تعد حينئذ تعكس وجهـة نظر الوفد بل كانت تعكس وجهة نظر رئيس تحريرها وكتابهـا فقط ، اما كوكب الشرق فقد ظلت وفدية منذ صدورها في ٢١ سبتمبر ١٩٢٤ ولم تتحول عن الوفد حتى نهاية عمرها . وقد

هاجمت كوكب الشرق البلاغ بعد انفصاله عن الوفد . فضلا عن ذلك هناك اختلاف بين معالجة كل من الصحيفتين للقضية الفلسطينية هذا الاختلاف الذي ينبع من الاختلاف الفكري والثقافي لكل من رئيسي تحرير الصحيفتين . فبينما كان حافظ عوض رئيس تحرير كوكب الشرق (وهو من قدامى الصحفيين الذين شهدوا المرحلة الاولى وشاركوا في تحرير المؤيد) يمثل الاتجاه الاسلامي وينطلق في معالجته للقضية الفلسطينية من رؤية اسلامية لا تخلو من النزعة القومية ، كان عبد القادر حمزة رئيس تحرير البلاغ يمثل اتجاها فكريا أكثر استنارة وعصرية في نظرته ومعالجته للقضايا العربية وان كان لا يخلو من الجذور الاسلامية .

البلاغ .. والقضية الفلسطينية :

تميزت البلاغ عن الصحف المصرية المعاصرة لها بتدفق اهتمامها واستمراريته فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية . وقد شمل هذا الاهتمام مختلف جوانب القضية وابعادها سواء على الصعيد الفلسطيني أو الصهيوني أو البريطاني أو العربي أو الاسلامي . وقد نال الجانب الفلسطيني النصيب الاكبر من اهتمام البلاغ . اذ تابعت القضايا الجوهرية في الصراع مثل قضيتي الهجرة وبيع الاراضي . كما ركزت على حركة الشعب الفلسطيني في مواجهة الانتداب والصهيونية ممثلة في المؤتمرات وردود الفعل الجماعية (٣٢) . أما ثورات الشعب الفلسطيني وانتفاضاته فقد قامت بتغطيتها خبريا من خلال المراسل الخاص للبلاغ في مدينة القدس ، كما تناولتها بالتعليق من خلال عشرات المقالات السياسية (٣٣) . وقد اعتمدت البلاغ على الخبر كوسيلة أساسية لتغطية أحداث القضية الفلسطينية ومتابعة تطوراتها ويلي ذلك مباشرة المقال الذي كان اداتها الرئيسية في الافصاح عن وجهة نظرها ازاء تطورات الصراع (٣٤) . وكثيرا ما كانت تنقل البلاغ عن الصحف الفلسطينية وأحيانا عن الصحف البريطانية

والصهيونية وفي الحالة الاخيرة كانت تقوم بتفنيد هذه المقالات وتحليلها وابراز الفقرات المغرضة فيها . ومن أبرز الصحف الفلسطينية التي كانت تنقل عنها البلاغ صحيفتا الجامعة العربية والكرمل أما الصحف البريطانية والصهيونية ديلي تلجراف ، وبالستين ويكلي وصحف فاسطين (٣٥) . كما فتحت صفحاتها للكتاب الفلسطينيين والعرب المقيمين بمصر وخارجها مثل نسيم صبيعة والامير شكيب أرسلان ومحمد علي الطاهر وأمين الريحاني، وغالبا ما كانت تتلقى تعليقات من الفلسطينيين انفسهم والمصريين المقيمين بفلسطين مثل عبد الله البندك وحسان أبو رحاب (٣٦) . وقد انفردت البلاغ بمتابعة نشاط الاحزاب الفلسطينية والمعارك السياسية التي كان يخوضها الشعب الفلسطيني في الانتخابات البلدية (٣٧) . وقد تناولت البلاغ العلاقات اليومية بين سكان فلسطين المسلمين والمسيحيين واليهود مع مراعاة تركيزها على الزاوية الدينية (٣٨) . كما اهتمت بابراز جوانب النشاط الوطني التي تجسد وحدة العنصرين المسلم والمسيحي في فلسطين (٣٩) .

وكثيرا ما كانت البلاغ تناقش قضايا التبشير وتربط بين التبشير الصهيوني والتبشير الانجليزي (٤٠) . وتكاد تكون البلاغ الصحيفة المصرية الوحيدة التي أولت مسألة الجنسية بالنسبة للفلسطينيين اهتماما كبيرا ، ونشرت عدة تعليقات ربطت فيها بين مشكلة الجنسية ونضال الشعب الفلسطيني من أجل الاحتفاظ بأراضيه وتفوقه السكاني داخل فلسطين باعتبار أن القضية الفلسطينية تتكون في الاساس من هذه العناصر مجتمعة (٤١) ، وقد نشرت البلاغ ملخصا للنداء الذي وجهته اللجنة التحضيرية للدفاع عن حقوق المهاجرين العرب في الجنسية الفلسطينية (٤٢) .

ومما يلفت النظر في اهتمام البلاغ بمتابعة النشاط الصهيوني أن هذا الاهتمام لم يقتصر فقط على النشاط الصهيوني في فلسطين بل اهتمت بنفس القدر بالنشاط العالمي للصهيونية

وخصوصا المؤتمرات الصهيونية (٤٣) . وقد ركزت البلاغ على رصد الصعوبات والمشاكل التي واجهتها الصهيونية خلال العشرينات في فلسطين في محاولة للتوصل الى نتيجة تؤكد فشل الصهيونية في فلسطين (٤٤) .

ويلاحظ أن البلاغ كانت تركز في الثلاثينات على متابعة النشاط الصهيوني في المؤتمرات وقراراته الخاصة بفلسطين ولم تبد البلاغ اهتماما واضحا بمسألة الهجرة اليهودية في العشرينات ولكن ابتداء من مايو ١٩٣٠ بدأ اهتمامها بهذه القضية يتدفق وقد ركزت بشكل خاص على وقف الهجرة وضرورة تقييدها (٤٥) . كذلك أشارت البلاغ الى النشاط الشيوعي في فلسطين في الثلاثينات وقد اهتمت بابراز العلاقة بين الشيوعية وحركة العمال اليهود (٤٦) . وكانت البلاغ تركز على مصير وعد بلفور وابراز نشاط الوكالة اليهودية في فلسطين وابراز صدى النشاط العربي لدى الصهيونيين (٤٧) .

وفيما يتعلق بالسياسة البريطانية في فلسطين فقد نالت أقل نصيب من اهتمام البلاغ . وقد حاولت البلاغ ابراز اهمية فلسطين في المخططات البريطانية والتأكيد على اهمية الوطن القومي باعتباره متكأ للسياسة البريطانية في الشرق الادنى . كما حرصت البلاغ على ابراز علاقة القوى الوطنية الفلسطينية بالمندوب السامي من ناحية وأبرزت من ناحية أخرى علاقته الوثيقة باليهود في فلسطين (٤٨) .

ولم تغفل البلاغ عن الاشارة الى رد الفعل العربي والاسلامي لما كان يدور في فلسطين سواء تمثل هذا الصدى في المؤتمرات الاسلامية والعربية أو ردود الفعل الخاصة بكل دولة على حدة . وقد كانت البلاغ هي الصحيفة المصرية الوحيدة التي انفردت بمتابعة اخبار ومجريات المؤتمر الاسلامي سنة ١٩٣١ متابعة يومية بالاضافة الى المامها بآراء الجبهات المختلفة داخل المؤتمر وخارجه (٤٩) ، وقد اهتمت البلاغ بحركة العلاقات المصرية

الفلسطينية منذ عام ١٩٢٣ ، وكانت تركز على الزيارات المتبادلة بين المسئولين في مصر وفلسطين وصداها في الصحف الفلسطينية (٥٠) . وقد استأثرت القضية الفلسطينية بالصفحة الثانية في البلاغ حيث خصص لها باب ثابت اسمه (رسالة فلسطين) (٥١) . ولكن لم يمنع هذا من نشر كثير من المقالات والتعليقات والاخبار الهامة الخاصة بالقضية الفلسطينية في الصفحة الاولى من البلاغ (٥٢) .

اما رؤية البلاغ للقضية الفلسطينية فهي رؤية قومية اسلامية . اذ كانت تصور الصراع في فلسطين على النحو التالي : (ان الصهيونية من الناحيتين السياسية والاقتصادية مشروع قائم على الظلم والباطل وان فكرة الوطن القومي لليهود تفوق ظلما وشناعة فكرة الاستعمار نفسها ، لان الدولة الاستعمارية التي تستولي بالقوة على بلاد ليست لها معتبرة نفسها غريبة عن تلك البلاد مهما بلغت سطوتها ومهما نكلت بالشعب الذي تستعمره .. اما الصهيونية فانها تذهب الى أبعد من ذلك فتحاول أن تفعل في فلسطين ما لا تفعله الدول في مستعمراتها .. فضلا عن أنها قائمة على فكرة دينية وسياسة مذهبية تمجها المدنية الحديثة والمبادىء التي يخضع لها العالم في عصرنا ، هذا عصر الحرية والمساواة والاخاء كما يسمونه (٥٣)) .

وترى الصحيفة ان اليهود قد اعتقدوا ان تحقيق الفكرة الصهيونية اصبح من الامور السهلة . ولكن النتيجة كانت عكس ذلك اذ انهم وجدوا في فلسطين شعبا متمسكا ببلاده وتقاليده غير مستعد للتنازل عن حقوقه الموروثة . وقد تبين ان الحلم الذي يحلم به الصهيونيون لا يمكن أن يتحقق الا اذا أمكن أن تزول الاغلبية الساحقة من عرب فلسطين لتحل محلها أغلبية مثلها من اليهود وهذا هو المستحيل (٥٤) . وتدلل البلاغ على استحالة ذلك بعدة شواهد أهمها :

أولا : ان ملايين الجنيهات التي انفقت لتحقيق فكرة الوطن القومي اليهودي والدعاية التي قامت بها الحركة الصهيونية بمساعدة حكومة الانتداب وانواع الاغراء المختلفة التي اغروا بها يهود اوروبا للهجرة الى فلسطين لم تؤد الى ما يريدون فلا يزال اليهود اقلية في فلسطين ، بل لا يزال الكثيرون يرحلون منها بعد أن ظهرت لهم الحقيقة وهي انها لا تدر عليهم لبنا وعسلا كما كانوا يتوهمون (٥٥) .

ثانيا : ان الاساس الاول لتحقيق فكرة الوطن القومي قائم على التبرعات والمساعدات المالية وهذه لا تؤسس دولة ولا تنشىء وطنـا .

ثالثا : ان انشاء دولة قائمة على اساس الدين وحده دون سواه ثبت انها وهم من الاوهام (ذلك أن النور الصناعي الذي كان معتنقو الفكرة الصهيونية يلوحون به ليهود العالم فيبهر ابصارهم ويجعلهم يهيمون بها ويحنون شوقا الى النزوح اليها .. هذا النور انقلب ظلاما بعد نشوب الاضطرابات التي كانت مسألة البراق كافية في اثارتها على هذا الوجه الدامي (٥٦)) .

رابعا : أن الصهيونية في فلسطين لا يمكن أن تقف على اقدامها وحدها من الناحية السياسية . لان السياسة البريطانية تأبى ذلك وسبب هذا انها لا يمكن ان تقيم بيدها شبحا قد يزعجها يوما ما . وهي تعلم أن فلسطين على مرمى سهم من طريق مواصلاتها الامبراطورية وأنها الطريق المنتظر لتغذية حوض البحر الابيض بالبترول الذي يقدرون له اليوم أن تخترق انابيب الصحراء من العراق الى فلسطين حتى تصب في حيفا (٥٧) . ولذلك فان السياسة البريطانية ترى من صالحها استمرار تقليم اظافر الصهيونية كلما رأتها تحاول تجاوز الحدود المرسومة .

ولكن مع منتصف الثلاثينات وتغير موازين القوى داخل فلسطين نلحظ انعكاس ذلك على رؤية البلاغ لابعاد الصراع الفلسطيني الصهيوني البريطاني . اذ قدمت بريطانيا كل اوجه المساندة والدعم للوطن القومي اليهودي حتى أصبح عدد اليهود في فلسطين ٤٠٠ الف بعد ان كانوا في بدء الحرب العالمية الاولى ٤٦ الفا . كما انهم بأموالهم الطائلة استولوا على أخصب الاراضي الفلسطينية واخرجوا منها المزارعين العرب واستبدلوا بهم غيرهم من اليهود ، كما اخذوا يطوقون المدن بأملاكهم استعدادا على حد قول البلاغ « لذلك اليوم الذي يستطيعون فيه الانقضاض على جميع الاماكن المقدسة والمسجد الاقصى وهو اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين واستعادة هيكل سليمان » (٥٨) .

وفي ضوء هذه المتغيرات بدأت البلاغ تعيد النظر في حساباتها وابعاد رؤيتها للصراع خلال العشرينات وبدأت تتشكل رؤيتها الجديدة في ضوء التطور الذي بلغته القضية الفلسطينية . ونلاحظ ان البلاغ بدات تقتنع بأن الحكومة البريطانية جادة كل الجد في تهويد فلسطين وليس أدل على هذا من اعتبارها الوكالة اليهودية هيئة تشير عليها بما تراه يعود بالنفع العام على اليهود ويحقق مشروع الوطن القومي واتباعها سياسة المحاباة والعطف على الآمال اليهودية وظهورها بجلد النمور كاشرة للعرب عن انيابها .. وتحقيقا لهذه السياسة الحائدة عن الطريق السوي أرهقت كواهل العرب بفرض الضرائب الفادحة والرسوم العديدة وتكديسها في خزائنها الحديدية حتى بلغ مجموع ما يحصل عندها من الوفر في هذا العام ١٩٣٥ ما يربو على ستة ملايين جنيه امتصتها من دماء العرب المساكين فأفقرتهم ولصقت أيديهم بالتراب (٥٩)) .

وكانت البلاغ تطرح حلا للصراع لا يقتصر على النضال السياسي فقط بل يعتمد ايضا وبنفس الاهمية على العامل الاقتصادي ، فكانت تهيب بالفلسطينيين أن يتجهوا بكل قواهم الى

احياء المشروعات الوطنية وانشاء الشركات الصناعية والتجارية واستثمار رؤوس اموالهم في كل ما من شأنه ان ينميها . اذ لا يجب أن يعتمدوا فقط على تفوقهم السكاني ونضالهم السياسي بل لا بد من دخولهم حلبة المنافسة الاقتصادية مع الصهيونيين ، حتى لا يصل الصهيونيون يوما الى مركز الزعامة الاقتصادية لانهم اذا دخلوا الى هذا المركز أصبح من السهل أن تكون لهم الزعامة السياسية (٦٠) .

وفيما يتعلق بالدعوة التي كانت تروج لها بعض الصحف المصرية والصهيونية في تلك الفترة وهي ضرورة التفاهم والاتفاق بين العرب واليهود من اجل انهاء الخصومة القائمة بينهما والتعاون سويا لبناء الوطن المشترك ، كانت البلاغ تبدي عدم اقتناعها بهذه الفكرة وتتنبأ بالفشل للجهود التي تبذل في هذا الصدد (لان العرب يدركون أن هذه المحاولات مجرد شباك يراد اقتناصهم بها وهم يعتبرون الى اليوم أهل البلاد وان اليهود دخيلون لا حق لهم في الاقامة بفلسطين (٦١)) .

كوكب الشرق * .. والقضية الفلسطينية :

تشترك كوكب الشرق مع البلاغ في تدفق اهتمامها وشموله بالقضية الفلسطينية خلال العشرينات والثلاثينات وان كانت الكوكب تتميز عن البلاغ في اسلوب المعالجة والرؤية الفكرية والسياسية التي استندت اليها في تناولها للقضية . فضلا عن ان الكوكب قد تعرضت للتعطيل اثناء حكم محمد محمود في مارس ١٩١٩ ـ نوفمبر ١٩٢٩ .. وقد ادى ذلك الى تخلفها عن متابعة احداث البراق ١٩٢٩ . هناك نقطة اختلاف اخرى بين الصحيفتين الوفديتين .. وهي ان صحيفة كوكب الشرق كانت تتابع احداث القضية الفلسطينية وتطوراتها كجزء من اهتمامها بالشئون الشرقية والاسلامية . وقد خصصت لذلك بابا ثابتا كان يحتل الصفحة الثانية من الصحيفة ويظهر مرتين او ثلاث مرات اسبوعيا تحت

عنوان : (شئون الشرق العامة (٦٢)) ، وكان يقوم بتحريره محرر مختص ولكنه لم يوقع باسمه مطلقا . وكان لكوكب الشرق مراسل فلسطيني خاص في القدس واخر في حيفا ، وكان مراسل القدس يوقع باسم ابن عياد . كذلك دابت كوكب الشرق مثل زميلتهـا البلاغ على نقل بعض المقالات الهامة من الصحف الفلسطينية ولكن بقدر يفوق البلاغ ، اذ كانت تنقل عن « الف باء » و « الجامعة العربية » و « الجامعة الاسلامية » و « لسان العرب » كما كانت تمنح الفرصة للكتاب الفلسطينيين والعرب المقيمين بمصر وخارجها للكتابة فيها امثال امين سعيد وشكيب ارسلان ومحمد عـلي الطاهر .

تناولت كوكب الشرق القضية الفلسطينية بأبعادها المطروحة خلال العشرينات والثلاثينات وهي البعد الفلسطيني والبعـد الصهيوني والبعد البريطاني ثم البعد العربي والاسلامي . واخيرا البعد الدولي رغم انه لم يكن متبلورا بشكل واضح خلال هذه المرحلة . وقد اعتمدت كوكب الشرق في معالجتها للقضية على الخبر بصفة اساسية ثم مقالات الراي والتعليقات (٦٣) . وقد احتلت أنباء القضية الصفحة الثانية من الصحيفة بصفة دائمة ، اما المقالات والافتتاحيات كانت دائما تتصدر الصفحة الاولى في الكوكب (٦٤) .

وقد نال الجانب الفلسطيني في الصراع النصيب الاكبر من اهتمام كوكب الشرق . فقد تابعت ملحمة الثورة الفلسطينية من اضرابات ومظاهرات ومحاكمات وأبدت اهتماما خاصا بالمسجونين السياسيين وذكرى الشهداء الفلسطينيين اكـثر من الصحف المصرية الاخرى (٦٥) . كما كانت كوكب الشرق اكثر الصـحف المصرية التي عالجت قضية بيع الاراضي في فلسطين . وقد بدأ اهتمامها بهذه المسألة منذ ١٩٢٤ وتصاعد ابتداء من ١٩٣٢ . وكانت تركز على دور السماسرة في بيع الاراضي الفلسطينية وتكثر من نشر الفتاوى والنداءات لانقاذ الاراضي (٦٦) . كذلك تابعت

الكوكب أوجه النشاط اليومية للشعب الفلسطيني . وكـانت تركز على المناسبات الدينية واحتفال الفلسطينيين بها (٦٧) . وكانت تهتم باضرابات العمال . وتتميز كوكب الشرق باهتمامها المتزايد بمتابعة نشاط الشعب الفلسطيني بمختلف فئاته منذ منتصف العشرينات وبانتظام حتى نهاية الثلاثينات . وكانت توجه اهتماما خاصا للنشاط الشعبي (عمال ــ نساء ــ شباب (٦٨)) . وقد أبدت الكوكب تعاطفها العلني مع الحزب العربي الفلسطيني وتولت الكتابة عنه ونشر بياناته منذ اعلان مولده في ابريـل ١٩٣٥ (٦٩) ، وان لم يمنعها هذا من الاهتمـام بمتابعة نشاط الاحزاب الفلسطينية الاخرى (٧٠) .

أما العلاقات بين العرب واليهود فقد ركزت كوكب الشرق على ابراز الصراعات والاصطدامات اليومية التي كانت تقـع بين العرب واليهود داخل فلسطين ، رغم أن هذا الطابع العدائي لم يظهر بوضوح في الصحف سوى في الثلاثينات ، أما قبل هذا التاريخ فلم تشر الصحف الى هذا الجانب أصلا (٧١) .

وقد تابعت كوكب الشرق النشاط الصهيوني في فلسطين وكان اهتمامها الاساسي منصبـا على كشـف وابراز خطـورة الصهيونية على فلسطين من خلال دسائس الصهيونية ضد العرب واساليب اليهود من أجل السيطرة على فلسطين (٧٢) . كما كانت تشير الى الخلافات بين الصهيونيين في فلسطين (٧٣) . وابدت كوكب الشرق اهتماما ملحوظا بقضية الهجرة اليهودية . اذ تابعت ارقام اليهود المهاجرين الى فلسطين واهتمت بكشف وسـائـل دخولهم فلسطين كما انها هي الصحيفة المصرية الوحيدة التي نشرت عريضة الحزب العربي الفلسطيني الى المندوب السامي عن الهجرة وبيوع الاراضي (٧٤) .

وعن السياسة البريطانية في فلسطين حرصت كوكب الشرق على ابراز العلاقة بين الانتداب البريطاني والصهيونية . كمـا ركزت علـى توضيح مـوقف الفلسطينيين من لجان التحقيـق

البريطانية (٧٥) . وفيما يتعلق بالعلاقات البريطانية الفلسطينية في تلك الفترة ، فقد اقتصر اهتمام الكوكب على ابراز نشاط الوفود الفلسطينية في لندن وتعاطف مسلمي لندن مع القضية الفلسطينية (٧٦) . كما اشارت الكوكب الى قسوة الانجليز واساليبهم الوحشية ازاء الفلاحين الفلسطينيين واخراجهم من اراضيهم تحت تهديد الدبابات والطائرات (٧٧) ، وخصوصا مأساة عرب الحوارث والزيادنة .

وكان اهتمام كوكب الشرق ملحوظا بتسجيل ورصد ردود الفعل العربية والاسلامية ازاء القضية الفلسطينية وخصوصا خلال الثلاثينات ، وقد كانت تركز على الجانب السياسي للعلاقات العربية الفلسطينية وموقف العرب من القضية ذاتها (٧٨) . كذلك تابعت موقف مسلمي الهند وايران وبريطانيا من القضية (٧٩) .

اما العلاقات المصرية الفلسطينية فقد بدأ اهتمام كوكب الشرق بمتابعتها مبكرا منذ عام ١٩٢٦ . وكان تركيزها منصبا على المصريين المقيمين في فلسطين ومشاكلهم ووجوب حمايتهم (٨٠) . كما قامت الكوكب بتغطية زيارات المسئولين المصريين لفلسطين وخصوصا مكرم عبيد ، ونشرت عدة تعليقات على زيارة صدقي باشا لفلسطين سنة ١٩٣٢ (٨١) .

ولم تغفل كوكب الشرق البعد الدولي للقضية الفلسطينية فقد اشارت الى صدى الاحداث الفلسطينية في أوروبا والولايات المتحدة والفاتيكان وتأثير اليهود داخل لجنة الانتدابات وموقف عصبة الامم من القضية (٨٢) .

وتحددت رؤية كوكب الشرق للقضية الفلسطينية من خلال منطلقات دينية مشوبة بالنزعة القومية . اذ انها ترد الصراع الى اسباب دينية ، بل وتصور الهدف من انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين على انه لا يخرج عن الاطار الديني المحض . فهي ترى « أن بريطانيا تهدف بسياستها الى أبعد من ايجاد وطن

لليهود أو اراحتهم من التشتت والتفريق في انحاء الدنيا .. بل تدفع بهم الى هذه البقعة لاغراض دينية ، فعلها تريد أن تصل بمسألة حكم بيت المقدس الى نهاية حاسمة لا تتجدد . ولن تكون هذه النهاية الحاسمة بحكم العرب لانهم لو حرموا اليوم من حريتهم واستقلالهم فسيعودون اليها مع الزمن . واذن فالحل الذي تسعى اليه بريطانيا هو تذويب العرب لا استبعادهم بافنائهم من هذه الرقعة لا الاكتفاء باضعافهم (٨٣) » . وتعتقد كوكب الشرق بأن بريطانيا قد اختارت اليهود للقيام بهذا الدور لانها تعلم جيدا أنها لو دفعت بأفواج المسيحيين الى فلسطين،فانهم سوف يمتزجون مع العرب ويؤلفون وحدة تفسد على بريطانيا خطتها . وعلى هذا اختارت بريطانيا اليهودي لما له من ظروف وتكوين خاص يجعله ينفر من التآلف مع أي شعب اخر .

وتكرر كوكب الشرق في معظم مقالاتها هذا التصور ، وهو أن وعد بلفور يهدف في الاساس الى حرمان المسلمين من مسجدهم الاقصى واماكنهم المقدسة ، وان بريطانيا ترمي من ورائه (الى أن توجد في فلسطين شعبا متنافرا مختلفا لا يمكنه أن يأتلف ولا تتركه بريطانيا قبل ذلك بدعوى المحافظة على الامن فتبقى جاثمة على صدره باسطة كفها على قناة السويس وقابضة بالاخرى على ميناء حيفا (٨٤)) .

ورغم الرؤية الدينية التي تغلف موقف كوكب الشرق في تفسيرها لاسباب الصراع الفلسطيني الصهيوني البريطاني ، فانها كانت تبدي ادراكا واضحا لاطراف الصراع . فهي لم تقع صريعة الفهم المشوش الذي كان يخلط بين حقيقة الدور الذي يقوم به كل طرف من اطراف الصراع مثلما كان يحدث لدى بعض الصحف المصرية المعاصرة لكوكب الشرق عندما كانت تخلط بين الصهيونية وبريطانيا أيهما الاصل في الصراع وايهما الفرع . كانت كوكب الشرق تدرك جيدا أن بريطانيا هي الاساس وكانت تدعو العرب الى ادراك هذه الحقيقة وتطالبهم بأن يجاهروا الانجليز بالعداء

ويبادورهم بالخصام . وكانت تفسر عدم وضوح الرؤية لدى العرب في البداية بأنه يرجع الى آثار من حسن الظن بأولئك الحلفاء القدامى كانت لا تزال تتردد في صدور العرب فتوجه مقاومتهم الى الصهيونية ووعد بلفور وما من ذيول (٨٥) » .

ولكن من خلال الاحتكاك اليومي بالسياسة البريطانية والتحيز الساخر الذي كانت تبديه نحو اليهود بدءا بفتح البلاد على مصاريعها أمام المهاجرين اليهود وانتهاء بانتزاع الاراضي الفلسطينية بقسوة ووحشية وتأمين حصول اليهود عليها في حراسة الحراب البريطانية « وقد كانت فاجعة اجلاء عرب الحوارث بالنار والحديد قد فعلت في النفوس فعلها (٨٦) » . من هنا بدات الجماهير الفلسطينية تفيق وتستيقظ على الحقيقة ، وتدرك ان العدو الاساسي هو بريطانيا . وقد تمخض هذا الادراك عن نشوب اضطرابات ١٩٣٣ وكانت موجهة ضد الانجليز راسا . ونلحظ سيطرة الفكر الديني على كوكب الشرق حتى في تحليلها لاضطرابات ١٩٣٣ التي اجمعت معظم الصحف على تفسيرها من منطلق قومي صحيح . ولكن كوكب الشرق ترى (أن مظاهرة القدس كانت الطلقة الاولى التي دوت في آذان المستعمرين فنبهتهم الى سوء عاقبتهم .. وتجاوبت أصداؤها في كل جهة من جهات العالمين العربي والاسلامي تعلن للمسلمين أن مقدساتهم في خطر شديد وان المسجد الاقصى المبارك أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين يطمع في هدمه اليهود ليقيموا على انقاضه هيكل سليمان (٨٧)) .

وفيما يتعلق بالدعوة التي روجت لها بعض الصحف المصرية في تلك الفترة وهي الاتفاق بين العرب واليهود فقد ابدت كوكب الشرق موقفا حازما ازاء هذه الدعوة . وسخرت من الفكرة الى درجة أن أطلقت عليها « نغمة التوفيق بين حقوق العرب وأطماع الصهيونية » (٨٨) ودللت بالشواهد على استحالة تحقيق هذا الهدف .

حزب الاحرار الدستوريين .. والقضية الفلسطينية :

تأسس هذا الحزب في أكتوبر ١٩٢٢ على أساس قومي مصري استمرارا لحزب الامة . وقد ضم عددا من كبار ملاك الارض أكثرهم من أعضاء حزب الامة أو أبنائهم وذويهم منضما اليهم فريق من المثقفين ذوي الاتجاه الليبرالي . وقد نصت مبادىء الحزب التي اعلنت في حفل تأسيس الحزب واعلنتها جريدة السياسة في عددها الاول على استكمال استقلال مصر والتمسك بعدم فصل السودان عن مصر ويحفظ سيادتها عليه وحقوقها فيه وتأييد النظام الدستوري والدفاع عن حرية الفرد (٨٩) . ويلاحظ اقتصار مبادىء الحزب على القضية المصرية طوال العشرينات والثلاثينات رغم أن بعض أعضائه البارزين قد تحولوا الى الاهتمام بالقضايا العربية وخصوصا القضية الفلسطينية وأبرزهم محمد علي علوبة وعبد الله عنان ومحمود عزمي . ونتيجة للتطورات السياسية التي طرأت على العالم العربي في الثلاثينات وادت الى طرح بعض القضايا العربية بالحاح على مسرح السياسة المصرية مثل قضية البراق ١٩٢٩ ، ثورة فلسطين الكبرى ١٩٣٦ ، من هنا جاء اهتمام الاحرار الدستوريين بالقضية الفلسطينية كجزء من القضايا المطروحة في تلك المرحلة التاريخية ولكن لم يبد من مواقفهم سواء عندما كانوا في الحكم أو خارجه أية تعاطف واقتناع بحقوق عرب فلسطين ، بل على العكس تماما كانت صحيفتهم السياسة تروج للدعوة الى التفاهم بين العرب واليهود ، وترى أن حل المشكلة الفلسطينية يكمن في تحقيق هذا التفاهم من أجل اقامة الوطن المشترك . وتظهر هذه الدعوة في معظم كتابات السياسة التي تتعلق بالقضية الفلسطينية في تلك الفترة .

وقد كتب عبد الله عنان في جريدة السياسة الاسبوعية يستنكر أسلوب العنف الذي لجأ اليه الشعب الفلسطيني في أحداث البراق ١٩٢٩ . كما نصح كلا من العرب واليهود بالاعتدال قائلا (ان في وسع العرب أن يغنموا أكثر بالاتحاد والجهاد السلمي

المستمر وان يحاولوا في المستقبل دون اراقة الدماء .. وعلى اليهودية اذا أرادت السلام ان تقنع الامم العربية بأنها لا تفهم فكرة الوطن القومي الا في معنى متواضع وفي دائرة محدودة .. وانها لا ترمي الا أن تقيم في وئام وتفاهم مع أصحاب البلاد رمزا فقط لليهودية وملاذا أو ملجأ ليس غير لتراثها وتقاليدها (٩٠) ، وقد كان لهذه النغمة صدى مقبول لدى الدوائر الصهيونية ، عبرت عنه صحيفة هآرتس الصهيونية التي أرسلت ردا نشرته السياسة في عددها الصادر في ٢٨ سبتمبر ١٩٢٩ ، اذ اكدت أسفها الشديد لانها لاول مرة فقط تسمع صوتا مستنيرا في العالم الاسلامي يشجب سياسة العنف التي يسلكها الشعب الفلسطيني لتحقيق أمانيه (٩١) وقد تبنى الدكتور حسين هيكل رئيس تحرير صحيفة السياسة دعوة التفاهم بين العرب واليهود فدعا الى تأليف لجنة يهودية عربية تضطلع بهذا العبء . اذ كان يرى ان حل المشكلة الفلسطينية لا يكون (الا من العرب واليهود ولا ينتظر من الدولة الانجليزية أو عصبة الامم أن تتوسط لهذا التفاهم لانه يلوي عليها مقاعدها الاستعمارية (٩٢)) . وقد أشادت صحيفة « اسرائيل » صوت الحركة الصهيونية في مصر بمقال الدكتور هيكل باعتباره (خير ما كتب الى الان باللغة العربية بأسلوب بريء من الهوى وروح الاخلاص والصراحة في مشكلة فلسطين (٩٣)) . كما قامت صحيفة السياسة باستعداء السلطات ضد الفلسطينيين المقيمين في مصر ، مهددة اياهم بالطرد وقد وجهت اليهم تهمة اثارة الطائفية في مصر بسبب النشاط الدعائي الذي كانوا يقومون به لتزويد الراي العام المصري بالمعلومات والحقائق عن احداث البراق (٩٤) . ولم تنس السياسة ان تشيد باليهود المصريين وتؤكد اعتزاز مصر بوجود هذا العنصر الذكي العامل بين عناصرها (٩٥) .

السياسة اليومية .. والقضية الفلسطينية :

لقد عالجت صحيفة السياسة اليومية القضية الفلسطينية معالجة شاملة احاطت بأبعاد القضية فلسطينيا وصهيونيا وبريطانيا وعربيا .. وقد اهتمت السياسة بمتابعة الجانب الفلسطيني للقضية وهو يتضمن النشاط الوطني والثوري للحركة الوطنية الفلسطينية خلال العشرينات والثلاثينات . كما يتضمن جوانب الحياة اليومية بالنسبة للشعب الفلسطيني ممثلة في نشاطاته المختلفة في مجالات الاقتصاد والتعليم وعلاقاته بحكومة الانتداب والمؤتمرات التي كانت تعقدها القيادات الشعبية والمعارض والعلاقات اليومية بين العرب واليهود . وقد كان اهتمام السياسة بمتابعة هذا الجانب متوسطا في العشرينات ولكنه تصاعد بشكل ملحوظ خلال الثلاثينات . ومن الناحية الصحفية استخدمت صحيفة السياسة الخبر كوسيلة اساسية لمتابعة ما يدور من احداث وتطورات داخلية في فلسطين في تلك المرحلة (٩٦) ويلي ذلك المقال الذي كان يحمل وجهة نظر الصحيفة بشكل مباشر او غير مباشر . وكثيرا ما كانت تنقل السياسة من الصحف البريطانية بعض المقالات التي تعالج القضية الفلسطينية (٩٧) . وغالبا ما كانت تحتل أنباء القضية الفلسطينية الصفحة الاولى في صحيفة السياسة (٩٨) .

اما البعد الصهيوني للقضية الفلسطينية وهو يتضمن النشاط الصهيوني داخل فلسطين وخارجها والمؤتمرات الصهيونية والهجرة اليهودية وشراء الاراضي وتفاعل كل هذه الجوانب مع الاطراف الاخرى للصراع . عالجت صحيفة السياسة هذا الجانب من خلال المقال اساسا ثم الخبر (٩٩) . وقد كانت تركز على النشاط الصهيوني داخل فلسطين ثم يلي ذلك المؤتمرات الصهيونية .

وفيما يتعلق بالبعد البريطاني للقضية الفلسطينية الذي يشتمل على السياسة البريطانية في فلسطين في العشرينات والثلاثينات اي نشاط المندوب السامي والمشروعات البريطانية في مجال الحكم الذاتي والهجرة وبيوع الاراضي ولجان التحقيق البريطانية وصدى ذلك لدى الحركة الوطنية الفلسطينية والدوائر الصهيونية ، فقد تناولت السياسة هذا الجانب ، من خلال المقال ثم الخبر (١٠٠) . وكانت تستعين في معالجة هذا الجانب بالمقالات المنقولة عن الصحف البريطانية والتي تحمل في الغالب وجهات نظر معتدلة . وقد كان تركيز السياسة على تحليل السياسة البريطانية في العالم العربي ككل وفي فلسطين بوجه خاص (١٠١) ، ومناقشة وعد بلفور وان لم تغفل متابعة نشاط المندوب السامي البريطاني في فلسطين (١٠٢) . اما البعد العربي للقضية الفلسطينية فلم تعره السياسة اهتماما بل نلحظ انها اهتمت بالبعد الدولي للقضية ، فأشارت الى تقارير لجنة الانتدابات الخاصة بفلسطين كما اشارت الى صدى القضية في الدوائر الاوروبية (١٠٣) .

وقد عالجت صحيفة السياسة اليومية القضية الفلسطينية في العشرينات والثلاثينات من منطلق قومي علماني يستنكر سياسة العنف التي كانت تلجأ اليها أحيانا الحركة الوطنية الفلسطينية (١٠٤) . ولذلك كانت السياسة تلتقي مع الفريق المهادن في الحركة الوطنية الفلسطينية الذي يعرف بفريق المعارضة او النشاشيبية ويميل الى (التعاون مع الانجليز واليهود على أساس الحقائق السياسية الراهنة (١٠٥)) .

وكانت السياسة تصور الصراع في فلسطين من الزاوية القومية الصحيحة اذ كانت ترى أن الاستعمار البريطاني هو الذي وضع مشروع الوطن القومي اليهودي وهو الذي يؤازره ويعمل على تنفيذه في فلسطين وهو الذي يظاهر اليهود على العرب (وان الاستعمار البريطاني لم يبعث باليهود الى فلسطين حبا

باليهودية او تنفيذا لفكرة انسانية ولكن لكي يجعل من فلسطين بركانا من القلاقل والاضطرابات وليخلق فيها حالة سياسية تقتضي دائما وجوده وسيطرته (١٠٦)) .

ورغم التصور الصحيح للصراع الذي كانت تطرحه السياسة آنذاك فانها كانت تطرح حلولا غير وطنية . ودليل ذلك موقفها من الحركة الوطنية الفلسطينية ، فهي توجه نقدا مرا لقيادة الحركة الوطنية وترى انها لا تتوفر فيها شروط الزعامة وانها تضم خليطا من العناصر المفككة المتناقضة وتفتقر الى برنامج وطني واضح . علاوة على انها تتخذ قرارات متطرفة ثم تتراجع عنها (١٠٧) فضلا عن ذلك تدين صحيفة السياسة اسلوب الثورة كوسيلة لحسم هذا الصراع فترى ان الثورة سبيل خطر لتأييد الحقوق او استردادها وان اهدار الدماء أشد ما يناقض اساليب العصر وروحه (١٠٨) . وهي تطرح تصورها للسلوك الذي يجب أن تنهجه الحركة الوطنية فتقول ان لفلسطين كباقي الشعوب الشرقية أمانيها الوطنية ولكن التذرع بالسكينة والاناءة والحكمة سلاح ناجح واما الثورة الدموية فانها في الغالب ترتد الى عكس الغاية وتسفر عن آثار رهيبة (١٠٩) .

وبناء على ذلك تحدد السياسة موقفها من الصراع في فلسطين فترى حسمه من خلال الاقناع واللجوء الى التحكيم استنادا الى أن مبادىء الوفاق والتحكم قد أصبحت شعار العصر في فض الخصومات والمنازعات الدولية والقومية ولذلك كان حريا بالعرب واليهود معا الا يدخروا وسيلة للالتجاء الى التحكيم في فض الخصومات الناشبة بينهما (١١٠) .

وقد تمخض هذا الموقف من جانب السياسة عن انحيازها الى الطرف المهادن في الحركة الوطنية الفلسطينية . اي النشاشيبية كما اسلفنا ، ويعكس هذا الموقف من جانب صحيفة السياسة الاتجاه الفكري والسياسي للحزب الذي تنطق باسمه ، اي حزب الاحرار الدستوريين الذي كان يتبنى ذات السياسة ويحتل ذات الموقع داخل الحركة الوطنية المصرية .

وعلى ضوء ذلك كانت السياسة تؤيد مبدأ التعاون مع حكومة الانتداب البريطانية في فلسطين ، وقد وجهت اللوم الى اللجنة التنفيذية العربية بسبب مقاطعتها لمشروع المجلس التشريعي وانتخاباته . اذ كانت السياسة ترى أنه من الافضل أن يكون للامة الفلسطينية مثل هذا المجلس الذي كان يمكن أن يكون وسيلة لاطلاع الحكومة على رغبات الامة ومطالبها ولو الى حد معين (١١١) .

موقف السراي .. من القضية الفلسطينية :

عندما الغيت الخلافة سنة ١٩٢٤ قامت في الهند وفي بعض البلاد الاسلامية هيئات تدعو الى نقل الخلافة الى دولة اسلامية ، وكان هناك اتجاه بأن بريطانيا ترحب بأن تكون الخلافة في مصر ، علاوة على وجود مثل هذا الاتجاه لدى بعض الدول الاسلامية عدا اهل الحجاز وعلى راسهم الملك عبد العزيز آل سعود . وقد اخذ الاهتمام بهذه المسألة يزداد وخصوصا في نهاية ١٩٢٥ . وقد كان الملك فؤاد يتجه ببصره الى الخلافة ، واستعان برجال الازهر من أجل الدعوة لهذه الفكرة . وقد استقر الرأي على الدعوة لعقد مؤتمر اسلامي في القاهرة يضم جميع الدول الاسلامية لبحث مسألة الخلافة ، ولكن تصدى الوفد والاحرار الدستوريون لمحاربة الفكرة ، ونجحوا بالفعل في افشالها (١١٢) ، وكان فشل هذه الفكرة بمثابة اغلاق الباب نهائيا في وجه الجامعة الاسلامية وتأكيدا للتيار القومي المصري . وقد شهدت هذه الفترة (نهاية العشرينات) أحداث البراق التي اهتز لها الشعب المصري بمختلف فئاته ، وكان لها الصدى الاقوى لدى الاوساط الاسلامية في مصر . ولم يكن الصراع على البراق في حقيقته سوى مظهر للصراع القومي بين الحركة الوطنية الفلسطينية والاستعمار البريطاني الصهيوني في فلسطين . وقد هبت القوى الوطنية في فلسطين تدعو العالم الاسلامي والعربي لمؤازرتها في تلك المعركة التي

لم تكن تتعلق بالشعب الفلسطيني وحده ، ولكن بالعالم العربي كله . ودعا المجلس الاسلامي الاعلى في فلسطين الى عقد مؤتمر اسلامي عام بالقدس لخلق كتلة اسلامية عربية قادرة على الوقوف في وجه الاطماع اليهودية (١١٣) . في هذه الفترة عارض الملك الاشتراك في المؤتمر الاسلامي ، اذ ان فشل مشروع الخلافة جعله يعارض اية دعوة للجامعة الاسلامية لا تخرج من تحت تاجه . ولما كانت الفكرة العربية في مصر في تلك المرحلة تتشابك مع النزعة الاسلامية ، لذا فقد اتسم موقف السراي من القضايا العربية بنفس الحذر والتحفظ الذي اصبح يتسم به موقفها ازاء القضايا الاسلامية خصوصا بعد فشل مسألة الخلافة . وقد ظل هذا الموقف يحكم اتجاه السراي ازاء القضية الفلسطينية طوال العشرينات والثلاثينات الى أن استبدلت السراي بمطامحها الاسلامية التي وادتها الظروف في تلك الفترة مطامح عربية في بداية الاربعينات (١١٤) .

صحيفة الاتحـاد .. والقضية الفلسطينية :

تجسد صحيفة الاتحاد موقف السراي من القضية الفلسطينية خلال فترة العشرينات والثلاثينات . فقد تابعت الاتحاد الصراع في فلسطين خلال تلك المرحلة . ولم تهمل حادثا واحدا من احداث القضية ، بل تابعت مختلف تطوراتها سواء من الناحية الخبرية أو التعليق عليها عدا مقالات الرأي التي كانت تحمل وجهة نظر حزب الاتحاد وبالتالي السراي في القضية الفلسطينية . وقد كان الخبر هو الوسيلة الرئيسية التي اعتمدت عليها صحيفة الاتحاد في متابعتها للاحداث الفلسطينية ويلي ذلك المقال ثم التعليقات وان كانت لم تستبعد الفنون الصحفية الاخرى مثل التحقيق (١١٥) . وقد نال الجانب الفلسطيني النصيب الاكبر من اهتمام الاتحاد اذ قامت بتغطية أحداث الثورات الفلسطينية ١٩٢٩ ، ١٩٣٣ من خلال برقيات وكالات الانباء وكانت تنشرها تحت عنوان (اخبار

الشرق) (١١٦) اما جوانب الحياة اليومية بالنسبة للشعب الفلسطيني فقد تناولتها الاتحاد من الجانب الخبري فقط وكانت غالبا ما تنقل عن الاهرام والمقطم فضلا عن (التلغرافات اليومية) .

ويلاحظ أن الاتحاد كانت تركز على النشاط الرسمي (المحاكم ـ المؤتمرات الاقتصادية ـ المشروعات العامة ـ البنوك) (١١٧) . وقد اهتمت الاتحاد بالاشارة الى الجهود التي تبذل من اجل التفاهم بين العرب واليهود (١١٨) ولم تول الاتحاد قضية بيع الاراضي رغم أهميتها ما تستحقه من اهتمام بل اكتفت بمتابعتها من خلال وكالات الانباء وفي عامي ١٩٣٤ ، ١٩٣٥ (١١٩) فقط وقد اولت الاتحاد اهتماما ملحوظا للنشاط الصهيوني في فلسطين وركزت على ابراز أهمية وعد بلفور والاشادة بالوطن القومي ومنجزات اليهود في فلسطين وابراز العلاقة بين الانتداب والصهيونية (١٢٠) .

واهتمت الاتحاد بالاشارة الى حوادث الهجرة غير المشروعة وتهريب اليهود الى فلسطين عن طريق مصر (١٢١) . كذلك نلحظ تزايد اهتمام الاتحاد بمتابعة احوال اليهود في مصر والدول العربية وتركيزها على حوادث الاضطهاد التي تعرض لها اليهود في روسيا والمانيا (١٢٢) وتناولت الاتحاد السياسة البريطانية في فلسطين من زاوية نشاط المندوب السامي وتصريحاته وتنقلاته (١٢٣) . وكانت الاتحاد أحيانا تنقل عن الصحف البريطانية (الديلي ميل ـ الفورتنتلي ريفيو) واحيانا اخرى كانت تنقل عن مراسل الاهرام في لندن وخصوصا في متابعتها لتطورات القضية الفلسطينية في مجلس العموم البريطاني (١٢٤) . وكما اهتمت الاتحاد بتسجيل صدى الاحداث الفلسطينية لدى الدول العربية ، فقد كان تركيزها على رد الفعل المصري واضحا .

وكانت الاتحاد اكثر الصحف اهتماما بحركة العلاقات المصرية الفلسطينية ومتابعتها بجميع أبعادها البريطانية واليهودية والعربية،

وقد ركزت على العلاقات التجارية والاقتصادية وبشكل خاص خلال الثلاثينات (١٢٥) .

كذلك تابعت الاتحاد البعد الدولي للقضية الفلسطينية والذي يتمثل في علاقتها بعصبة الامم ولجنة الانتدابات وكان اهتمامها بهذا الجانب يفوق الصحف المصرية الاخرى (١٢٦) .

كانت الاتحاد تصور الصراع في فلسطين على ان المسلمين والمسيحيين في فلسطين يواجهون تهديدا خطيرا لكيانهم القومي يتمثل اساسا في الخطر الصهيوني علاوة على وقوع بلادهم تحت الانتداب البريطاني وترى ان انشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين هو الحل الاوحد المطروح لمشكلة اليهود في العالم . وان حياة فلسطين قد بلغت من الازدهار والقوة خلال السنوات التي تدفقت فيها الهجرة اليهودية مصحوبة برؤوس الاموال مما لا يمكن اغفاله . وانه من الخطأ المبين الاعتقاد بأن فلسطين اصبحت مأوى للفقراء المشردين . ولذلك ان انشاء الوطن القوم يفي فلسطين يعد فاتحة عهد جديد فيها وسيكون هذا العهد حافلا بالعجائب والمدهشات (١٢٧) .

وكانت الاتحاد تطرح حلا للصراع الفلسطيني الصهيوني البريطاني يلتقي مع الحلول التي طرحتها الصحافة الصهيونية في مصر وروجت لها المقطم والسياسة وهي ضرورة الاتفاق بين الفريقين لتسوية ما بينهما من خلافات . وقد دابت الاتحاد على ترديد هذه النغمة في اكثر من مقال حتى وصلت الى حد الادعاء بأن الدوائر العربية المتطرفة قد بدات تقتنع بهذا الحل. وكانت تبرر هذا الحل بأن بريطانيا قد هددت بالعدول عن انجاز المشروعات الاصلاحية الكبيرة في فلسطين وشرق الاردن ما لم يتوصل العرب واليهود الى عقد اتفاق بينهما بأي ثمن (١٢٨) . وفسرت الاتحاد موقف العرب وميلهم الى التفاهم مع اليهود بأنه يبدو ان العرب قد تأثروا من تدفق الهجرة اليهودية ولذلك اصبحوا يميلون الى التفاهم مع اليهود على تسوية هذه المسألة (١٢٩) .

وتبدي الاتحاد تفاؤلا شديدا ازاء هذا الموقف من جانب بعض القادة العرب وترحيبهم بفكرة التفاهم العربي الصهيوني ، وتستشهد بمواقف بعض القادة السوريين ومنهم رياض الصلح الذي أعرب عن موافقته على قضية التفاهم بين العرب واليهود (١٣٠) .

وتنفرد الاتحاد عن الصحف المصرية المعاصرة لها بأنها قد شنت حملة هجوم عنيف على المؤتمر الاسلامي الذي عقد بالقدس ١٩٣١ اذ هاجمت الموعد الذي حدد لاجتماعه وجدول الاعمال الذي اعده ولخصت موقفها في أن كثيرين من اهل الراي والمشورة يرون وجوب انتقال الداعين الى مصر لمقابلة أهل الحل والعقد فيها والاتفاق على طريقة الاجتماع وتحديد موعده ووضع برنامجه (١٣١) . ولا شك أن الاتحاد بموقفها هذا كانت تعكس وجهة نظر السراي التي اظهرت عداءا واضحا ازاء اية دعوات اسلامية لا تصدر من جانبها ولا يكون لها مكان الصدارة فيها وخصوصا بعد فشل الدعوة الى عقد مؤتمر للخلافة ولتحقيق طموح الملك فؤاد في ان يصبح خليفة للمسلمين .

الاخوان المسلمون .. والقضية الفلسطينية :

لقد أعلن الاخوان المسلمون تضامنهم الكلي مع عرب فلسطين منذ بداية تطور القضية الفلسطينية ، وقد نبع اهتمامهم من (شعور دفاق بحق العروبة ورابطة الاسلام) (١٣٢) . على حد قول البنا . وقد لعب العامل الديني دورا أساسيا في احتضان الاخوان المسلمين للقضية الفلسطينية باعتبارها جزءا من العالم الاسلامي الذي يرون أن أي اعتداء على قسم منه هو اعتداء على باقي الاقسام ، وأن واجب المسلمين في سائر ديارهم مد يد العون لبعضهم بعضا (١٣٣) .

وقد استطاعت حركة الاخوان المسلمين ان تحرك الري العام المصري تجاه القضية الفلسطينية من الزاوية الدينية مما ترتب

عليه ردود فعل معادية للحركة الصهيونية واليهود في مصر . وقد استفادت حركة الاخوان من الناحية السياسية عندما نجحت في امتصاص طاقات السخط لدى الشعب المصري ازاء الحركـــة الصهيونية بتصويرها المعركة في فلسطين على انهـا معركة بين اليهودية والاسلام وليست معركة قومية .

وقد برز دور الاخوان المسلمين اثناء ثورة فلسطين الكبرى عام ١٩٣٦ عندما سارعوا الى تنظيم المظاهرات والفوا اللجان لتلقي التبرعات وارسالها الى اللجنة العربية العليا وقاموا بارسال برقيات احتجاج الى المندوب السامي بفلسطين ووزارة الخارجية البريطانية وعصبة الامم . ودعوا الى تشكيل تجمع يشترك فيه الامير عمر طوسون والهيئات المهتمة بالقضية الفلسطينية في مصر للعمل من اجل مساعدة الثورة العربية في فلسطين . كما طالبوا بتحويـل اعتمادات لجنة مساعدة الحبشة الى مساعدة الثورة الفلسطينية . ولم تكف صحيفة الاخوان المسلمين عن توجيه النداءات المتوالية الى شعب مصر والدول الاسلامية والمسيحية تستحثهم الى الاسراع للدفاع عن مهبط الاديان وموطن المقدسات (١٣٤) .

وقد دابت صحيفة الاخوان المسلمين على توجيه اللوم والنقد لموقف المفكرين المصريين المتسم بالسلبية ازاء هذه القضية الاسلامية الهامة ، وكذلك لموقف باقي الفئات الاسلامية في مصر من شباب واطباء واثرياء لانهم تقاعسوا عن التطوع للدفاع عن هذا الوطن المقدس ، ولم يتبرعوا بالاموال لانقاذ ديار فلسطين ، ولم يبادروا الى ارسال النجدات الطبية لعلاج المرضى والجرحى وشهداء الاسلام هناك (١٣٥) .

وكان من ايسر الامور بالنسبة للاخـوان المسلمين اجـراء المقارنات بين موقف المسلمين المتخاذل ازاء نصرة القضايا الاسلامية وموقف الاقباط المتسم بالايجابية ازاء مساندة القضايا المسيحية . وكانت قضية اعتداء ايطاليا على الحبشة واسراع الكنيسة المصرية والجمعيات القبطية للتضامن واغاثة المنكوبين في الحبشة موضع

تعليق دائم من جانب حركة الاخوان التي كثيرا ما كانت تلجأ الى هذه القارنة كي تحث المسلمين على التحرك من أجل مساندة فلسطين وانقاذ الحرم قبل ان يأتي الوقت الذي يريدون فيه الصلاة فلا يستطيعون (١٣٦) .

ولا تكف صحيفة الاخوان المسلمين عن استثارة الحميـة الدينية لدى الشعب المصري لانقاذ المقدسات الاسلامية في فلسطين، فتقول : لو سار المسلمون كما سرنا الى ارض فلسطين ، ولو وقفوا امام الحرم ومشوا في شوارع بيت المقدس ورأوا اسراب الرجال والنساء ، ونظروا كتائب اليهود المنظمة وجيوش الصهيونية الظالمة التي تفد على فلسطين من سائر بقاع الارض ، ثم نظروا هم كيف يتجمعون عند الحرم ويقفون عند البراق الشريف فينفخ أحدهم في البوق خلافا لكل عرف ونظام فيجيبه جمهور اليهود (في العام المقبل يا اسرائيل) لو نظر المسلمون ذلك وفهموا ما يرمي اليه اليهود من ورائه لتجافت جنوبهم عن المضاجع وسارعوا لانقاذ الحرم قبل أن يأتي الوقت الذي يريدون فيه الصلاة فلا يستطيعون (١٣٧) .

وقد نشأت علاقة وثيقة بين الشيخ حسن البنا والحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى . وقد كانت بينهما مراسلات دائمة لتبادل وجهات النظر . وكانت حركة الاخوان تنظر الى مفتي فلسطين باعتباره رجلا اجتباه الله لحماية فلسطين وقذفه رعبا في قلوب عدوها واسكنه بقعة من الحرم قد بارك حولها ، ولكن ليس معنى ذلك الا يحمل معه العالم الاسلامي والا تبذل في سبيل نصرته أموال المسلمين وأرواحهم (١٣٨) .

وقد كان للموقف البريطاني العنيف ضد ثورة ١٩٣٦ والقرار الذي أصدرته سنة ١٩٣٨ بحل اللجنة العربية العليا والغاء وظيفة المفتي والقبض على زعماء الثورة العربية في فلسطين كان لذلك أسوأ الاثر في نفوس الاخوان . كذلك اعتبرت حركة الاخوان موقـف بريطانيا من الثورة في فلسطين بأنه موقف عداء وتحد صريح للعالم الاسلامي ولا يمكن معه أن تتحسن العلاقات بين بريطانيا والشعوب المسلمة (١٣٩) .

مصر الفتــاة .. والقضية الفلسطينية :

لقد عرف حزب مصر الفتاة باتجاه عربي واضح منذ تكوينه في الثلاثينات (اكتوبر ١٩٣٣) .. ومع ان الاطار الايديولوجي لمصر الفتاة كان يدور حول ضرورة بعث مصر بعثا جديدا داخل اطار الصيغة المصرية الاسلامية ، فانه لم يصرف وجهه عن القضــايا العربية . فهو يطالب ببعث مجد مصر القديم وتاسيس امبراطورية عظيمة تتألف من مصر والسودان وتحالف الدول العربيـــة وتتزعم الاسلام ، واشعال القومية المصرية بحيث تصبح كلمة المصرية هي العليا وتصبح مصر فوق الجميع (١٤٠) . وقد اعلن احمد حسين برنامج مصر الفتاة على صفحات جريدة الصرخة يوم ٢١ أكتوبر ١٩٣٣ . والواقع ان دعوة مصر الفتاة وانحصارها داخل الفكرة القومية الضيقة وفي اطار فكرة الامبراطورية المصرية قد انعكس بشكل مباشر على موقفها من القضية الفلسطينية . فقد كان اهتمام مصر الفتــاة بقضيــة فلسطين نابعــا في الاساس مــن مصــدر متعصب مبعثـــه كراهية اليهــود . وقد ترتب على هذا المفهــوم الخاطىء لطبيعة الصراع الفلسطيني الصهيوني تورط الحزب في القيام بحملات عنصرية معادية لليهود المصريين وتحريض المواطنين على مقاطعتهم اقتصاديا ومحاولة تهييج واستثارة الراي العام المصري ضدهم (١٤١) .

وقد نجح حزب مصر الفتاة في توثيق علاقاته منذ بداية وجوده مع بعض المواطنين الفلسطينيين المقيمين في مصر بشكل خاص مع محمد علي الطاهر صاحب صحيفة الشورى . وعندما اصدر الحزب صحيفته عام ١٩٣٨ التي حملت اسم الحزب نفسه فتح صفحاتها لمحمد علي الطاهر خصوصا بعد أن صادرت السلطات البريطانية في مصر صحيفة الشورى (١٤٢) .

والحقيقة أن صحيفة الصرخة التي استاجرها احمد حسين كي تكون لسان حال مصر الفتاة من ١٩٣٣ وحتى صدور صحيفة

مصر الفتاة سنة ١٩٣٨ لم تعثر فيها على مقالات او تعليقات على ما كان يدور في فلسطين في ذلك الحين ، بل احتوت على بعض المقالات القصيرة التي كانت تتضمن هجوما عنيفا على اليهود في مصر وتدعو الى مقاطعتهم ردا على ما كان يحدث لعرب فلسطين على ايدي الصهيونية (١٤٣) .

اليسار الماركسي .. والقضية الفلسطينية :

في اعقاب ثورة ١٩١٩ تجمعت الحلقات الماركسية المصرية والاجنبية مكونة الحزب الاشتراكي المصري والذي اعلن برنامجه الاول في ١٨ اغسطس ١٩٢١ (١٤٤) . وفي يناير ١٩٢٣ تقرر تغيير اسم الحزب الى الحزب الشيوعي المصري . وفي عام ١٩٢٤ وتحت ضغط اصحاب رؤوس الاموال الاجانب وتهديد سلطات الاحتلال البريطاني التي ارسلت بوارجها الى الاسكندرية صفي بالقوة اعتصام عمالي يقوده الحزب في الاسكندرية ثم سرعان ما اصدرت حكومة سعد زغلول قرارا بحل الحزب واتحاد العمال معا واصدرت احكاما قاسية على قادة الحزب، لكن الحزب الشيوعي المصري لم يتحطم تماما سنة ١٩٢٤ بل استمرت الكثير من خلاياه في معظم المدن المصرية . واعاد الحزب تنظيم نفسه وكون لجنة مركزية جديدة وكان الحزب على صلة بالحزب الشيوعي الفلسطيني . وظل باستمرار فرعا معترفا به من قبل الدولية الشيوعية . وكان نشاط الحزب سريا تماما ولم تتوقف الحكومة المصرية عن مطاردة الحزب طوال هذه المرحلة (١٤٥) .

ووفقا لقانون المطبوعات كان يتعين الحصول على ترخيص من وزارة الداخلية لاصدار اي مطبوع دوري .

وفي هذه الفترة كان الحزب الاشتراكي قد طلب من الحكومة رخصة لاصدار صحيفة خاصة به . ولكن وزارة الداخلية رفضت هذا الطلب لا سيما على اثر ما نشره الحزب من الاحتجاجات والاعتراضات المتعلقة بالسياسة المحلية ولما لم ينجح في الحصول

على الرخصة جعل يبحث عن جريدة موجودة فوجد جريدة الشبيبة، وهي جريدة اسبوعية ادبية اجتماعية للشيخ عبد الحميد النحاس ، فاتفق واياه على تحويلها الى جريدة اشتراكية (١٤٦) . وقد صدر عددها الاول في اوائل يوليو ١٩٢٢ . ثم أصدرت وزارة الداخلية امرا باغلاقها ومنع نشرها .

وقد تكررت المحاولة من جانب الحزب اذ اشترى امتياز العديد من الصحف التي لم يكتب لها الدوام وتميزت بقصر العمر نتيجة الملاحقة المستمرة من اجهزة الامن ومحاربتها لها بسلاحي الاغلاق والمصادرة . وقد لجأت المنظمات اليسارية في كثير من الاحيان الى اصدار نشرات غير دورية اذ انها لا تحتاج لاذن خاص . وكان الحزب الشيوعي يلجأ في مختلف المناسبات الى اصدار نشرة مطبوعة بعنوان (خطاب مفتوح الى ....) وقد صدر منها عدة اعداد مثل (خطاب مفتوح الى سعد زغلول) و (خطاب مفتوح الى المثقفين) (١٤٧) ، هذا الى جانب النشرات السرية الخاصة التي كانت يصدرها الحزب . وفي مارس ١٩٢٥ استأجر الحزب رخصة جريدة « الحساب » من صاحبها ابراهيم الصبحى الذي كان قد فشل في مواصلة اصدار جريدة يومية ذلك انه اصدرها اسبوعية ثم توقفت الحساب عن الصدور بعد العدد العاشر الصادر في ٢٣ ديسمبر ١٩٢٤ . ثم عاودت صدورها على يد رفيق جبور وكوادر الحزب الشيوعي في ٦ مارس ١٩٢٥ وقد ظلت تصدر حتى مايو ١٩٢٥ . وقد حدد الحزب الشيوعي المصري موقفه من الفكرة العربية من خلال الشعارات التي بدأت تتردد في بياناته عن (وحدة الشعوب العربية في الكفاح ضد الاستعمار) . وعندما تأسست (عصبة النضال ضد الامبريالية) في بروكسل سنة ١٩٢٣ طرح الماركسيون المصريون مشروع تأسيس فرع لها في مصر يضم ممثلي مختلف القوى الوطنية . وقد شارك الحزب الوطني وزعيمه حافظ رمضان في الاتصالات والجهود التي بذلها الحزب الشيوعي مع ممثلي العصبة ، وكان المشروع ينص على تاسيس فروع مماثلة

في مختلف البلدان العربية على أساس أن تشكل منها قيادة مركزية عربية يمكن أن يطلق عليها اسم « عصبة تحرير البلدان العربية » (١٤٨) . وقد كان موقف الحزب الشيوعي المصري جزءا من الموقف العام للحركة الشيوعية العالمية ازاء الواقع العربي في ذلك الوقت . وقد أصدرت العصبة المناهضة للامبريالية في نوفمبر سنة ١٩٢٩ بيانا بعنوان (النضال من اجل حرية الشعب العربي) حددت فيه موقفها من القضية العربية على اثر وقوع أحداث البراق اغسطس ١٩٢٩ في فلسطين . وقد جاء في البيان (لقد اوضحت احداث فلسطين الاخيرة حقيقة ان القضية الوطنية العربية تشكل في الوقت الراهن أحد القضايا الهامة في السياسة العالمية . والعرب يمتلكون كل الحق في القضاء على تقسيم وطنهم) (١٤٩) .

الصحف المصرية غير الحزبية .. والقضية الفلسطينية :

١ ـ موقف المقطم من القضية الفلسطينية :

يتحدد موقف المقطم من القضية الفلسطينية خلال العشرينات والثلاثينات انطلاقا من تبعيته المطلقة للاستعمار البريطاني وموقفه المعادي للحركة الوطنية المصرية . وقد حددت نشأته منذ صدوره سنة ١٨٨٩ ، التزامه المسبق بالدفاع عن المصالح البريطانية ليس في مصر فحسب بل في الهند والمنطقة العربية وسائر انحاء الامبراطورية البريطانية . وقد انتهجت المقطم في معالجتها للقضية الفلسطينية نهجا مخالفا لمعظم الصحف المصرية الاخرى سواء من حيث حجم الاهتمام أو نوعه . فقد كان من المتوقع بالنسبة لهذه الصحيفة في ضوء ما عرف عنها من ارتباط وثيق بالسياسة البريطانية أن تكون لسانا للدفاع والدعاية للصهيونية في مصر وتسفر عن موقف شديد العداء لحقوق الشعب الفلسطيني . ولكن ما حدث كان مخالفا لهذا التوقع من حيث الشكل على الاقل . إذ ان المقطم قد طبقت هذا المخطط بالفعل ولكن من خلال سياسة حكيمة شديدة الدهاء

والنعومة . فهي الصحيفة المصرية الوحيدة التي اتاحت الفرصة للكتاب العرب والكتاب اليهود لابداء وجهات نظرهم على صفحاتها في مختلف التطورات التي طرأت على مسرح الاحداث في فلسطين خلال تلك المرحلة . وقد اعفت نفسها في ظل هذا الموقف من ابداء وجهة نظرها بشكل مباشر في الاحداث الفلسطينية . ومما يضاعف صعوبة الباحث أن صحيفة المقطم لم تقتصر على هذا الاسلوب بل لجأت الى عدة اساليب متنوعة اولها انها عينت لها مراسلا خاصا في فلسطين كان يوقع باسم صبير ، وثانيها انها كانت غالبا ما تنقل وجهات نظر الصحف البريطانية والصهيونية والفلسطينية فيما يتعلق بتطورات القضية . ومن خلال هذا التنوع ونشر الراي ونقيضه تزداد الصعوبة في التقاط الخيط الاساسي الذي يعبر عن وجهة نظر المقطم .

وتتميز المقطم في معالجتها للقضية الفلسطينية بأبعادها المطروحة في تلك الفترة بالتحديد والفصل بين كل بعد من أبعاد القضية ، ففي الجانب الفلسطيني للقضية تجدها تمنح الفرصة كاملة للكتاب الفلسطينيين المقيمين في مصر وخارجها للكتابة وابداء وجهة نظرهم ، وابرزهم في هذا الصدد نسيم صبيبه واحسان الجابري ومحب الدين الخطيب ومحمد علي الطاهر . كذلك في الجانب الصهيوني للقضية تتيح المقطم للكتاب اليهود فرصة واسعة للكتابة والتعليق على كل ما يمس الحركة الصهيونية ومستقبل الوطن القومي اليهودي في فلسطين . وابرز هؤلاء الكتاب سعد يعقوب المالكي والياس ساسون وعزرا ليفي ودانيال ليفي ود. هلال فارحي ويعقوب خوري . أما الجانب البريطاني للقضية فقد تبارى الكتاب من الجبهتين في الكتابة وابداء آرائهم التي غالبا ما كانت تعكس التناقض الجذري بين الحقوق العربية والاطماع الصهيونية في فلسطين وعجز بريطانيا عن التوفيق بين هذه المتناقضات .

وقد اهتمت المقطم في تناولها للبعد الفلسطيني بابراز مطالب الفلسطينيين علاوة على المقالات التي كانت تتناول القضية بشكل

عام (١٥٠) . وقد نال هذا الجانب نصيبا وافرا من اهتمام المقطم التي تابعت معظم تفصيلاته وخصوصا الانتفاضات والثورات التي قام بها الشعب الفلسطيني في مواجهة الصهيونية والانتداب البريطاني (١٥١) . ومع ذلك لم تمنح المقطم القضايا الجوهرية في الصراع وهما قضيتا الاراضي والهجرة الاهتمام المتوقع (١٥٢) . وقد أبدت المقطم اهتمامها بمناقشة اسباب القاطعة بين العرب واليهود مستهدفة التوصل الى تجاوز هذه الاسباب والترويج للدعوة الى التفاهم بين العرب واليهود . وقد ساهم الكتاب اليهود المصريون ذوو الميول الصهيونية بنصيب وافر في هذه المسألة (١٥٣) .

هذا وقد اولت المقطم اهتماما ملحوظا بالنشاط الصهيوني في فلسطين وخصوصا الانجازات الصهيونية والدور الايجابي الذي تقوم به الوكالة اليهودية في معاونة حكومة الانتداب من اجل التعجيل باقامة الوطن القومي (١٥٤) . وكما أسلفنا كان اهتمام المقطم بمسألة الهجرة اليهودية محدودا وتعتبر اقل الصحف المصرية اهتماما بهذا الجانب (١٥٥) . كذلك لم تبد المقطم اهتماما يذكر بالمؤتمرات الصهيونية (١٥٦) .

وقد تجلت براعة المقطم في معالجتها للسياسة البريطانية في فلسطين، اذ اتسمت هذه المعالجة بقدر ملحوظ من الدهاء والمداورة والحذر وركزت المقطم على علاقات المندوب السامي بالجانب الفلسطيني (١٥٧) . وأفردت صفحاتها للكتاب العرب واليهود لمناقشة وعد بلفور واختلاف وجهات النظر فيه (١٥٨) . كما ناقشت المقطم احتمال تخلي بريطانيا عن الانتداب في فلسطين وأوضحت حيرتها ازاء المشكلة الفلسطينية (١٥٩) .

وقد نال البعد الدولي للقضية الفلسطينية قدرا لا بأس به من اهتمام المقطم وخصوصا صدى الحوادث الفلسطينية في دول الغرب (١٦٠) وعلاقة المسألة الفلسطينية بعصبة الامم (١٦١) .

ولكن يلاحظ أن المقطم اهملت عن عمد صدى الحوادث الفلسطينية في الدول العربية والاسلامية كما أنها لم تشر مطلقا الى ردود الفعل المصرية ازاء القضية .

وفيما يتعلق بالرؤية التي انطلقت منها المقطم في موقفها ازاء القضية الفلسطينية .. نلاحظ انه رغم أسلوب الحذر الذي التزمت به في عدم الافصاح بشكل مباشر عن موقفها ، يمكننا أن نستشف حقيقة موقفها من خلال بعض التعليقات والمقالات المتناثرة عبر العشرينات والثلاثينات علاوة على انها جندت معظم اعدادها لوجهة النظر الصهيونية . ورغم انها كانت تتيح للكتاب الفلسطينيين فرصة الكتابة فقد حظى المدافعون عن الفكر الصهيوني والدعوة الصهيونية بنصيب مضاعف .

ومن خلال اجراء احصاء سريع لهذا الموضوع يتبين لنا أن النسبة تبلغ مرة واحدة لكل كاتب فلسطيني مقابل مرتين ونصف أو ثلاث مرات للكاتب اليهودي .

ولذلك اصبحت وجهة النظر الصهيونية مطروحة بشكل شبه دائم على صفحات المقطم . وقد بلغت قدرة المقطم على التضليل حدا وصل الى أن صحيفة الشورى التي كان يصدرها الصحفي الفلسطيني محمد علي الطاهر في مصر نشرت شكرا وثناء على المقطم (لتوخيها الحق فيما تكتب) وانها لا تخشى في الحق لومة لائم : فهي تنصر اللجنة التنفيذية في الحق وتأخذ عليها سلبياتها ، كما انها تأخذ على الاحزاب الاخرى عيوبها دون تحامل ، وذلك بخلاف اكثر الكتاب الذين يوالون فريقا على حساب اخر (١٦٢) .

وتصور المقطم الصراع في فلسطين على أنه نتاج ظروف عارضة، لان هذا البلد وتقصد فلسطين محكوم عليه بأن يكون وطنا مشتركا بين الشعبين الشقيقين اليهودي والعربي سواء رضيا أم ابيا . واذا كانت هناك بعض العوائق الخارجية التي قد تعرقل مسيرة الحركة الصهيونية فانها لا تستطيع بأي حال اسقاطها والقضاء عليها طالما هناك شعب اسرائيلي حي على وجه الارض (١٦٣) .

وتظل هذه النغمة تتردد بأساليب مختلفة في معظم المقالات والتعليقات التي نشرتها المقطم في هذا الصدد . فهي تحاول دائما أن تصور الصهيونية على انها لا تهدف مطلقا الى طرد العرب من فلسطين وان فلسطين رغم أنها بلاد صغيرة ، فان فيها متسع لابنائها العائدين اليها من مختلف انحاء العالم والممتلئين حماسا وقدرة على البناء والتعمير (١٦٤) .

ولم تكف المقطم عن ترويج الدعوة الخاصة بضرورة التفاهم بين العرب واليهود . وقد انفردت بنشر وثيقة تاريخية تسجل اللقاء الذي تم بين الملك حسين بن علي والوفد الصهيوني سنة ١٩٢٤ . وتتضمن هذه الوثيقة تفاصيل اللقاء والخطاب الذي رفعه الوفد الى الملك حسين يبدي فيه رغبة الشعب الاسرائيلي في الاشتراك مع الامة العربية في سبيل نهضة الشرق . وقد رحب بهم الملك حسين ومنح الحاخام مير وسام الاستقلال بعد أن قدم الوفد الصهيوني امانيه لجلالة الملك في داخل اطار من القدسية (١٦٥) .

وكانت المقطم تشير احيانا الى تدهور الاحوال في فلسطين دون ان تذكر الاسباب الحقيقية لهذا التدهور . ولكنها كانت تنصح اهل البلاد بأمرين : أولهما : ضرورة السعي بثبات من أجل تقدم بلادهم ، وثانيهما : وجوب التخلص من خلافاتهم ومنازعاتهم والاقتداء بالامم الاخرى التي لم تحقق امانيها الا بالاتحاد والاخلاص والعمل والصبر (١٦٦) .

٢ ـ موقف الاهرام من القضية الفلسطينية :

تناولت الاهرام القضية الفلسطينية من منطلق صحفي أكثر منه فكري أو سياسي ، لذ يتميز تناولها للقضية بعدة سمات تجعل منه فكري أو سياسي ، لذا يتميز تناولها للقضية بعدة سمات بشكل واضح ومحدد .. أول هذه السمات التغطية الخبرية الشاملة لجميع أحداث القضية الفلسطينية بمختلف ابعادها الفلسطينية والصهيونية والبريطانية والدولية . ثانيا : تعتبر الاهرام الصحيفة

المصرية الوحيدة التي لم تلجأ الى استخدام المقال في معالجة تطورات القضية الفلسطينية بل استخدمت الحديث الصحفي الى جانب الخبر والتعليق (١٦٧) . ثالثا : منحت الاهرام اهتماما متساويا لجميع أبعاد القضية من حيث المتابعة الصحفية والتغطية الاخبارية .

وقد بدات الاهرام تتابع بانتظام ردود الفعل العربية داخل فلسطين ازاء حكومة الانتداب والخطر الصهيوني منذ ١٩٢٣ (١٦٨) وكانت دائما تنشر حوادث فلسطين في الصفحة الثالثة وأحيانا في الثانية . وكان اهتمام الاهرام يتصاعد أثناء الثورات والانتفاضات . فلا يمر اسبوع دون أن ترد أخبار الثورات الفلسطينية عدة مرات . وكان للاهرام مراسل خاص في القدس . وقد انفردت الاهرام عن مختلف الصحف المصرية والعربية بتغطيتها الاخبارية الشاملة للثورات الفلسطينية وخصوصا أحداث البراق واضطراباته ١٩٣٣ (١٦٩) .

وفي بداية الثلاثينات خصصت الاهرام بابا ثابتا في الصفحة الرابعة عنوانه (الحالة السياسية في فلسطين) كانت تتابع من خلاله نشاط الحركة الوطنية الفلسطينية ممثلة في اللجنة التنفيذية العربية (١٧٠) .

أما الحياة اليومية للشعب الفلسطيني فقد تابعتها الاهرام من خلال باب ثابت عنوانه (الرسالة الفلسطينية) في الصفحة الثالثة وقد ركزت على نشاط المؤتمرات الشعبية والاحزاب والتجمعات المهنية مثل المعلمين والعمال (١٧١) وقد تناولت الاهرام العلاقات اليومية بين سكان فلسطين من العرب واليهود منذ عام ١٩٢٨ وأبرزت علاقة كل منهما بالاخر وعلاقتهما على انفراد بالمندوب السامي كما عرضت لاحتمالات التفاهم والصدام الذي كان يقع بينهما (١٧٢) .

وتناولت الاهرام أيضا مستقبل القضية الفلسطينية والملابسات التي احاطت بها عربيا ودوليا . وكانت حريصة على أن يتم ذلك من خلال المتابعة الخبرية او الاحاديث مع كبار المسئولين الفلسطينيين والصهيونيين على السواء (١٧٣) .

وقد بدأ اهتمام الاهرام يتجه نحو متابعة النشاط الصهيوني في فلسطين ابتداء من عام ١٩٢٤ . والواقع أن هذا الاهتمام رغم طابعه الخبري الا انه كان هناك تركيز واضح على زيارات الزعماء الصهيونيين لفلسطين (١٧٤) . كما كانت تشير الاهرام دائما الى مستقبل الوطن القومي اليهودي في فلسطين، وقد تطلب هذا تركيزها على نشاط المستعمرات من ناحية التسليح وحاجتها الى المال (١٧٥) .

وقد كانت الاهرام هي الصحيفة المصرية الوحيدة التي انفردت بمتابعة الحياة اليومية لليهود في فلسطين .. مشاكلهم واضراباتهم ونشاطاتهم المختلفة (١٧٦) . وابدت الاهرام اهتماما مبكرا بقضية تهريب الاسلحة لليهود اذ بدأت تتابعها منذ ١٩٢٩ على عكس باقي الصحف المصرية التي لم تنتبه الى خطورة هذه المسألة سوى في الثلاثينات (١٧٧) .

وفيما يتعلق بقضية الهجرة اليهودية الى فلسطين فقد عالجتها الاهرام بغزارة ملحوظة الى حد اقتصار هذه المتابعة على الجانب الخبري . وقد تصاعد اهتمام الاهرام بهذا الجانب ابتداء من منتصف ١٩٣٠ وبلغ الذروة في ١٩٣٣ ، ١٩٣٤ . اذ كان لا يخلو الاهرام اسبوعيا من متابعة الموضوع عدة مرات على الاقل . وتداولت الاهرام اهتمامها لمسألة تهريب اليهود الى فلسطين كما اشارت الى الاضطرابات التي وقعت في فلسطين من جراء الهجرة اليهودية (١٧٨) .

ومما يجدر ذكره الاهتمام غير العادي الذي أولته الاهرام لمسألة الشيوعية في فلسطين ، وقد ركزت على ابراز العلاقة بين

الشيوعية والتنظيمات الشعبية اليهودية والفلسطينية . وقد بدا هذا الاهتمام منذ ١٩٢٧ (١٧٩) . ولم يبرز اهتمام الاهرام بقضية بيع الاراضي سوى في الثلاثينات اذ بدات منذ عام ١٩٣١ تتابع اخبار بيع الاراضي ، ويلاحظ أن الاهرام كانت تربط دائما بين اليهود وتحسين الاراضي في فلسطين كما كانت تشير الى موقف الهيئات العربية والاسلامية من هذه القضية (١٨٠) .

وقد ابدت الاهرام اهتماما متزايدا ازاء العلاقات الفلسطينية العربية وبدات تتابعها في اطارها الطبيعي منذ ١٩٢٣ (١٨١) . وان كانت لم تغفل ردود الفعل العربية ازاء ما يحدث في فلسطين (١٨٢). كما كانت الاهرام تهتم بنقل آراء الصحف المصرية الاخرى مثل البلاغ والسياسة وكوكب الشرق والمقطم وتعليقاتها على الاحداث الفلسطينية .

وكان للعلاقات المصرية الفلسطينية نصيب ملحوظ من اهتمام الاهرام خلال العشرينات والثلاثينات . ولم يكن هناك تركيز على جانب معين بل كانت عملية متابعة شاملة ، وكان يغلب عليها الطابع الخبري (١٨٣) وكما ابدت الاهرام اهتمامها بحياة اليهود داخل فلسطين كذلك اولت حياة ونشاط اليهود المصريين اهتماما مماثلا بل حرصت على ابراز علاقاتهم مع يهود فلسطين (١٨٤) .

وقد قامت الاهرام بتصوير الصراع في فلسطين من الزاوية القومية الصحيحة اذ القت على بريطانيا المسئولية كاملة في تحويل هذا القطر العربي الى وطن قومي لليهود .

وقد توقعت الاهرام الفشل للسياسة البريطانية في فلسطين وذلك لعدة اسباب . اولا : ان بريطانيا وضعت هذا النظام بدون علم أصحاب البلاد ودون استناد الى اي مبدأ من المبادىء التي تحكم الشعوب على اساسها . وثانيها : ان هذه البلاد لها وضع مقدس لدى ملايين المسلمين والنصارى واليهود . وثالثها : أن عددا كبيرا من اليهود الفلسطينيين يرفضون هذه الاسياسة الخاطئة .

وقد قام عدد كبير منهم بتحذير الصهيونيين من عواقب هـذه السياسة ونصحهم بالاتفاق مع سكان البلاد واصحابها بدلا من الاعتماد على قوة الحرب البريطانية في تحقيق امانيهم والوصول الى ما يدعون انه حق من حقوقهم التاريخية (١٨٥) .

وطبقا للمنهج المعتدل الذي التزمت به الاهرام في معالجة القضايا الوطنية والسياسية نراها تؤيد الحركة الوطنية الفلسطينية ولكنها لا تؤيد الالتجاء الى العنف بل ترى انه كلما ابتعد الوطنيون الفلسطينيون عن استخدام العنف فان حجتهم ستظل قوية ويبقى صوتهم عاليا مسموعا ويزداد عطف النفوس العادلة على قضيتهم عاليـا مسـمـوعا . ولا بـد لهم ان يـروا يـوما ثمرة جهـادهم واتحادهم (١٨٦) .

وخلافا لموقف بعض الصحف المصرية التي كانت تدعو العرب الى ضرورة التفاهم مع اليهود . نلاحظ ان الاهرام تدعو اليهود الى التفاهم مع أهل البلاد والاتفاق معهم على تعمير فلسطين على أساس ان ذلك خير لهم وأبقى من النظام القائم على المطامع والمدعوم بسيوف الاحتلال البريطاني وحرابه .

الصحافة الطائفية .. والقضية الفلسطينية :

كان للصحف الطائفية دور واضح في الصحافة المصرية . فقد استخدمها الاستعمار البريطاني كوسيلة فعالة في تنفيذ مخططـه القائم على سياسة (فرق تسد) . وقد حاول اتباع هذه السياسة في مصر منذ الاحتلال واحتفظ بحقه في استعمالها في وثيقة الاعتراف باستقلال مصر تحت تحفظ « حماية الاقليات » (١٨٧) مستهدفا بذلك تحويل الاقلية الدينية الى راس رمح يوجه الى الحركـة الوطنية وان يثير لدى الاغلبية ردود فعل دينية متطرفة ترتد بها الى مواقف ارهابية تحرف النضال الوطني عن أهدافه الرئيسية . وقد

نجح هذا المخطط في الفترة الاولى من الاحتلال وبدأ ما يسمى في مصر بالصراع الطائفي ، وازداد هذا الصراع قوة بعد وفاة مصطفى كامل (١٨٨) .

وكان من أهم صحف الاقباط في مصر في تلك الفترة صحيفتان هما (مصر) و (الوطن) * . ولم يقف الاحتلال البريطاني عند هذا الحد بل أوجد الخلاف بين المذاهب المسيحية ذاتها ، فكانت جريدة الوطن تؤيد المذهب الانجيلي بينما تؤيد جريدة مصر المذهب الارثوذكسي . وقد وقع بينهما الخلاف واستمر حتى نهاية العشرينات (١٨٩) . وقد استطاع حزب الوفد وبمقدرة عالية أن يحبط سياسة اثارة الطائفية بين المسلمين والاقباط ، وانعكس هذا على موقف الصحافة الطائفية من الحركة الوطنية في داخل مصر والحركات الوطنية في العالم العربي ، ولكن لم يظهر الموقف بجلاء من جانب هذه الصحافة سوى في نهاية العشرينات وبداية الثلاثينات . ويمكننا اعتبار القضية الفلسطينية وموقف الصحافة الطائفية منها مقياسا دقيقا لهذا التحول . ورغم أن حجم الاهتمام الذي حظيت به القضية في الصحافة الطائفية كان محدودا الا أن موقف هذه الصحف كان يتسم بالمساندة والتأييد للجانب الفلسطيني في الصراع . وكان هناك اشادة دائمة بوحدة المسلمين والمسيحيين في فلسطين ازاء الخطر الصهيوني والانتداب البريطاني . وتجسد صحيفة الوطن هذا الموقف بوضوح ، فقد عالجت القضية الفلسطينية من منطلق ديني قومي . وشنت هجوما متواصلا على تلك الفئة التي (قرر الله أن تكون مشردة في أنحاء الارض (١٩٠) ويعني بذلك اليهود) .

وقد صورت الوطن الصراع في فلسطين على ان الانجليز يحاولون تغيير اتجاه التاريخ وتحويل سنة الله في خلقه ، بجمع الفئات المتشردة من اليهود وزرعها في قلب فلسطين رغما عن ارادة سكانها من المسلمين والمسيحيين ، ولا تبالي بريطانيا بعد ذلك بما

يسفر عنه ذلك المخطط الاجرامي سواء سفكت الدماء أم حقنت بل كل ما يهمها هو تسخير طائفة من البشر لتحقيق مصالحها على حساب الطوائف الاخرى .

وكثيرا ما تبدي صحيفة الوطن ثقتها واعجابها الشديد بتلك الروح المباركة التي سرت في الشرق كله وتجلت في فلسطين . فلئن استطاع الغرب اليوم أن يتجاهل تلك القوة المعنوية فسيرغمه ثبات الشرق وتضامنه على احترام حقوقه وتقدير نهضته (١٩١) .

وكانت الوطن تبدي اسفها وحزنها لما أصاب فلسطين من فوضى واضطراب وتدهور في أحوال الامن حتى أصبح الانسان يخاف على نفسه وماله وبيته بالمدينة فضلا عن القرى والصحاري والقفار (١٩٢) وذلك في ظل حكومة الانتداب التي لم تعد تشغلها مصلحة البلاد بقدر ما هي مشغولة في تسهيل الهجرة اليهودية وانتزاع الاراضي من السكان العرب وتمليكها لصندوق راس المال القومي اليهودي (١٩٣) .

وتؤكد الوطن في معظم مقالاتها على صلابة الحركة الوطنية الفلسطينية ووحدة المسلمين والمسيحيين في فلسطين واصرارهم على مقاومة وعد بلفور وانشاء الوطن القومي اليهودي ولو أدى ذلك الى فنائهم . اذ انهٔ من المحال ان يتهاونوا في الحفاظ على أعظم أثر ديني وهو المسجد الاقصى بتمكين اليهود من انتزاعه والسيطرة عليه فضلا عن ابائهم وانفتهم من ان يخضعوا لفئة قضى الله عليها بأن تعيش الى الابد مشردة بلا مأوى (١٩٤) .

الصحافة الصهيونية في مصر :

لقد تمتعت الطائفة اليهودية في مصر بكامل حريتها في اصدار الصحف والمجلات الناطقة باسمها ومصالحها والتي تحمل وجهات نظرها فيما يتعلق بالشئون المصرية او العالمية . وقد أصدر اليهود في مصر خلال العشرينات والثلاثينات عدة صحف ناطقة باللغة

العربية عدا الصحف الاخرى الناطقة باللغتين الفرنسية والانجليزية.
ومن ابرز الصحف الناطقة بالعربية صحيفة الاتحاد الاسرائيلي التي اصدرتها جمعية القرائين الاسرائيلية بالقاهرة سنة ١٩٢٤ ، وكان يراس تحريرها يوسف فرج صالح . وكانت تهتم بمعالجة شئون طائفة اليهود القرائين ومتابعة اخبار اليهود في العالم . ولم تكن تبدي اهتماما كبيرا بنشاط الحركة الصهيونية او الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وان كانت تنشر اخبار فلسطين على عمود جانبي تحت عنوان (اخبار ارض الميعاد) . وابتداء من عام ١٩٢٦ اصبحت تصدر باسم باروخ لينومنجوني صاحب الامتياز والمدير المسئول .

وقد شهدت هذه الفترة ظهور مجلتين يهوديتين انتشرتا انتشارا واسعا بين ابناء الطائفة اليهودية في مصر ولعبتا دورا هاما في الترويج للدعوة الصهيونية في مصر .. اولهما مجلة اسرائيل التي أصدرها الدكتور البيرت موصيري سنة ١٩٢٠ وكانت تصدر بثلاث لغات العربية والفرنسية والعبرية . ولم تستمر الطبعة العبرية وقتا طويلا نظرا لقلة القراء اليهود الذين يجيدون العبرية . أما الطبعة العربية فقد استمرت اربعة عشر عاما . وكذلك الطبعة الفرنسية التي كانت تلقى انتشارا واسعا في الاوساط اليهودية . وبعد وفاة مؤسسها الدكتور البيرت موصيري سنة ١٩٣٣ حلت محله زجته التي واصلت اصدار الصحيفة حتى سنة ١٩٤٠ . وكانت قد كتبت في نوفمبر سنة ١٩٣٣ تستحث يهود مصر على المشاركة في تمويل الصحيفة بعد ان توفي صاحبها في أوائل ذلك العام ، قالت : « لقد قمنا بنشر الدعوة الصهيونية طيلة هذه المدة والتبشير بالمبادىء الصهيونية والدفاع عنها ورد حملات خصومها عليها . وكم من مرة لفتنا نظر كبار رجال الصهيونية في الشرق الى أن وجود جريدة يهودية بلسان عربي في مصر تتولى الدفاع عن الصهيونية وتنشر الدعوة لها فهي على جانب عظيم من الاهمية . وحذرت اليهود في الشرق ومصر بانهم اذا لم

يبادروا الى معاونة الصحيفة فانها ستتعطل » . وقد ركزت صحيفة اسرائيل اهتمامها على متابعة النشاط الصهيوني في أنحاء العالم مع اهتمامها الاساسي بشئون الطائفة الاسرائيلية في مصر .

اما المجلة الثانية فهي مجلة الفجر التي أصدرها ثوسيسان سيكوتو سنة ١٩٢٤ واستمرت حتى سنة ١٩٣١ ثم انتقلت ادارتها الى جاك مالح . ولقد صادفت هذه المجلة عدة صعوبات مالية وكادت تتوقف عن الصدور بعد ذلك ولكن اهتم بها أعضاء محفل بني بريث وشكلوا لجنة برياسة سيمون ماني لدعمها ماديا وادبيا . وقد اتخذت عصبة معاداة اللاسامية من الفجر منبرا لها طوال الاربعينات .

وفي عام ١٩٣١ اصدر البير ستراسلسكي رئيس فرع حزب التصحيحيين في مصر جريدة الصوت اليهودي بالفرنسية ، وكان يقوم بتمويل هذه الصحيفة عدد من كبار الراسماليين اليهود في الاسكندرية ، كما كانت تحظى برعاية حاخامات الاسكندرية . وقد كانت لسان حال الجناح المتطرف في الحركة الصهيونية .

وكان من ابرز الصحف اليهودية ذات الاتجاهات الصهيونية السافرة صحيفة الشمس التي أصدرها سعد يعقوب المالكي في سبتمبر ١٩٣٤ ، وكانت تهتم بعرض قضايا ومشاكل اليهود في مصر كما كانت تنشر اخبار النشاط الصهيوني في فلسطين تحت عنوان (أخبار فلسطين) . وكانت تهتم بابراز دور اليهود في تقدم فلسطين الاقتصادي . ولم تكن تبدي اهتماما بمتابعة التطورات السياسية في المجتمع المصري في ذلك الحين . وتكمن خطورة هذه الصحيفة في انها كانت تتزعم حملة هجوم شديدة على الاستعمار البريطاني في فلسطين مما كان يساعدها على اكتساب ثقة الحركة الوطنية المصرية . وقد أتاح لها ذلك فرصة نشر الافكار الصهيونية والدفاع عنها بنعومة وخبث وأسلوب غير مباشر .

والواقع ان اخطر الصحف الصهيونية واعمقها اثرا على يهود مصر كانت صحيفة المنبر اليهودي التي أصدرها جاك رابان في نهاية عام ١٩٣٦ . وقد كان يتسم بنشاط وحماس شديدين للحركة الصهيونية وساهم بالكتابة في معظم الصحف الصهيونية التي كانت تصدر في مصر في ذلك الحين مثل اسرائيل والفجر والشمس والصحف الاجنبية ذات الميول الصهيونية مثل البورص ايجبشيان وجريدة الاحد . كما ساهم في انشاء نقابة الصحفيين المصرية . ولقد لعبت صحيفة المنبر اليهودي دورا أساسيا في الدعاية للحركة الصهيونية في مصر خصوصا في الاربعينات .

الصحافة الفلسطينية في مصر :

من أبرز الاصوات التي انطلقت في مصر خلال العشرينات والثلاثينات دفاعا عن فلسطين بصورة خاصة وعن البلاد العربية بصورة عامة ، كان صوت الصحفي الفلسطيني محمد علي الطاهر صاحب الشورى*، الذي سعى فور مجيئه الى القاهرة سنة ١٩٢٠ الى تشكيل اللجنة الفلسطينية . وقد لعبت هذه اللجنة دورا هاما من خلال البيانات والنداءات والاستنكارات التي كانت تصدرها تعليقا على الاحداث الفلسطينية العربية ، وتحذيرا من الخطر الصهيوني ، استنكارا للسياسة البريطانية الموالية للصهيونية في فلسطين . وتمكنت بفضل الجهود التي بذلها محمد علي الطاهر واعضاء الجالية الفلسطينية بمصر من الكتاب والعلماء والشعراء من أن تستقطب تأييد ومساندة شرائح هامة من الراي العام المصري . كما استطاع محمد علي الطاهر من خلال المقالات التي كان يكتبها في معظم الصحف المصرية (١٩٥) أن يخلق وعيا بالقضية الفلسطينية ويصحح كثيرا من الاخطاء المتداولة ويرد على كثير من المغالطات والافتراءات التي كانت تزخر بها بعض الصحف المصرية المعادية للقضية الفلسطينية . وقد أصدر صحيفة الشورى سنة ١٩٢٤ فكانت لسان حال العالمين الاسلامي والعربي ولسان الثورة السورية.

وقد تنبه الاستعمار البريطاني والفرنسي والايطالي الى خطورتها فكان يمنع دخولها الى الدول العربية والاسلامية التي تقع في دائرة نفوذه . وقد تغلب محمد علي الطاهر على منع الشورى ومصادرة اعدادها فلجأ الى اصدارها بأسماء اخرى . ففي عام ١٩٢٦ بعد ان عطلت السلطات المصرية الشورى اصدر جريدة الجديد لصاحبها الدكتور محمود عزمي . فبادرت السلطات المسئولة الى تعطيلها ، فأصدر بدلا منها « الشباب » . لكن السلطات المصرية عطلتها ايضا (١٩٦) . وفي سنة ١٩٢٨ علم محمد علي الطاهر بأن الشورى ستمنع من دخول فلسطين فبادر باعداد صحف اخرى تحل محل الشورى ، منها صحيفة باسم (الناس) فصودرت ، واخرى باسم « المنهاج » فصودرت ايضا . واخيرا اصدرت الحكومة البريطانية في فلسطين امرا بمنع دخول الجريدة العربية التي يصدرها بالقاهرة محمد علي الطاهر (١٩٧) .

وقد تابعت صحيفة الشورى احداث القضية الفلسطينية وتطوراتها خلال العشرينات وحتى بداية الثلاثينات . وقد خصصت بابا دائما بعنوان « شئون وشجون » يتضمن تعليقات على الاحداث الجارية في فلسطين ، هذا عدا المقالات والتحقيقات الصحفية التي كانت تشكل المادة الاساسية التي استندت اليها الشورى في معالجتها للقضية الفلسطينية من مختلف زواياها . وكان اهتمامها ينبع من منطلق قومي عربي ذي خلفية فكرية اسلامية ، لذلك نجدها تهتم بالتعليق على الجوانب الدينية للقضية وابراز دور المؤسسات الدينية في حسم بعض المشاكل التي كانت تثار خلال العشرينات (١٩٨) . وقد كانت الخطة التي سارت عليها صحيفة الشورى هي خطة الربط بين الشعوب التي اطلقت عليها اسم الشعوب المضطهدة ، وهي الشعوب التي تتحدث باللغة العربية ، وذلك عن طريق نشر انباء بعضها لدى البعض الاخر توثيقا للروابط والفهم المشترك (١٩٩) . وتطبيقا لهذه الخطة فقد كان اهتمامها بالاوضاع الداخلية في فلسطين مثل (التعليم ـ القضاء ـ

الانتخابات ـ البلدية) . وقد تابعت الشورى ايضا اخبار النشاط الوطني الفلسطيني ، كما تولت الرد على كثير من الافتراءات والاخبار الكاذبة التي كانت تروجها وكالات الانباء البريطانية والفرنسية عن الكفاح الفلسطيني . وقد استطاعت الشورى من خلال المقالات السياسية والتعليقات والتحقيقات الصحفية أن تخلق تيارا فكريا مواليا للقضايا العربية نجح في اجتذاب كثير من قطاعات الرأي العام المصري الذي التف حول قضايا العروبة ، كما نجحت الشورى مع سواها من الصحف العربية مثل الفتح والمنار والاخاء ، في أن تخلق توازنا دعائيا لصالح القضية الفلسطينية خلال العشرينات والثلاثينات ، وذلك في مواجهة التيار الصهيوني الذي كانت تقوده عدة صحف مثل الشمس والاتحاد والاسرائيلي واسرائيل .

وكان من أبرز كتابها في هذا المجال الامير شكيب ارسلان ونسيم صبيعة والدكتور أحمد زكي باشا ومنصور فهمي (٢٠٠) .



مراجع وهوامش

١ — احمد طربين — قضية فلسطين — معهد الدراسات العربية — القاهرة سنة ١٩٧٢ — ص ٣٩ .

٢ — جورج انطونيوس — يقظة العرب — ترجمة حيدر الركابي — بيروت ١٩٥٩ ، ص ٤٥٨ .

٣ — ناجي علوش — الحركة الوطنية الفلسطينية أمام اليهود والصهيونية — ١٨٨٢ — ١٩٤٨ — بيروت ١٩٧٤ — ص ٦٧ — ٦٩ .

٤ — اللجنة الملكية لفلسطين — ١٩٣٧ — تقرير عرض على البرلمان في شهر يوليو ١٩٣٧ — ص ٨١ .

٥ — عادل غنيم — الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ — ١٩٣٦ — الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ — ص ٣٦٤ .

٦ — السياسة الاسبوعية ١٩٢٨/٦/٣٠ .

٧ — المقطم ١٩٢٤/٨/٢١ فرع بنك مصر في فلسطين .

٨ — السياسة الاسبوعية ١٩٢٦/١٢/١٨ العلاقات الاقتصادية بين مصر وفلسطين .

٩ — السياسة الاسبوعية ١٩٢٧/١/١ .

١٠ — فلسطين والضمير الانساني — محمد علي علوية ص ٣٧ .

١١ — البلاغ ١٩٢٩/١١/٢٨ عطف مصر على فلسطين — انظر الملحق رقم ١ .

١٢ — الشورى ١٩٢٩/١٢/١٨ . انظر الملحق رقم ٢ .

١٣ — البلاغ ١٩٣٠/١٢/٨ خطبة عزام في المؤتمر الاسلامي — ملحق رقم ٣ .

١٤ — البلاغ ١٩٣١/١٢/٩ ابعاد عزام عن فلسطين .

١٥ — البلاغ ١٩٣١/١٢/٢٠ .

١٦ — السياسة ١٩٢٩/٩/١ .

١٧ ــ طارق البشرى ــ الحركة السياسية في مصر من ١٩٤٥ ــ ١٩٥٢ ــ الكتاب العربي ــ القاهرة ــ ١٩٧٢ ــ ص ٢٤١ .

١٨ ــ كوكب الشرق ١٩٢٣/٣/٩ الحكومة المصرية ــ معرض تل أبيب .

١٩ ــ كوكب الشرق ١٩٣٣/١٢/٢٧ ، مصر والمعرض الصهيوني .

٢٠ ــ انيس صايغ ــ الفكرة العربية في مصر ــ مصدر سابق ــ ص ١٩٤ .

٢١ ــ د. محمد أنيس ورجب حراز ــ التطور السياسي للمجتمع المصري الحديث دار النهضة المصرية ــ القاهرة ١٩٧٢ .

٢٢ ــ انظر كوكب الشرق والبلاغ ١٩٣٠/١١/١٣ ، ١٩٣١ ، ١٩٣٢ ، ١٩٣٣ ، ١٩٣٤ ، ١٩٣٥ .

٢٣ ــ كوكب الشرق ١٩٣١/٩/١٢ .

٢٤ ــ أميل توما ــ مصدر سابق ص ٢٣٩ .

٢٥ ــ المصدر السابق ١٩٣٦/١٠/٣٠ .

٢٦ ــ عبد العظيم رمضان ــ الحركة الوطنية المصرية من ١٩٣٧ ــ ١٩٤٨ ــ مصدر سابق ــ ص ٣٥٦ .

٢٧ ــ كوكب الشرق ١٩٢٨/١٢/٢٨ .

٢٨ ــ المصدر السابق .

٢٩ ــ المصدر السابق .

الصحف الوفدية ((البلاغ))

٣٠ ــ البلاغ ١٩٣٨/٧/٣٠ .

٣١ ــ البلاغ ١٩٣٩/١/١٥ نقلا عن د. عبد اللطيف حمزة ــ ادب المقالة والصحيفة الجزء الثامن ــ القاهرة ١٩٦٣ ص ٣٦٦ .

* في ١٦ ديسمبر ١٩٢٢ حصل عبد القادر حمزة على ترخيص من وزارة الداخلية باصدار جريدة يومية سياسية عربية باسم البلاغ . وفيما هو يستعد لاصدار هذه الجريدة علم سعد زغلول بذلك وكان يومئذ بجبل طارق فبادر بارسال برقية يهنئه فيها . وعلم اعضاء الوفد المصري في لوزان كذلك بقرب صدور البلاغ فاشتركوا في ارسال برقية تهنئة الى صاحبها . وعندما صدرت الصحيفة في ٢٨ يناير ١٩٢٣ تصدرت برقيات التهنئة الوفدية عددها الاول وبذلك بدت هذه الصحيفة وفدية . واتخذت لها شعارا هو احدى كلمات سعد زغلول (يعجبني الصدق في القول والاخلاص في العمل وان تقوم المحبة بين الناس مقام القانون) وقد ارتبطت البلاغ بسياسة صاحبها عبد القادر حمزة . ففي الفترة الاولى ارتبطت بسياسة الوفد ثم تحولت عنه سنة ١٩٣٢ . وقد تعطلت البلاغ

بعد ثلاثة أشهر من صدورها (٦ مارس ١٩٢٣ ثم عاودت الصدور في ١٨ يونيو ثم عطلت في ١٩٢٨/٩/١٥ (أربعة أشهر) وعطلت في ١٥ يوليو ١٩٣٠ تعطيلا نهائيا . ثم صدرت البلاغ مضافا اليها كلمة الجديد في ٢٣ يوليو ١٩٣١ . وقد ابدت البلاغ اهتماما كبيرا بالقضايا العربية ومشاكل المسلمين في جميع انحاء العالم الاسلامي .

المصدر :

١ ـ د. عبد اللطيف حمزة : ادب المقالة والصحيفة ـ مصدر سابق ص ١٥٩ .

٢ ـ د. عبد اللطيف حمزة : قصة الصحافة العربية في مصر ـ بغداد ١٩٦٧ ص ١٤٠ .

٣ ـ انور الجندي : الصحافة السياسية في مصر ـ القاهرة ١٩٦٢ .
ص ٢٦١ .

٣٢ ـ انظر اعداد البلاغ ١٩، ١٩٢٩/٣/٢٨، ٣ ، ١٩٣١/١٢/٧، ٣ ، ٢٦ /١/ ١٩٤٢

٣٣ ـ انظر الفصل الخاص بالبراق واضطرابات ١٩٣٣ وانتفاضة القسام ومعالجة البلاغ لها .

٣٤ ـ بلغ عدد المرات التي استخدمت فيها البلاغ الخبر ٥٣٠ مرة والمقال ٢٣٠ مرة والتعليق ٢٧ مرة .

٣٥ ـ انظر البلاغ الاعداد ١٩٢٨/١/٢٢ ، ٥ ، ١٩٢٩/٤/١٨ ، ١٩٣٢/٣/١٢ .

٣٦ ـ انظر البلاغ الاعداد ١٩٣٢/٨/٤ ، ١٩٣٤/١٢/٣٠ ، ٣٣/٣/٥ ، ٨ ، ١٩٣٣/٤/١٣ .

٣٧ ـ انظر البلاغ الاعداد ١١ ، ١٩٣٤/٩/٢٤ ، ٢ ، ١٩٣٤/١٠/٣ .

٣٨ ـ البلاغ ١٩٣٣/٢/١٨ ، ١٩٣٣/٨/٢٢ ، ١٩٣٣/١١/١ .

٣٩ ـ البلاغ ٨ ، ١٩٣٣/٤/٢٠ .

٤٠ ـ البلاغ ١٩٣٣/٧/٨ ، ١٩٣٣/٨/٢٤ .

٤١ ـ البلاغ ١٩٢٨/٣/١٤ ، ١٩٢٩/٩/١٦ .

٤٢ ـ البلاغ ١٩٢٨/٣/١٤ . انظر الملحق رقم (٥)

٤٣ ـ انظر البلاغ الاعداد : ١٩٣٣/٤/٣ ، ١٩٣٣/٦/١٩ ، ١٩٣٣/٧/٢١ ، ١٧ ٨ ١٩٣٣ ، ٢٤ ٨ ١٩٣٢ ، ١٢ ١ ١٩٣٥ .

٤٤ ـ انظر البلاغ ١٩٢٧/٨/٢١ ، ١٩٢٦/١١/٢٢ ، ١٩٢٧/١/٩ ، ١٩٢٩/٤/٩ .

٤٥ ـ انظر الفصل الخاص بالهجرة اليهودية ومعالجة البلاغ له .

٤٦ ـ انظر البلاغ الاعداد ١٩٣٠/٦/٦ ، ١٩٣٢/١٠/١٧ ، ١٩٣٤/٩/١١ .

٤٧ ـ البلاغ ١٩٣٤/٨/١٢ ، ١٩٣٤/١٠/٦ .

٤٨ ـ انظر البلاغ الاعداد ١٩٢٩/٩/٨ ، ١٩٢٩/٩/١١ ، ١٩٣٢/١/٢١ ، ١٩٣٣/١/٣١ .

٤٩ ـ البلاغ ١٩٣١/١٢/١٠ ، ١٩٣١/١٢/١٩ ، ١٩٣١/١٢/٢٦ .

٥٠ ـ البلاغ ١٩٣٢/٢/٩ ، ١٩٣١/١١/٣٠ ، ١٩٣٣/١/٨ ، ١٩٣٣/٨/٢٧ .

٥١ ـ بلغ عدد المرات التي ظهرت فيها انباء القضية الفلسطينية في الصفحة الثانية من البلاغ ٦٣٠ مرة .

٥٢ ـ عدد مرات ظهور مقالات عن القضية الفلسطينية في الصفحة الاولى للبلاغ كان ١٨٠ مرة .

٥٣ ـ البلاغ ١٩٢٦/١٢/٣ .

٥٤ ـ البلاغ ١٩٢٩/٤/٩ .

٥٥ ـ البلاغ ١٩٢٩/٩/١٦ .

٥٦ — المصدر السابق .

٥٧ — المصدر السابق ١٩٢٩/٥/٩ .

٥٨ — المصدر السابق ١٩٣٥/١١/١ .

٥٩ — المصدر السابق .

٦٠ — البلاغ ١٩٢٩/٥/٢٠ .

٦١ — البلاغ ١٩٣٣/١٢/٢٧ .

كوكب الشرق

الصحيفة الوفدية الثانية .. صدرت في ١٢ سبتمبر ١٩٢٤ وهي صحيفة مسائية يومية كان يرأس تحريرها احمد حافظ عوض الذي عاصر الرعيل الاول من الصحفيين وتاثر بالشيخ علي يوسف صاحب المؤيد .

حدد حافظ عوض سياسة كوكب الشرق قائلا بانها (تعمل لخدمة القضية الوطنية الى جانب رسالتها الاسلامية والعربية) .* وهي تعد امتدادا لصحيفة المؤيد فيما يتعلق باتجاهاتها الاسلامية الشرقية وقد ظلت تنطق باهداف الوفد حتى توقفت سنة ١٩٣٩ . وقد تعرضت للتعطيل والمصادرة مرتين : الاولى في ١٦ مارس ١٩٢٩ في عهد حكومة محمد محمود ، والثانية في يناير ١٩٣١ في عهد حكومة اسماعيل صدقي . ابتداء من اغسطس ١٩٣١ بدأ يظهر اسم محمد صلاح كرئيس تدرير مسئول لكوكب الشرق . خصصت كوكب الشرق لمعالجة الشئون المعربية والاسلامية عرف باسم (شئون الشرق العامة) وقد بدأ يظهر في نهاية عام ١٩٢٨ وكان يظهر بدون انتظام كل يومين أو ثلاثة أيام . وأصبح هذا الباب يحتل صفحة كاملة ابتداء من شهر مايو ١٩٣٣ .

المصادر :

١ — د. عبد اللطيف حمزة : قصة الصحافة العربية في مصر مصدر سابق ص ١٤١ .

٢ — أنور الجندي : الصحافة السياسية في مصر — مصدر سابق ص ٢٨٩ — ٢٨٧ .

٣ — كوكب الشرق : العدد الاول ١٩٢٤/٩/٢١ ، ١٩٣٣/٥/١ .

٦٢ ـ بلغ عدد المرات التي استخدمت فيها كوكب الشرق الخبر لمتابعة القضية الفلسطينية وتطوراتها خلال العشرينات والثلاثينات ٥٨٠ مرة ـ والمقالات ٢٩٠ مرة .

٦٣ ـ بلغ عدد الموضوعات التي ظهرت عن القضية الفلسطينية في الصفحة الاولى من الكوكب ٢٤٠ مرة .

٦٤ ـ انظر كوكب الشرق الاعداد ١٢ ، ١٩٣٠/٦/٣٠ ، ٣ ، ١٩٣١/٩/٥ ، ٣٤/٣/٢٥ ، ١٩٣٤/١٢/١ ، ١٩٣٥/١/٢٠ ، ١٩٣٥/٢/٢٤ .

٦٥ ـ انظر كوكب الشرق الاعداد ١٩٣٥/١/٤ ، ١٩٣٥/١/١٦ ، ١٩٣٥/١/٢٣ ، ٤ ، ١٩٣٥/٥/١٤ .

٦٦ ـ كوكب الشرق ١٩٢٥/٥/٤ ، ١ ، ١٩٣٠/١/٣ .

٦٧ ـ انظر كوكب الشرق الأعداد ١١/٤/ ، ١٩٣٢/٦/٢٥ ، ١٩٣٥/٣/١٥ .

٦٨ ـ كوكب الشرق ٦ ، ١١ ، ١٤ ، ١٩٣٥/٤/١٧ ، ١٩٣٥/٦/١ .

٦٩ ـ كوكب الشرق ١٩٣٥/٧/١ ، ١٩٣٥/٤/٤ .

٧٠ ـ انظر كوكب الشرق ١٩٣٥/٤/١٨ ، ١٩٣٥/٤/٢٠ ، ١٩٣٥/٤/٢٢ ، ١٩٣٤/١١/٢٣ ، ١٩٣٣/٥/٣١ .

٧١ ـ انظر كوكب الشرق الأعداد ١٩٣٣/٧/٣٠ ، ١٩٢٥/٥/٢٢ ، ٢ ، ١٢ ، ٢١، ١٩٣٥/٤/٢٤ ، ١٩٣٥/١١/٢ .

٧٢ ـ انظر كوكب الشرق ١٩٣٥/٥/١٣ ، ١٩٣٥/١/٢٧ .

٧٣ ـ انظر كوكب الشرق ١٩٢٦/٨/١٢ ، ١٩٢٩/١١/٢٥ ، ١٩٢٩/١٢/٨ ، ١٩ ٣ ١٩٣٥ ، ١٩٣٥/٤/١٥ ، ١٩٣٤/٦/٣ ، ١٩٢٤/١٢/١٤ ، ٤/٢/ ٣٥ ، ١٩٣٥/٢/٢٠ ، ١٩٣٥/٣/٢٣ .

٧٤ ـ انظر كوكب الشرق ١٩٣٣/٧/٢٣ ، ١٩٣٤/٨/٢٥ ، ١٩٣٤/١١/٢ ، ٣٠/١/٤ .

٧٥ ـ كوكب الشرق ١٩٣٠/١/١٣ ، ١٩٣٠/٥/٢٧ ، ١٩٣٠/٥/٦ .

٧٦ ـ كوكب الشرق ١٩٣٣/٦/١٩ ، ١٩٣٣/١٠/٣٠ ، ١٩٣٣/١١/٢ ، ١٩٣٣/١١/١٠ ، ١٩٣٣/١١/١٨ .

٧٧ – كوكب الشرق أنظر ١٩٣٠/١/١٣ ، ١٩٣٠/٥/٥ ، ١٩٣٣/١٢/١٠ ، ٣٤/٢/٧ ، ١٩٣٤/٣/٣ ، ١٩٣٥/٤/٤ ، ١٩٣٥/٩/٩ ، ١٩٣٥/٩/٣ .

٧٨ – كوكب الشرق ١٩٣٣/١٢/٢٤ ، ١٩٣١/٩/٦ ، ١٩٤٣/٨/١٢ ، ١٩٣٣/٩/٣.

٧٩ – كوكب الشرق ١٩٣٤/١١/٢٤

٨٠ – كوكب الشرق ١٩٣٢/٢/١٣ ، ١٩٣١/٨/١٣ .

٨١ – كوكب الشرق ٧ ١٢ ١٩٢٩ ، ١٣ ٦ ١٩٣٠ ، ١٩٣١/٩/١٣ .

٨٢ – كوكب الشرق ١٩٢٥/١٠/٨ ، ١٩٣٠/٧/١٢ ، ١٩٣٠/٦/١٨ .

٨٣ – كوكب الشرق ١٩٣٣/١١/٨ .

٨٤ – كوكب الشرق ١٩٣٣/١١/٢ .

٨٥ – المصدر السابق .

٨٦ – كوكب الشرق ١٩٣٣/١٢/١٧ .

٨٧ – كوكب الشرق ١٩٣٣/١١/٢

٨٨ – كوكب الشرق ١٩٣٠/٦/٨ .

(الاحرار الدستوريون)

٨٩ – عبد العظيم رمضان : الحركة الوطنية المصرية من ١٩١٨ – ١٩٣٦ . دار الكاتب العربي – القاهرة ١٩٧٠ – ص ٣٧٩ .

٩٠ – السياسة الاسبوعية ١٩٢٩/٩/٧ .

٩١ – السياسة الأسبوعية ١٩٣٠/٩/٢٨ .

٩٢ – السياسة الاسبوعية ١٩٣٠/٦/٢٤ .

٩٣ – المصدر السابق .

٩٤ – اسرائيل ١٩٢٩/٦/٢٧ .

٩٥ – السياسة ١٩٢٩/٩/١ .

* صحيفة السياسة اليومية تمثل الصحافة الحزبية في معسكر حزب الاحـــرار الدستوريين ويمكن اعتبارها امتدادا لصحيفة (الجريدة) في منهجها الفكري . كما كان حزب الاحرار الدستوريين امتدادا لحزب الامة . صدر العدد الاول ٣١ اكتوبر ١٩٢٢ . حدد هيكل مهمة جريدة السياسة في آمرين. اولهما الدفاع عن الدستور ، وثانيهما استقلال مصر وكفالة حقوقها في السودان وقد واجهت السياسة عنفا كبيرا في ظل العهود التي كانت تحكم فيها الوزارات الوفــدية وفي عهد اسماعيل صدقي حيث عطلت اداريا من ديسمبر ١٩٣٠ الى يونيو ١٩٣١ . وكان للقوانين الكثيرة المقيدة للحرية اثرها في تعرض السياسة للمصادرة وكتابها للمحاكمة ، ومن اهم القضايا الفكرية التي خاضتها صحيفة السياسة هي :

١ ــ كتاب الاسلام واصول الحكم لعلي عبد الرزاق .

٢ ــ كتاب الشعر الجاهلي لطه حسين .

٣ ــ معركة التبشير .

اما معاركها السياسية فقد كانت ضد الوفد فيما عدا فترتي ائتلاف ١٩٢٦ ، ١٩٣٥ . وقد وصف الدكتور عبد اللطيف حمزة اسلوب جريدة السياسة بانه (ادنى الى العفة والنزاهة لانها تعبر عن رأي الاقلية ولان اصحابها كانـــوا حريصين على ان يظهروا امام الجمهور بمظهر السمو في النقد).

المصـــــــادر :

١ ــ انور الجندي : الصحافة السياسية في مصر ــ مطبعة الرسالة ــ القاهرة ١٩٦٢ .

٢ ــ د. عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية الجزء السادس ــ دار الفكر العربي القاهرة ١٩٦٣ .

٣ ــ د. ابراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية الطبعة الاولى القاهرة ١٩٦٣ ــ القاهرة ١٩٤٤ .

السياسة

٩٦ ـ كانت نسبة المواد الصحفية في تغطية صحيفة السياسة للاحداث الفلسطينية وتطورات القضية بجميع ابعادها خلال العشرينات والثلاثينات على النحـــو التالي : ـ

المقال ٧٤ مرة ـ الخبر ١٢٥ مرة ـ الحديث ٥ مرات ـ الافتتاحيات ٢ مرة ـ التعليق ٤ مرات •

٩٧ ـ انظر السياسة الاعداد ١٩٢٩/٨/١٦ ، ١٩٢٩/٩/٢٨ ، ١٩٢٣/٩/٣ ، ١٩٢٩/١٢/٢ ، ١٩٣٤/١٠/٢١ ، ١٩٣٤/١٠/١٨ .

٩٨ ـ بلغ عدد المرات التي احتلت فيها انباء القضية الفلسطينية الصفحة الاولى من السياسة خلال تلك الفترة ١٠٣ مرة .

٩٩ ـ استخدمت السياسة لمعالجة الجانب الصهيوني في القضية الفلسطينية المقال ٢٥ مرة ، الخبر ٤٠ مرة والصفحة الاولى ١٢ مرة .

١٠٠ ـ استخدمت السياسة لمعالجة الجانب البريطاني في القضية الفلسطينية المقال ٢٧ مرة ، الخبر ٥٠ مرة والصفحة الاولى ١٢ مرة .

١٠١ ـ انظر اعداد السياسة ١٩٢٣/٩/٣ ، ١٩٢٩/٩/٢٣ ، ١٩٣٢/٢/٢٦ ، ٢٧ ٢ ١٩٣٦ .

١٠٢ ـ انظر اعداد السياسة ١٩٢٣/٨/٣٠،١٠ الى ١٩٢٦/١/١٣ ، ١٩٢٦/١١/٣ ١٩٢٩/٣/١ ، ١٩٣٢/٤/١٥ .

١٠٣ ـ انظر اعداد السياسة ١٩٢٦/١١/١٢ ، ١٩٢٦/١١/١٨ ، ١٦ ٨ ١٩٢٧ .

١٠٤ ـ السياسة ١٩٢٩/٨/٣١ .

١٠٥ ـ السياسة ١٩٢٧/٥/١٨ .

١٠٦ ـ السياسة ١٩٣١/١٠/٣١ .

١٠٧ ـ ١٩٣١/٨/١ .

١٠٨ ـ السياسة ١٩٢٩/٨/٣١ .

١٠٩ ـ المصدر السابق .

١١٠ ــ المصدر السابق .

١١١ ــ السياسة ١٩٢٧/٥/١٨ .

١١٢ ــ عبد العظيم رمضان ــ الحركة الوطنية في مصر من ١٩١٨ ــ ١٩٣٦ ــ دار الكاتب العربي ــ القاهرة ــ ١٩٧٠ ــ ص ٥٨٤ .

١١٣ ــ طارق البشرى ــ الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ ــ ١٩٥٢ ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ ــ ص ٢٣٦ ــ ٢٣٩ .

١١٤ ــ المصدر السابق ــ ص ٢٤٥ .

صحيفة الاتحاد :

اصدرها حزب الاتحاد الذي اعلن عن تاليفه في ١٠ يناير سنة ١٩٢٥ وهو احد الاحزاب التي القت بها السراي في معركتها ضد الوفد وكان يرأسه حسن نشات باشا . وقد اصدر هذه الصحيفة في ١١ يناير ١٩٢٥ كي تكون لسان حاله هي وصحيفة الليبريه بعد ان انسحب منها ليون كاسترو فاصبحت اتحادية بعد أن كانت وفدية . وقد نشرت الصحيفتان برنامج الحزب الجديد الذي اقتصر على الشئون الداخلية مثل اصلاح الازهر وترقية حالة الفلاح والعمال وتحسين الخدمات توطئة لاقتناع بريطانيا بضرورة الحصول على الاستقلال . ولم يحدد سياسة عربية أو دولية وكان يراس الصحيفة عبد الحليم البيلي المحامي . ولم تتعرض للمصادرة او التعطيل مثلما كان يحدث للصحف الوطنية فيمصر في تلك الفترة .

المصادر :

١ ــ عبد العظيم رمضان ــ الحركة الوطنية ١٩١٨ ــ ١٩٣٦ ــ مصدر سابق ص ٥٧٤ .

٢ ــ الياس قسطاكي عطاره ــ تاريخ تكوين الصحف في مصر .

١١٥ ــ بلغ عدد المرات التي استخدمت فيها الاتحاد الخبر ١٩٧ مرة والمقال ٣٦ مرة . والتعليق ١٤ مرة والحديث ٣ مرات .

١١٦ ــ انظر الاتحاد ١٩٣٠/١/١٥ ، ١٩٢٩/٩/١٤ ، ١١/ ١٩٢٩/١١ ، ١٩٢٩/١٠/١٤ ، ١٩٣٤/٣/٢٠ ، ١١/٢ ١٩٣٥ .

١١٧ ــ انظــــــر الاتحــــاد ١٩٢٩/٩/١٥ ، ١٩٢٩/١١/٢٣ ، ١٩٣٠/١/٢٢ ،
١٢ ٧ ١٩٣٣ ، ٦ ٣ ١٩٣٤ .

١١٨ ــ الاتحاد ١٩٣١/٢/١٦ ، ١٩٣٤/٨/٦ ، ١٩٣٥/٢/١٢ .

١١٩ ــ الاتحاد ١٩٣٤/١١/٢٠ ، ١٩٣٥/٧/١٤ ، ١٩٣٥/٩/٥ .

١٢٠ ــ الاتحاد ١٩٢٥/٥/١٧ ، ١٩٢٨/٦/٥ ، ١٩٣١/٧/٢١ .

١٢١ ــ الاتحاد ١٨ ٥ ١٩٣٣ ، ١٩٣٣/١٢/٢٤ ، ١٩٣٤/٨/٢١ ، ١٩٣٥/١٠/١٥

١٢٢ ــ الاتحاد ١٩٣٣/٤/٢٢ ، ١٩٣٣/٨/٧ ، ١٩٣٤/١١/٢٠ ، ١٩٣٣/١٢/٢٤ ،
١٩٣٤/١/٢٩ .

١٢٣ ــ ١٩٢٩/٣/١٠ ، ١٩٢٩/٩/٥ ، ١٩٢٩/٩/١٢ ، ١٩٣٣/١/١ ، ١٩٣٢/٢/١

١٢٤ ــ الاتحاد ١٩٢٩/١٢/٤ ، ١٩٣٠/١/١ ، ١٩٢٩/١٢/١٤ .

١٢٥ ــ الاتحاد ١٩٢٩/١١/٢٨ ، ١٩٣٠/٧/١ ، ١٩٣٥/١/٢٧ ، ١٩٣٥/٢/٥ ،
٢ ٧ ١٩٣٥ .

١٢٦ ــ الاتحاد ١٩٢٩/٩/٨ ، ١٩٣٠/١/١٣ ، ١٩٣٠/٢/٢ ، ١٩٣٠/٢/٩ ،
١٩٣٠/٣/١٠ ، ١٩٣٠/٦/٧ ، ١٩٣٤/٣/١٩ ، ١٩٣٤/٥/٢٧ .

١٢٧ ــ الاتحاد ١٩٣١/٧/٢١ .

١٢٨ ــ الاتحاد ١٩٢٥/٥/١٧ .

١٢٩ ــ الاتحاد ١٩٣٤/٨/٦ .

١٣٠ ــ المصدر السابق .

١٣١ ــ الاتحاد ٢ ، ١٩٣١/١١/٥ .

١٣٢ ــ حسن البنا ــ مذكرة الدعوة والداعية ص ٢٢٢ .

١٣٣ ــ أنيس صايغ ــ الفكرة العربية في مصر ــ بيروت ١٥٧ ــ ص ١٩٩ .

* جريدة الاخوان المسلمين .. جريدة اسبوعية اسلامية جامعة كانت تصدرها جمعية الاخوان المسلمين بالقاهرة وكان يحررها نخبة من اعضائها وهي لسان حال جمعيات الاخوان المسلمين ويخدم كل هيئة تعمل لرفعة الاسلام وإعادة مجده . وقد صدر العدد الاول في نهاية عام ١٩٣٣ .

١٣٤ — جريدة الاخوان المسلمين ١٩٣٦/٤/٢٨ ، ٧ صفر ١٣٥٥ .

١٣٥ — الاخوان المسلمين ١٩٣٦/٥/١٩ — ٢٨ صفر ١٣٥٥ .

١٣٦ — الاخوان المسلمين ١٩٣٥/١١/٥ — ٨ شعبان ١٣٥٤ .

١٣٧ — المصدر السابق .

١٣٨ — المصدر السابق ، عبد العظيم رمضان — الحركة الوطنية من ٩٣٧ — ١٩٤٨ مصدر سابق — ص ٣١٠ .

١٣٩ — حسن البنا — مذكرات الدعوة والداعية — دار الكاتب العربي القاهرة ص ٢٨٦ .

محمد رفعت — قضية فلسطين — ص ٧٩ — اقرأ عدد ٥٨ .

١٤٠ — احمد حسين — ايماني — الطبعة الاولى — مطبعة الرغائب ١٩٣٦ ص ٦٦ .

١٤١ — انيس صايغ — الفكرة العربية في مصر — مصدر سابق — ص ١٩٦ .

١٤٢ — احمد حسين — نصف قرن من العروبة وقضية فلسطين — المكتبة العصرية صيدا — بيروت ١٩٧١ — ص ٥٨ .

١٤٣ — انظر الصرخة عام ١٩٣٤ — ، ١٩٣٥ .

١٤٤ — انظر د. رفعت السعيد — تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر ١٩٠٠ — ١٩٢٥ — دار الفارابي — بيروت ١٩٧٢ ، اليسار المصري (١٩٢٥ — ١٩٤٠ — دار الطليعة بيروت ١٩٧٣) .

١٤٥ — المصادر السابقة ، عبد القادر ياسين — بحث عن الصحافة اليسارية وقضية فلسطين ص ٢ .

١٤٦ — الاهرام ١٩٢٢/٧/١٢ .

١٤٧ — د. رفعت السعيد — الصحافة اليسارية في مصر — دار الطليعة — بيروت ١٩٧٤ — ص ١٢ .

١٤٨ — د. رفعت السعيد — اليسار المصري والقضية الفلسطينية — دار الفارابي بيروت ١٩٧٣ — ص ٢٤ .

International press correspondence - English Edition (un- published Manuscripts) No - 54-15. November 1939. P. 1371. — ١٤٩

※ صدرت المقطم في ١٨ أبريل ١٨٨٩ كجريدة يومية سياسية احتلالية (اي لسان حال الاحتلال البريطاني في مصر) . وقد تولى فارس نمر رئاسة تحـــريرها وكان يقوم بتخطيط سياستها منذ صدورها وحتى وفاته ديسمبر سنة ١٩٥١ .

وقد كشف المقطم منذ اليوم الاول لصدوره عن سياسته في الدفاع عن المصالح البريطانية ، ونتيجة لالتزامه بالعداء السافر للحركة الوطنية المصرية فقـــد أعفتها السلطات البريطانية من قرارات التعطيل او المصادرة التي كانت تتعرض لها الصحف الوطنية في مصر على أيدي الحكومات المصرية . وقد هاجم المقطم الثورة العرابية ولعب دورا أساسيا في توسيع شقة الخلاف واثارة الطائفيـــة بين المسلمين والمسيحيين سنة ١٩١٠ ، ١٩١١ وتميـــز المقـــطم بالرد على كل وجهات النظر المعادية لبريطانيا في صحف أوربا وقد استقطب مشاعر العـــداء من جانب التيارات الوطنية أو الصحافة المصرية .

المصـــادر :

١ — انور الجندي — الصحافة السياسية في مصر — مصدر سابق ص ١٠٩.

٢ — أنيس صايغ — الفكرة العربية في مصر — بيروت ١٩٥٧ — ص ١١٤ .

٣ — قسطاكي الياس عطارة — تاريخ تكوين الصحف المصرية — القاهــرة ١٩٢٨ — ص ٢٦٣ .

١٥٠— وقد بلغ عدد مرات استخدام التعليقات في المقطم ٩٥ مرة ، والمقال ٣٥ مرة ، والخبر ١٨٥ مرة ، والافتتاحيات ٣٠ مرة ، والصفحة الأولى ٨٢ مرة ، والاعلانات ١٥ مرة ، والاحاديث ٦٥ مرة ، والتحقيقات ٤٥ مرة .

١٥٠ — انظر المقطم الاعداد ١٩٢٩/١١/٦ ، ١٩٢٩/١٢/١ ، ١٣—٣—٣٢ . ١٩٣٢/٥/٢٩ ، ١٩٣٣/١١/١ ، ٨—١١—١٩٣٣ .

١٥١ — أنظر المقطم ١٣ ، ١٥ ، ١٩٢٩/٩/١٧ ، ٢٨ ، ١٩٢٩/٩/٢٩ ، ٥ ، ٢٢ ١١ ١٢ ١٩٢٩ ، ٣ ١٩٣٠ ، ٨ ٤ ١٩٣٠ ، ١٩٣٠/٩/٢٣ ، ١٩٣٣/٣/٢٩ ، ١٩٣٣/١٠/٣ .

١٥٢ — ١٩٣٥/٢/١ .

١٥٣ ــ انظر المقطم ١٩٢٩/٨/٢٩ ، ١٩٣١/٧/١٢ ، ١٩٣١/٧/١٤ ، ٦/١٢/١٩٣٣ ، ١٢ ، ١٩٣٣/١٢/١٣ ، ١٩٣٤/١٠/٣١ ، ١٩٣٥/١٠/١١ .

١٥٤ ــ انظر المقطم ١٩٢٩/٧/٣٠ ، ١٩٣١/٧/٢٤ ، ١٩٣١/٩/٢٢ ، ١٩٣٢/١٢/٢٩ ، ٢ ٩ ١٩٣٣ ، ١٩٣٥/٨/٢٩ .

١٥٥ ــ المقطم ١٩٣٣/١٠/٢٥ ، ١٩٣٤/١١/٢٢ .

١٥٦ ــ المقطـــم ١٩٢٩/٨/٧ .

١٥٧ ــ المقطم ١٩٢٩/١/١٩ ، ٢٥ ٦ ١٩٢٩ ، ١٩٢٩/٩/١٣ .

١٥٨ ــ المقطم ١٩٣٠/٣/٢١ ، ١٩٣٠/٤/١٦ ، ١٩٣٠/٣/٩ .

١٥٩ ــ المقطم ٢٧ ٩ ١٩٢٩ ، ١٩٢٩/١٠/٣ ، ١٩٣٠/٩/٧ . ١٩٣٣/١١/٢٦ .

١٦٠ ــ المقطم ١٩٢٩/٩/٢١ ، ١٩٢٩/١١/١ ، ١٩٢٩/١٢/٨ ، ١٩٣٣/٣/٢٦ ، ٢ ١٢ ١٩٣٣ .

١٦١ ــ المقطم ١٩٢٩/١١/٢ ، ١٩٢٩/١٢/١٥ ، ١٩٢٩/٢/١١ .

١٦٢ ــ المقطم ١٩٢٥/٢/١٢ .

١٦٣ ــ المقطم ١٩٢٣/٣/١٧ ، ١٩٢٣/٥/١٠ .

١٦٤ ــ المصـــدر السابق .

١٦٥ ــ المقطم ١٩٢٤/٢/٢٧ .

١٦٦ ــ المقطم ١٩٢٤/٨/٢٧ .

الاهـــــرام

١٦٧ ــ بلغ عدد المرات التي استخدمت فيها الاهرام الخبر في معالجتها القضيـــة الفلسطينية ١٠٠٩ مرة والتعليقات ٤٠ مرة والاحاديث الصحفية ٢٥ مرة .

١٦٨ ــ الاهـــرام انظر الاعداد ١٩٢٣/٣/٢ ، ١٩٢٣/٣/٢٦ ، ١٩٢٥/٣/٢٦ ، ١٩٢٥/٨/٢٥ ، ١٩٢٨/١١/٦ .

١٦٩ ـ الاهرام انظر ١٩٢٩/٨/٢٩ ، اكتوبر ١٩٢٩ ، نوفمبر ١٩٢٩ ، ديسمبر ١٩٢٩، ١٩٣٣/٤/٢٧ ، ١٩٣٣/٦/١٦ ، ١٩٣٣/١٠/٢٨ ، ١٩٣٣/١٠/٢٩ ، ١٩٣٣/١١/١ ، ١٩٣٣/١١/٣٠ ، ١٩٣٣/١٢/١٢ ، ١٩٣٣/١٢/٢٠ ، ١٩ ١ ١٩٣٤ ، ١٤ ٤ ١٩٣٤ .

١٧٠ ـ الاهرام انظر ٤ ، ١٩٣١/٣/٧ ، ١٧ ، ١٩٣١/١٨ ، يونيو ١٩٣٢ ، يـــوليو ١٩٣٣ ، أكتوبر ـ نوفمبر ١٩٣٣ ، مارس ـ أبريل ١٩٣٤ .

١٧١ ـ الأهرام ١٩٣١/٤/٢١ ، ١٩٢٩/٤/٢٣ ، ١٩٢٨/١/١١ ، ١٩٢٨/٤/٢٦ ، ١٩٣١/٨/٣ ، ١٩٣٠/٨/٢٨ ، ١٩٣٠/٩/٢٩ ، ١٩٣٤/٤/١٢ ، ١٩٣٤/٨/٢٣ ، ١٩٣٤/٧/٣ .

١٧٢ ـ انظر الاهرام ١٩٣١/٦/١٨ ، ١٩٣١/٦/٢٥ ، ١٩٣١/٧/١٠ ، ١٩٣١/٨/٢، ١٩٣٠/١١/٢٥ ، ١٩٣٠/١٢/٢٣ ، ١٩٣١/٣/٣١ ، ١٩٣١/٥/١٠ .

١٧٣ ـ انظر الاهرام ١٩٣٠/١١/١٣ ، ١٩٣١/٤/١١ ، ١٩٣١/٥/٢ ، ٣/٢٥ ١٩٣٣ ، ١٩٣٣/٥/١ ، ١٩٣٣/١١/٢٩ ، ١٩٢٤/٢/١٧ ، ١٩٢٤/٣/١١ ، ١٩٢٩/١١/٢٣ .

١٧٤ ـ انظر الاهـــــرام ١٩٣٢/٣/١٦ ، ١٩٣٢/١١/١٣ ، ١٩٣١/١١/١٤ ، ١٩٣١/٣/٢١ .

١٧٥ ـ انظـــــر الاهـــــرام ١٩٣٢/١١/١٠ ، ١٩٣١/٧/٥ ، ١٩٣١/٧/٢٨ ، ١٢ /١٩٣١/١٠ ، ١٩٣٣/٩/٤ ، ١٩٣٤/١١/٢٩ ، ١٩٢٨/١/٢٨ .

١٧٦ ـ انظر الأهرام مارس ١٩٢٥ ، أبريل ١٩٢٦ ، يونيو وأكتوبر وديسمبر ١٩٢٨ ، سبتمبر وأكتوبر ١٩٢٩ ، نوفمبر ١٩٣٠ ، يناير ١٩٣١ ، مارس وأبريل ومـــايو ١٩٣١ ، يونيو واغسطس ١٩٣٢ ، أبريل ومايو ١٩٣٣ ، مايو ١٩٣٤ .

١٧٧ ـ انظر الأهرام ١٩٣١/٧/١٢ ، ١٩٣١/٧/٩ ، نوفمبر ١٩٢٩ ، مارس ١٩٣٠ ، ٢٨ أكتوبر ١٩٣٤ .

١٧٨ ـ انظر الاهرام يناير وفبراير ١٩٢٥ ، اكتوبر ١٩٢٩ ، مايو ونوفمبر ١٩٣٠ ، مايو ١٩٣١ ، مايو ١٩٣٢ ، أبريل ومايو ويونيو واغسطس ١٩٣٣ ، يونيـــو ويوليو ١٩٣٤ .

١٧٩ ـ الاهرام انظر الاعداد يوليو ١٩٢٧ ، يناير وفبراير ومارس ومايو ١٩٢٨ ، فبراير ونوفمبر ١٩٢٩ ، مايو ويونيو وديسمبر ١٩٣٠ ، يناير ويوتيو واكتوبر ١٩٣١ ، ابريل واغسطس ١٩٣٢ ، آبريل وديسمبر ١٩٣٣ .

١٨٠ ـ الاهرام انظر ١٩٣١/٨/٢٢ ، ١٩٣٣/٨/١٧ ، ١٥/ ١٩٣٤/٦ ، ١٩٣١/٥/٢٢

١٨١ ـ الاهـــرام ١٩٣١/٣/١٣ ، ١٩٣٤/٦/٢٠ ، ١٩٣٤/٥/٢٣ ، ١٩٢٥/٣/٢٦

١٨٢ ـ انظر الاهرام ١٩٣٤/٣/٢ ، ١٩٢٩/٦/٧ ، ١٩٣١/٩/٢٧ ، ١٩٣٢/٧/٢٢، ١٩٣٣/١١/٣ ، ١٩٣٣/١١/٢١ ، ١٩٣٤/٧/٢٤ ، ١٩٣٣/٥/٩ ، ١٩٣٣/٩/٢٥، ١٩٣٣/٥/٨ .

١٨٣ ـ الاهرام ١٩٢٩/١٠/٢٩ ، ١٩٣٠/٣/٢٣ ، ١٩٣١/٤/١٦ .

١٨٤ ـ انظر الاهرام : يناير وفبراير ١٩٢٤ ، مارس ١٩٢٥ ، مايو ١٩٢٦ ، يوليـــو واغسطس وسبتمبر ١٩٢٧ ، يناير وآبريل وديسمبر سنة ١٩٢٨ ، يناير وفبراير واغسطس ١٩٢٩ ، يونيو وسبتمبر وديسمبر ١٩٣٠ ، يوليو وأكتوبر ١٩٣١ ، فبراير ومارس ومايو ١٩٣٢ ، يوليو ١٩٣٣ ، يناير وآبريل ويوليو وآكتـــــوبر ١٩٣٤ .

١٨٥ ـ الاهـــرام : ١٩٢٣/٣/١٢ .

١٨٦ ـ الاهرام : ١٩٢٩/٨/٢٩ ، ١٩٢٣/٣/١٢ .

١٨٧ ـ الاهرام ١٩٣٢/٦/٤ .

١٨٨ ـ طارق البشرى ـ الحركة السياسية في مصر من ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢ ـ مصدر سابق ـ ص ٢٥٠ .

١٨٩ ـ عبد اللطيف حمزة ـ الصحافة العربية في مصر ـ مصدر سابق ـ ص ١١٤ .

١٩٠ ـ انور الجندي ـ الصحافة السياسية في مصر ـ مصدر سابق ص ١٤٩ .

* صحيفـــــة الوطـــــن :

اصدرها ميخائيل عبد السيد ١٨٧٨ ثم احتجبت حتى استانف اصدارها جندي ابراهيم ١٩٠١ . وقد اعلنت مناصرتها للانجليز بعد الاحتلال ووقفت موقفا معاديا للحركة الوطنية ، وقد وصفها امين الرافعي رئيس تحرير الاخبار بانها

(سياسة احتلالية اكثر من المقطم) . وقد اشتركت مع جريدة مصر في المعركة الطائفية التي اندلعت سنة ١٩٠٩ وامتدت اكثر من ثلاث سنوات وقد لعبت هذه الصحيفة دورا خطيرا في تعميق الخصومة بين المسلمين والاقباط بتحريض من بريطانيا . وقد توقفت عن آداء هذا الدور في منتصف العشرينات بفضل الجهود التي بذلها الوفد من أجل احباط الصراع الطائفي واصبحت تعمل داخل اطار الحركة المصرية رغم موقفها المعارض لسعد زغلول .

١٩١ — المصدر السابق .

١٩٢ — الوطن ١٩٢٥/٥/٢٩ .

١٩٣ — الوطن ١٩٢٣/١١/٢٨ .

١٩٤ — الوطن ١٩٣٠/٦/٧ .

* محمد علي الطاهر وصحيفة الشورى :

ولد محمد علي الطاهر في نابلس سنة ١٨٩٦ . وكان أول صوت اطلقه بالتحذير من الصهيونية وانها تستهدف انشاء دولة يهودية في فلسطين في عام ١٩١٤ في جريدة فتى العرب التي كانت تصدر في بيروت ، وكان يعمل لها مراسلا في يافا ، وفي اثناء الحرب العالمية الاولى لجا الى مصر هربا من مظالم جمال باشا ولكن السلطات البريطانية اعتقلته لمدة عامين من ١٩١٥ — ١٩١٧ . وبعد انتهاء الحرب عاد الى فلسطين حيث شارك في تحرير جريدة سورية الجنوبية التي كانت تصدر في القدس . وعمل مديرا للبريد والتلغراف بنابلس . وحين تشكلت الحكومة المدنية برياسة هوبرت صموئيل وعين مديري الادارات من الانجليز واليهود استقال من وظيفته وعاد الى مصر حيث عمل بالتجارة لتدبير مبلغ يمكنه من اصدار صحيفة . وقد نجح في الحصول على امتياز باسم جريدة الشورى ، وصدر العدد الاول منها ١٩٢٤ . وقد تصدر عددها الاول كليشيه يقول انها .. (جريدة سياسية تبحث في شئون فلسطين وسورية ولبنان وشرق الاردن) . وفي نهاية اكتوبر ١٩٢٦ تغير عنوانها الى (جريدة تبحث في شئون البلاد العربية والاقطار المستعبدة) وفي بداية ١٩٢٩ بدأت تظهر الشورى وتحتها عنوان (جريدة تبحث في شئون البلاد العربية والشعوب المظلومة) . وكانت

تصدر مع الشورى نشرات مكتب الاستعلامات العربي الفلسطيني عن فظائع الاستعمار في سوريا ولبنان . وقد منعت الشورى من دخول فلسطين وسوريا ولبنان ، وكان محمد علي الطاهر يحتال على تهريبها تحت أسماء اخرى . وفي ١٩٤٠ اعتقلته السلطات البريطانية وهرب من المعتقل سنة ١٩٤١ ، ثم افرجت عنه حكومة النحاس سنة ١٩٤٢ . وفي سنة ١٩٤٩ اصدر ابراهيم عبد الهادي رئيس الوزراء والحاكم العسكري العام آمرا عسكريا باعتقال محمد علي الطاهر وايداعه معتقل الهاكستيب في صحراء السويس . وفي ابريل ١٩٥٥ غـــادر صاحب الشورى مصر الى بيروت بعد ان عاش في القاهرة ٤٠ عاما تخللها عذاب واعتقالات وصراع مع الاستعمار البريطاني .

المصـــادر :

١ ـ مجلة الاديب ـ الجزء الخامس ـ بيروت ـ مايو ١٩٦٧ .

٢ ـ د. خيرية قاسمية : محمد علي الطاهر ـ كلمة فلسطين في مصر ـ شئون فلسطين آ.م.آ.ف. ـ بيروت ـ نوفمبر ١٩٧٤ ـ ص ١٥٠ .

١٩٥ ـ كان محمد علي الطاهر يكتب في كوكب الشرق والبلاغ والمقطم *

١٩٦ ـ مجلة الاديب ـ الجزء الخامس ـ بيروت ـ مايو ١٩٦٧ ص ٤٧ .

١٩٧ ـ د. خـيرية قاسمية ـ محمد علي الطاهر قسلم فلسطين في مصـر ـ شئون فلسطينية ـ العدد ٣٩ ـ بيروت نوفمبر ١٩٧٣ ـ ص ١٥٠ ـ ١٥٤ .

١٩٨ ـ الشورى ١٩٢٩/٧/٣ ، ١٩٢٦/٦/٤ .

١٩٩ ـ الشورى ١٩٢٨/١٢/١٢ .

٢٠٠ ـ الشورى ١٩٢٦/٣/١١ ، ١٩٢٦/٩/٣٠ .

الباب الثاني

الصحافة المصرية وقضايا العشرينات والثلاثينات على الساحة الفلسطينية

٣

السّياسَة البَريطانية في فلسطين

لقد عالجت الصحف المصرية هذا الجانب (السياسة البريطانية في فلسطين) من منطلقات فكرية مختلفة وبمدى متفاوت من الاهتمام ومن خلال أساليب صحفية متعددة . كانت الاهــرام والمقطم اكثر الصحف المصرية اهتماما بمعالجة هذا الجانب في القضية الفلسطينية خلال العشرينات والثلاثينات . ويتخذ اهتمام الاهرام طابعا خبريا ويقتصر على تسجيل نشاط المندوب السامي وسياسة بريطانيا في فلسطين ، واحيانا كان يتعرض لمناقشة بعض مشروعات السياسة البريطانية في فلسطين والتغيرات الدستورية ــ القرض البريطاني لفلسطين ــ لجنة شو للتحقيق في أحداث البراق . وكــان يهتم بابراز ايجابيات السياسة البريطانية في فلسطين مستعينا بتعليقات واقوال الصحف البريطانية . كما ركز الاهرام على متابعة اتجاهات المسئولين البريطانيين ازاء الاوضاع في فلسطين من خــلال نشر مداولات مجلس العموم ومواقف بعض النواب البريطانيين الى جانب العــرب ، وذلك لايجاد توازن مع التصريحات التــي كان يدلي بها الزعماء البريطانيون تأييدا للوطن القومي اليهودي في فلسطين . وقد كانت الاهرام تميل في معظم الاحيان الى ابراز اتصالات المندوب السامي بالجانب العربي والقوى الوطنية الفلسطينية وتكثــر من نشر تصريحات المندوب السامي عن استعداد الحكومة للمحافظــة على الارض ردا على الصحف الاخرى التي كانت تهتم بكشف مساوىء الانتداب البريطاني في فلسطين مثل كوكــب الشرق والبلاغ . كذلــك اهتمــت الاهرام بمتابعة زيــارات المســئولين البريطانيين لفلسطين مثل زيارات أسقف كنتربري واللورد اللنبي ومايلز لامبسون لفلسطين وقد بدأ اهتمامها بهذا الجانب منذ يناير ١٩٢٣ .

تبنت المقطم مهمة الدفاع عن المصالح البريطانية في فلسطين ، ولكن بأسلوب مقنع وغير مباشر لا يخلو من الدهاء . وقد اتبعت في ذلك وسيلتين الاولى اعادة نشر المقالات المنقولة عن الصحف البريطانية .. التي تحمل وجهة النظر البريطانية ، والوسيلة الثانية هي نشر مقالات للكتاب اليهود المصريين ذوي الاتجاهات الصهيونية . وفي الحالات التي كانت تتعرض فيها المقطم لنقد السياسة البريطانية في فلسطين فقد كان مبعث ذلك شدة الحرص على ضمان المصالح البريطانية في المنطقة العربية .. فقد كانت المقطم تطالب الحكومة البريطانية بتعديل سياستها في فلسطين ليس حرصا على ضمان الحقوق الوطنية للعرب في فلسطين ، ولكن تجنبا للقلاقل التي تهدد استمرار السيطرة البريطانية . وكانت ترى أن حسم الصدامات بين العرب واليهود في فلسطين لا يمكن انجازه الا من خلال ابقاء زمام الموقف في أيدي بريطانيا انصافا للطرفين وحرصا على رفاهية ورخاء فلسطين وكذلك كانت المقطم تطالب باعادة النظر في صك الانتداب «لان تطبيقه الحالي في فلسطين سيؤدي الى مزيد من سفك الدماء ولذلك يمكن اجراء بعض التعديلات غير الجوهرية حرصا على استمرار النفوذ والسيطرة البريطانية ولكن بخسائر اقل » . وكانت المقطم منبرا للدفاع عن وعد بلفور بأساليب مباشرة وغير مباشرة ، وكذلك كانت المقطم الصحيفة المصرية الوحيدة التي نشرت مقالات لبعض الكتاب اليهود يطالبون باستمرار هربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني بعد انتهاء مدة تعاقده في فلسطين رغم ما اتسمت به فترة حكمه من زيادة الاضطرابات بين العرب واليهود بسبب تحيزه الواضح للوطن القومي اليهودي وتشجيعه للهجرة اليهودية وانتزاع الاراضي بالقوة من الفلاحين العرب لصالح الشركات الصهيونية .

وقد كانت « السياسة » اليومية تميل الى نشر المقالات والدراسات السياسية المنقولة عن الصحف الاوروبية (الانجليزية والفرنسية) والتي تحمل معلومات أكثر مما تحمل وجهة نظر .

وتنفرد السياسة عن بقية الصحف المصرية بهذا الاتجاه محاولة اسباغ طابع موضوعي على موقفها من السياسة البريطانية في فلسطين خلال العشرينات والثلاثينات . وان كان لا يخلو الامر من نشر بعض المقالات التي تنبىء عن وجهة نظر السياسة بأسلوب غير مباشر . وكانت السياسة تؤمن بأهمية التعرف على آراء الخصوم ولذلك اهتمت بنشر دفاع لويد جورج عن الوطن القومي اليهودي ووعد بلفور ، كما نشرت السياسة حديثا مع العالم الالماني اينشتين نقلا عن صحيفة الاكسلسيور الفرنسية صرح فيه عن أمله في أن تواصل بريطانيا دورها الانساني في اقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

وقد حرصت « كوكب الشرق » في معالجة هذا الجانب من جوانب القضية الفلسطينية على ابراز العلاقة بين الانتداب البريطاني والصهيونية ودور بريطانيا في تنفيذ وعد بلفور ، وذلك سواء في اخبارها أو تعليقاتها أو مقالاتها . وكانت كوكب الشرق تأخذ في مقالاتها دائما جانب الدفاع عن القوى الوطنية الفلسطينية والدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني في مواجهة سياسة التهويد التي كانت تنتهجها حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين . لذلك اهتمت بنشر الوقائع التي تكشف تحيز بريطانيا لليهود ضد العرب ودورها في تشريد عرب الحوارث والزيادنة واخلائهم عن اراضيهم بالقوة المسلحة لصالح الصهيونية . كذلك تابعت كوكب الشرق نشاط الوفد الفلسطيني في لندن سنة ١٩٣٠ كما اهتمت بابراز تعاطف مسلمي لندن مع القضية الفلسطينية . وكان يغلب على معالجة كوكب الشرق الطابع الحماسي المشوب بالانفعال . ولذلك كانت تكثر من نشر النداءات والتصريحات المباشرة التي تنقل وجهة نظر اللجنة التنفيذية العربية في مواجهة السياسة البريطانية في فلسطين .

وتنفرد « البلاغ » عن الصحف المصرية المعاصرة لها في تلك الفترة بأنها كانت تنقل عن الصحف الاوروبية والصحف الفلسطينية في ذات الوقت وكانت تنتقي من الصحف الاوروبية المقالات المؤيدة لوجهة النظر العربية او التي تبرز التحالف البريطاني الصهيوني وفي تلك الحالة كانت تقوم البلاغ بالتعليق عليها وتفنيدها .

وقد حاولت « البلاغ » توضيح اهمية فلسطين في المخططات البريطانية والتأكيد على اهمية الوطن القومي لليهود باعتباره متكأ للسياسة البريطانية في الشرق الادنى ، كما اهتمت البلاغ بنشر مقالات عن وعد بلفور في الشرق الادنى . وتناقضه مع وعود بريطانيا للعرب أثناء الحرب العالمية الاولى .

اما صحيفة الاتحاد فقد اقتصر اهتمامها على متابعة نشاط المندوب السامي وتصريحاته وزيارته للمندوب السامي الفرنسي في سوريا . وكانت الاتحاد تنقل ايضا عن الصحف الاوروبية ولكن كانت تهتم بنشر المقالات التي تهادن السياسة البريطانية في فلسطين . ولم تحاول الاتحاد قط أن تبرز أو تشير الى العلاقة العضوية بين الانتداب البريطاني والصهيونية بل على العكس كانت تحاول ايهام القراء بأن بريطانيا حريصة على مصالح العرب في فلسطين قدر حرصها ـ ان لم يكن أكثر ـ على مصالح اليهود .

وما يدعو للدهشة الهجوم والنقد الذي تعرضت له السياسة البريطانية في فلسطين من جانب الصحف اليهودية في مصر ، وهما صحيفة اسرائيل والشمس اذ لم تنقطعا عن اتهام بريطانيا بالتخلي من وعودها لليهود في فلسطين ، كما شنتا هجوما عنيفا على سوء استغلال بريطانيا للاماكن المقدسة في فلسطين . كذلك وجهت « اسرائيل » نقدا حادا لتقرير لجنة شو للتحقيق في احداث البراق ، واتهمت اللجنة بالتحيز للعرب .

اما صحيفة الشورى لسان حال الفلسطينيين في مصر .. فقد تابعت بالتعليقات والمقالات السياسية مراحل السياسة البريطانية في فلسطين مع التأكيد على جوانب التحيز الصريح للوطن القومي اليهودي والمضي باصرار في تنفيذه رغم الاضطرابات والاصطدامات والانتفاضات التي قام بها العرب احتجاجا على سياسة تهويد البلاد . وكان « نشيم صبيعة » والامير شكيب ارسلان من ابرز الذين كتبوا عن السياسة البريطانية في فلسطين ووعد بلفور في العشرينات وبداية الثلاثينات .

وقد شهدت الثلاثينات مرحلة جديدة في العلاقات الصهيونية البريطانية حيث دب أول شقاق بين زعماء الحركة الصهيونية والحكومة البريطانية بسبب صدور كتاب باسفيلد الابيض (اكتوبر ١٩٣٠) والذي استقال على اثره وايزمن من رئاسة الوكالة اليهودية والمنظمة اليهودية كما اسلفنا ، واستقال معه عدد من كبار زعماء الصهيونية .

وقام اليهود في العالم بحملة عنيفة ضد بيان الحكومة البريطانية في كتابها الابيض وانضم الى الجلسة كبار الاستعماريين البريطانيين امثال سمسفي وتشيمبرلين وبولدوين وتشرشل وايمري فشجعوا كتاب باسفيلد وضربوا على نغمه (الالتزام المزدوج) . وانهال سيل البرقيات من كل مكان على الحكومة البريطانية ودوائر عصبة الامم مما أثار دهشة لجنة الانتدابات الدائمة في جنيف وجعل احد اعضائها يتساءل ما اذا كانت اللجنة أمام مؤامرة دعائية عالمية ، وقد دل ذلك على مدى تنظيم الحركة الصهيونية العالمية ، كما دل ذلك على أن الاستمرار في سياسة الوطن القومي تقتضي مصالحة الزعماء الصهيونيين المستقيلين . وسرعان ما استجابت الحكومة البريطانية للضغط فدعت وايزمن ونفرا من الزعماء الصهيونيين للتفاوض مع لجنة وزارية خاصة الفت لهذا الفرض برئاسة وزير الخارجية مورسون وسكرتيره مالكولم ماكدونالد ، وانتهت المفاوضات الصهيونية وتراجع ماكدونالد عما جاء في كتاب باسفيلد الابيض .

وقد تجسد هذا التراجع في الرسالة المعروفة برسالة ماكدونالد السوداء ، وقد أطلق العرب عليها هذا الاسم لانهم اعتبروها وثيقة خزي وعار في تاريخ السياسة البريطانية .

وقد قاد الكتاب اليهود المصريون والجناح الصهيوني على الاخص حملة نقد عنيفة على السياسة البريطانية في فلسطين ، وكانت « اسرائيل » والمقطم والشمس منابر رئيسية لهذا الهجوم . وكانوا يؤكدون في هجومهم على بريطانيا ، بأن استمرار بريطانيا في فلسطين او تخليها عن الانتداب على أن ينقل الى عصبة الامم ذاتها ، كل ذلك (لا يمس تصريح بلفور والوطن القومي بشيء ، فليس الامر معلقا على ارادة انجلترا اذا ارادت العبث بعهودها لليهود ، فقد وقعت على هذا العهد ٥٢ دولة وصدقت عليه عصبة الامم فاكتسبت صفة وثيقة دولية تتصل بشرف أمم العالم المتمدنين) .

وقد حاولت الحركة الوطنية في فلسطين ان تتعاطف في هذه المرحلة مع اليهود والحركة الصهيونية ضد الانجليز . ولذلك أجرى العرب اتصالات باليهود مقترحين التوصل معهم الى نوع من الاتفاق على أساس قطع العلاقات مع بريطانيا قطعا تاما ، ولكن اليهود رفضوا ذلك على الفور لانهم يعتبرون علاقتهم ببريطانيا مسألة جوهرية . ليس هذا فحسب بل قرروا أن يشكلوا وحدات مسلحة ويحاربون الى جانب البريطانيين اذا ما تجددت الثورة . ولم يكن هذا التحالف بين العرب واليهود ممكنا لان الجناح المتمرد على الانجليز جناح جابوتنسكي هو الجناح الاكثر صهيونية وبالتالي الاكثر يمينية وتخلفا وعداء للعرب . أما الجناح الصهيوني الاخر فقد كان يعتبر أن استمرار الاحتلال البريطاني حتى يبلغ اليهود نسبة معينة من السكان قضية اساسية . ولذلك كانت استراتيجيتهم تختلف عن استراتيجة العرب الذين يريدون الاستقلال سريعا للحيلولة دون زيادة عدد الصهيونيين ودون توسيع الاستيطان . ثم ان العرب كانوا يعتبرون أن بقاء الانتداب هو العقبة الرئيسية في

سبيل تحررهم بينما كان الصهيونيون يعتبرون ان بقاء الانتداب هو السبب الى بناء دولتهم ، وهكذا كانت الاهداف متناقضة . وفي ضوء هذا التفسير يمكننا أن نفهم الدوافع التي كانت تحرك حملات الهجوم الصهيونية ضد الانتداب البريطاني . فالواقع أنها كانت للمزايدة وللتغطية وللتمويه اكثر منها حملات حقيقية للهجوم . كما كانت هذه الحملات مدفوعة بالرغبة في التعجيل ببناء الوطن القومي اليهودي . فهو اذن هجوم من موقع التحالف مع بريطانيا وليس من موقع التناقض معها . واذا كانت هناك تناقضات فهي تناقضات ثانوية .



٤
النشاط الصهيوني في فلسطين
في العشرينات والثلاثينات

تشترك الصحف المصرية عامة في الاهتمام بهذا الجانب ، ولكن تختلف زاوية الاهتمام وحجمه .. وتعتبر البلاغ أكثر الصحف المصرية اهتماما بهذا الجانب في فترة العشرينات . وقد كانت تركز على فشل الصهيونية في فلسطين والتشكيك في نجاحها والتنبيه الى كذب دعايتها (١) .

كما اهتمت بابراز نشاط الوكالة اليهودية والنشاط الصهيوني في الميادين الاقتصادية (٢) ، وكان اهتمام البلاغ بمتابعة النشاط الصهيوني لا يقتصر على رصد هذا النشاط والتعليق عليه داخل فلسطين فحسب بل تابعت النشاط الصهيوني العالمي وخاصة المؤتمرات الصهيونية . وقد اتخذ اهتمامها في اغلبه شكل مقالات وتعليقات وأحيانا أخبار ، وكانت تحاول دائما ابراز العلاقة بين المؤتمرات الصهيونية واستعمار فلسطين (٣) . رغم أن البلاغ لم تهتم بمسألة الهجرة اليهودية خلال العشرينات الا نادرا فقد بدأ اهتمامها يتدفق ابتداء من مايو ١٩٣٠ وتصاعد أثناء الثلاثينات بشكل واضح . وقد ركزت البلاغ بشكل خاص على ضرورة وقف الهجرة وتقييدها . وأشارت الى تهريب اليهود الى فلسطين والعصابات الصهيونية التي تقوم بتزوير شهادات الهجرة ومراكز هذه العمليات في أوروبا والعالم الغربي (٤) .

وقد انفردت البلاغ بعدة مقالات عالجت فيها موقف اليهود من المجلس التشريعي والقرارات التي اتخذها مؤتمر صهيوني

انجلترا التي انصبت جميعها على الاعتراض على تشكيل المجلس التشريعي في ظل ظروف عدم الاتفاق بين العرب واليهود مما يضر كثيرا بالوطن القومي (٥) ، وقد عالجت البلاغ أيضا الانقسامات داخل الحركة الصهيونية وحرضت على ابراز آثارها على فلسطين . وكذلك اشارت الى قضية تسليح اليهود ومصادر هذه الاسلحة ووسائل تهريبها الى فلسطين ودور الحركة الوطنية في مراقبة وضبط هذه الاسلحة ، أما قضية بيع الاراضي فقد كانت البلاغ أكثر الصحف المصرية اهتماما ومتابعة لهذا الجانب ، وقد طالبت بانشاء شركة لانقاذ الاراضي ، كما كشفت عن موقف الامير عبد الله وتاجير أراضيه لليهود ، ونشرت تحقيقات كاملة عن مأساة عرب الحوارث .

أما الاهرام فقد اهتمت بمتابعة النشاط الصهيوني في فلسطين من الناحية الخبرية ، وكانت تركز على زيارات الزعماء الصهيونيين لفلسطين ، كما كانت تشير الى مستقبل الوطن القومي في فلسطين وما يكتنفه من صعوبات . وقد بدأ اهتمامها بهذا الجانب منذ عام ١٩٢٤ . وقد تابعت الاهرام اخبار المؤتمرات الصهيونية بانتظام منذ عام ١٩٢٧ وكانت أحيانا تنشر بعض التعليقات على هذه المؤتمرات (٦) . وكانت الاهرام الصحيفة المصرية الوحيدة التي تابعت الحياة اليومية لليهود في فلسطين ومشاكلهم واضراباتهم ونشاطاتهم المختلفة (٧) . وعلاقاتهم بالخارج ، وقد عالجت الاهرام موضوع الهجرة اليهودية (٨) في فلسطين بغزارة ملحوظة ولكن اقتصرت المتابعة على الجانب الخبري ، كما اهتمت الاهرام بمتابعة تهريب الاسلحة الى اليهود منذ عام ١٩٢٩ (٩) ، وذلك على عكس الصحف المصرية الاخرى التي لم تبد اهتماما بهذه المسألة الا في الثلاثينات . وأبدت الاهرام اهتماما غير عادي بقضية الشيوعية في فلسطين بدأ منذ يونيو ١٩٢٨ وكان اهتمامها ينصب على ابراز العلاقة بين الشيوعية والتنظيمات الشعبية اليهودية والفلسطينية . وقد اتخذ هذا الاهتمام شكلا خبريا أيضا . وقد تصاعد اهتمام الاهرام بمتابعة تطورات الهجرة اليهودية الى فلسطين ابتداء من

منتصف ١٩٣٠ ، وبلغ الذروة في عامي ١٩٣٣ ، ١٩٣٤ اذ كان لا يخلو الاهرام اسبوعيا من متابعة الموضوع عدة مرات على الاقل واهتمت بالذات بموضوع تهريب اليهود الى فلسطين كما ركزت على الاضطرابات التي وقعت في فلسطين من جراء الهجرة اليهودية (١٠) .

وفيما يتعلق بمسألة بيع الاراضي كان اهتمام الاهرام خبريا في معظمه ، ولم تفصح الاهرام عن وجهة نظرها في هذه القضية الهامة. وان لم يكن من العسير أن نستشف موقفها من خلال المتابعة الخبرية . فنلاحظ أن معظم الاخبار كانت تتعلق بمشروعات اليهود لتجسين الاراضي والاسماء اليهودية التي اطلقت على المناطق العربية التي اشتراها اليهود والمساومات التي تجري على بيع الاراضي وابراز راي اليهود في تقرير المستر جون هوب سمبسون الذي طالب بالحد من الهجرة اليهودية وجعلها طبقا لطاقة البلاد الاستيعابية بالفعل وليس بالقول فقط (١١) .

أما « الاتحاد » فقد كان اهتمامها بمتابعة النشاط الصهيوني في فلسطين خلال العشرينات محدودا ، رغم انه تدفق في الثلاثينات بشكل ملحوظ وقد انصب اهتمامها على الاشادة بالوطن القومي ومنجزات اليهود في فلسطين وابراز اهمية وعد بلفور لمستقبل فلسطين الاقتصادي والعمراني (١٢) ، واتخذ هذا الاهتمام شكل مقالات . أما في الثلاثينات فقد تنوع اهتمام « الاتحاد » بالنشاط الصهيوني ولم يقتصر على استخدام المقالات فقط بل اتخذ في معظم الاحيان طابعا خبريا ، وقد عالجت الاتحاد وسائل الهجرة الصهيونية وتسليح اليهود والمؤتمرات الصهيونية التي عقدت خلال الثلاثينات بافاضة ، وان كان اهتمامها بموضوع تهريب اليهود الى فلسطين والهجرة غير المشروعة (١٣) قد نال جزءا أكبر من الاهتمام واستمرارية في المتابعة تفوق سائر جوانب النشاط الصهيوني تلك الفترة (١٤) ، وقد التقت الاتحاد مع الصحف الصهيونية في مصر في الترويج للدعوة الخاصة باتفاق العرب واليهود

من اجل الوطن المشترك . وكانت هي الصحيفة المصرية الوحيدة التي تابعت هذه القضية وقد بدات منذ نهاية العشرينات حتى منتصف الثلاثينات (١٥) .

وفيما يتعلق بالمقطم فهي تتميز بأنها كانت تعرض وجهتي النظر العربية والصهيونية من خلال كتابات القراء وكبار الكتاب من الفريقين ، وهناك كثير من المساجلات في هذا الصدد ، ولكن يلاحظ أن اليهود المصريين كانوا يتخذون من المقطم منبرا رئيسيا للدفاع عن الصهيونية ، ولكن اهتمام المقطم بالنشاط الصهيوني في فلسطين خلال العشرينات كان ينصب معظمه على الدفاع عن الصهيونية والاشادة بالتحضر والعمران الذي أصاب فلسطين على ايدي الصهيونيين ، وكان يروج لعقد مؤتمر اقتصادي أو سياسي مشترك بين العرب واليهود من أجل مستقبل فلسطين (١٦) . ونادرا ما كانت تلجأ المقطم الى الاستعانة بالاخبار في متابعتها للنشاط الصهيوني . بل كانت تعتمد أساسا على المقالات وأحيانا التعليقات . وفي الثلاثينات لم يتغير اسلوب المقطم في اتاحة الفرصة للكتاب الموالين للفريقين العرب والصهيونيين لابداء وجهات نظرهم في هذا الجانب من جوانب القضية الفلسطينية ، ولكن يلاحظ كثرة المقالات التي نشرت بأقلام كتاب يهود مصريين مثل د. هلال فارحي وسعد يعقوب المالكي وعزرا ليفي ودانيال ليفي . بعض هذه المقالات كانت تشكل جزءا من معركة ثارت بين رجال الاكليروس ، الذين كانوا يطالبون بمقاطعة اليهود مقاطعة تامة لانهم يمتنعون عن تشغيل العرب . وهنا انبرى الكتاب اليهود للرد عليهم واستنكار دعوتهم والاستشهاد بمآثر اليهود على المسيحيين في العصور الغابرة (١٧) . وكذلك شغلت صفحات المقطم بعدة مقالات لاثبات أن اليهودية قومية وليست دينا (١٨) . ومقالات أخرى ترى أن اليهودية دين وامة وليست قومية (١٩) . ولم نلاحظ اهتمام المقطم بالقضايا الاساسية التي دار حولها النشاط الصهيوني في فلسطين في الثلاثينات مثل قضايا الهجرة وشراء الاراضي وتسليح اليهود ، وان كانت قد تابعت

المؤتمرات الصهيونية وكانت تركز على التصريحات التي يدلي بها زعماء الصهيونية لتحذير العرب وكانت تشير الى التصريحات الاستفزازية (٢٠) . واهتمت المقطم بابراز نوعية المهاجرين اليهود الى فلسطين مستهدفة التأكيد على انهم لن يشكلوا عبئا او معوقا للوجود العربي في فلسطين بل سوف يساهمون في تطوير وتقدم البلاد (٢١) .

وقد اهتمت المقطم بنشر مأساة اجلاء عرب الزبيدات عن اراضيهم والمعركة التي نشبت بينهم وبين اليهود والبوليس البريطاني واجلائهم بالقوة عن اراضيهم (٢٢) . وتشارك «السياسة» المقطم في تبنيها لوجهة النظر الموالية للصهيونية . وقد برز هذا الاهتمام في المقالات التي كتبتها عن الجامعة العبرية ، واشادت بالدور الحضاري الذي تقوم به في فلسطين ، كما اهتمت « السياسة » بمتابعة المؤتمرات الصهيونية ودورها في اقامة الوطن القومي اليهودي وتبريرها للاسباب التي دفعت اليهود الى البحث عن وطن . والاضطهادات التي لقيها اليهود في أوروبا . وعلاقة ذلك بالهجرة اليهودية الى فلسطين (٢٣) . وقد عالجت السياسة النشاط الصهيوني في الثلاثينات في سلسلة مقالات كتبها محمد عبد الله عنان إبعد زيارته لفلسطين تميزت باحتوائها على قدر كبير من المعلومات التاريخية ، وقد تناولت فيها المراحل التي مر بها وعد بلفور وما ترتب عليه من كوارث ومآس لا زال العرب في فلسطين يدفعون ثمنها باهظا (٢٤) . كما عالجت السياسة قضية الهجرة اليهودية الى فلسطين من زاوية تختلف عن الزوايا الاخرى التي عالجتها الصحف المصرية ، فقد ابرزت علاقة الهجرة اليهودية بالاوضاع النازية في المانيا وكشفت عن تواطؤ بريطانيا مع السلطات الالمانية لتسهيل الهجرة الى فلسطين (٢٥) .

أما كوكب الشرق فقد تركز اهتمامها على المقالات التي تبرز خطورة الصهيونية على فلسطين بالاشارة الى دسائس الصهيونية ضد العرب واجتماعات اليهود وأساليبهم من أجل السيطرة على

فلسطين (٢٦) . كما كانت تشير الى الخلافات والانقسامات بين الصهيونيين في فلسطين . وقد كانت كوكب الشرق اكثر الصحف المصرية اهتماما بأخبار الهجرة اليهودية واهتمت بمتابعة ارقام المهاجرين اليهود الى فلسطين كما اهتمت بوسائل دخولهم الى فلسطين (٢٧) .

ولم يفتها ابراز العلاقة العضوية بين مسألتي الهجرة والاراضي لذلك نلاحظ اهتمام كوكب الشرق بكشف اساليب الصهيونية في امتلاك اراضي فلسطين والدور الذي تقوم به المنظمات الصهيونية لشراء الاراضي . وقد انفردت كوكب الشرق عن بقية الصحف المصرية بنشر عريضة الحزب العربي الفلسطيني التي رفعها الى المندوب السامي وتناول فيها مشكلتي الهجرة وبيوع الاراضي املا في ان يتدخل المندوب السامي مدفوعا بمبادئه الانسانية من اجل وقف عملية البيوع والهجرة (٢٨) ، واهتمت كوكب الشرق بنشر عدة فتاو بتجريم كل من يبيع أرضه ، كما ركزت على دور السماسرة في بيع أراضي فلسطين (٢٩) .

وقد لجأت كوكب الشرق في معالجة النشاط الصهيوني الى المقال التحليلي ، كما انها لم تتجاهل الخبر وان كانت أكثر الصحف المصرية استخداما للنداءات والبيانات والمذكرات والعرائض .

اما صحيفة الشورى لسان حال الفلسطينيين في مصر فقد اهتمت بنشر تصريحات الزعماء الصهيونيين وتفنيدها والرد عليها (٣٠) . كما نشرت عدة مقالات هامة للامير شكيب أرسلان عن الصهيونية تناول فيها الاسس التاريخية لنشأتها وخطورتها على مستقبل الوطن العربي ، كما أبرز أن استمرارها في فلسطين مرهون بضعف الامة العربية وبعجزها عن درء الخطر الصهيوني (٣١) .

كما اهتمت الشورى بمتابعة أكاذيب الصهيونية وافتراءاتها باسناد تصريحات كاذبة الى الزعماء العرب لخلق وقيعة بينهم وبين الحركة الوطنية الفلسطينية ، كان محمد علي الطاهر رئيس تحرير

الشورى يهتم بملاحقة ادعاءات الصهيونيين وكشف ما تنطوي عليه من كذب وافتراء. وكانت المقالات هي المادة الاساسية التي اعتمدت عليها الشورى في معالجتها لمختلف جوانب القضية الفلسطينية .

وكان موقف صحيفة اسرائيل هو الدفاع الدائم عن الوطن القومي اليهودي والصهيونية ولم يقتصر دورها على خدمة الصهيونية من الناحية الدعائية فحسب بل كانت تتصدى دائما للرد على الصحف المصرية الموالية للفلسطينيين في مختلف القضايا (٣٢) التي اثيرت في العشرينات والثلاثينات بدءا بقضية الهجرة وملكية حائط المبكى وانتهاء بقضية الشيوعية في فلسطين . وقد كانت اسرائيل تحاول الربط بين الجرائم والشيوعية في فلسطين (٣٣) وتدفع تهمة الشيوعية عن الصهيونيين وذلك ردا على الصحف المصرية التيكانت تربط بين الشيوعية والصهيونية في معظم الاحيان.

اما صحيفة الشمس فقد كان دورها مكملا لصحيفة اسرائيل ولكن بأسلوب أكثر خبثا ودهاء ، فقد كانت تتظاهر دائما بحرصها على علاقة العرب واليهود في فلسطين لمصلحة الطرفين ، وكانت في ذات الوقت تبث سمومها بهدوء . فهي لم تتخلف عن الدفاع بشكل مباشر وغير مباشر عن مصالح الصهيونية ودورها في بناء فلسطين (٣٤) .

ويدور النشاط الصهيوني في فلسطين في العشرينات والثلاثينات حول ثلاث قضايا رئيسية عالجتها الصحف المصرية من زوايا مختلفة وبمدى متفاوت من الاهتمام . هذه القضايا هي على التوالي :

١ ـ الهجرة اليهودية .
٢ ـ الجامعة العبرية وزيارة بلفور لفلسطين ١٩٢٥ بمناسبة افتتاحها .
٣ ـ قضية الاراضي .

وسوف نتناول كلا منها على حدة .

هوامـــــــــش

١ ـ البلاغ ١٩٢٧/١/٩ تقرير الدكتور برغشت عن الصهيونية وعجزها عن حل مشكلة اليهود .

٢ ـ البلاغ ١٩٢٣/٨/٢٢ مقال عن فشل الصهيونية في فلسطين .

٣ ـ البلاغ ١٩٢٦/١٢/١٩ فشل الصهيونية في فلسطين .
البلاغ ١٩٢٩/٤/٩ الصهيونية مشروعاتها السيطرة على فلسطين من الناحيــة الاقتصادية .

٤ ـ البلاغ ١٩٢٩/٨/٢٥ مقررات المؤتمر الصهيوني .

٥ ـ البلاغ ٣٤/٥/٢٥ ، ١٩٣٤/١١/٢٠ ، ١٩٣٥/١/٤ .

٦ ـ انظر الاهرام ١٩٢٩/٨/١٢ ، ١٩٣١/٧/١٦ ، ١٩٣٣/٩/٢ .

٧ ـ * انظــر الاهـــــرام ١٩٣١/١/٨ ، ١٩٣١/٧/٢٤ ، ١٩٣١/١٠/١٢ ، ٢٥ ٨ ٣٣ .

٨ ـ * انظر الاهرام ١٩٣٤/٩/٣ ، ١٩٣٤/٥/٢٩ ، ١٩٣٤/٨/٢٦ .

٩ ـ الاهرام ١٩٣١/٧/٥ ، ١٩٣٤/١٢/٢ .

١٠ ـ الاهرام ١٩٣٤/٦/٣ ، ١٩٣٤/٥/٢٩ ، ٣٤/٨/٢٦ ، ١٩٣٤/١٢/٢ .

١١ ـ الاهرام ١٩٣٣/٥/١ ، ١٩٣١/١٢/٦ ، ١٩٣١/٥/٢٢ ، ١٩٣٤/٧/١٥ .

١٢ ـ الاتحاد ١٩٢٥/٥/١٧ الحركة الوطنية في فلسطين .

١٣ ـ الاتحاد ١٩٣٥/٩/٨ خطبة وايزمان في المؤتمر الصهيوني .

١٤ ـ الاتحاد ١٩٣٠/٣/٢٠ ، ١٩٣٣/١٢/٢٤ ، ٣٤/٨/٢١ ، ١٩٣٥/١٠/٢١ ،

١٥ ـ الاتحاد ١٩٣٤/٨/٦ ، ١٩٣٤/٩/٢٢ .

١٦ ـ المقطم ١٩٢٣/٥/١٠ دفاع عن الصهيونية بقلم اسرائيل رنيب .

١٧ ـ المقطم ١٩٢٣/٣/١٧ اليهود الوطنيون والصهيونية بقلم يوسف كاستل .
المقطم ١٩٢٩/٩/٢٨ الوطن القومي لليهود بقلم محمد علي الطاهر .

١٨ ـ المقطم ١٩٣٣/١٢/١٦ ، ١٩٣٣/١٢/٦ .

١٩ ـ المقطم ١٩٣٤/٣/٣٠ اليهود قومية بقلم سعد يعقوب المالكي .

٢٠ ـ المقطم ١٩٣٤/٤/١١ اليهودية دين الله بقلم نقولا .

٢١ ـ المقطم ١٩٣١/٧/١٤ .

٢٢ ـ المقطم ١٩٣٣/٩/٢ .

٢٣ ـ المقطم ١٩٣٥/٢/٨ .

٢٤ ـ السياسة ١٩٢٩/٨/١٦ ، ١٩٢٩/١٢/١٠ .

٢٥ ـ انظر اعداد السياسة من ٢٨ ١٠ ١٩٣٣ ـ ١٩٣٣/١١/٥ .

٢٦ ـ السياسة ١٩٣٣/١٠/٢٢ .

٢٧ ـ كوكب الشرق ١٩٣٠/٥/٢٠ .

٢٨ ـ كوكب الشرق ١٩٣٥/٣/١٩ ، ١٩٣٥/٤/١١ ، ١٥/ ١٩٣٥/٤ .

٢٩ ـ كوكب الشرق ١٩٣٥/١١/٨ ، ١٩٢٩/٦/١ .

٣٠ ـ كوكب الشرق ١٩٣٥/٢/١٣ ، ١٥/ ١٩٢٩/٦ .

٣١ ـ الشورى ١٩٢٩/٩/٣٠ .

٣٢ ـ الشورى ١٩٢٩/١٠/١٦ ، ١٩٢٩/١١/٦ .

٣٣ ـ اسرائيل ١٩٣٠/٦/١٣ ، ١٩٣٤/١/٥ .

٣٤ ـ انظر اعداد الشمس ١٩٣٤ ، ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ .



المبحث الاول

الهجرة اليهودية

اعتمد الغزو الصهيوني لفلسطين الذي بدا في أواخر القرن التاسع عشر على العنصر البشري كأحد اركانه الاساسية وقد تميزت السنوات الاولى من الثلاثينات بزيادة موجات الهجرة اليهودية بمعدلات كبيرة فاقت في عام ١٩٣٣ كل ما ذهب الى البلاد في السنوات الست السابقة لذلك العام . ولا تخفى العلاقة الجدلية بين النشاط الوطني الفلسطيني وحركة الهجرة اليهودية الى فلسطين . فكلما زادت الاخيرة ترك ذلك انعكاسه الحاد على الحركة الوطنية الفلسطينية في شكل اضرابات ومظاهرات واحتجاجات ، والعكس صحيح تماما . ودليل ذلك أن الهدوء النسبي الذي تميزت به الحركة الوطنية الفلسطينية بعد عام ١٩٢١ يرتبط الى حد كبير بضعف معدلات الهجرة اليهودية في السنوات التالية ، كما ان زيادة النشاط الوطني وتكثيف جهود الحركة الوطنية وتبلورها في سنة ١٩٣٣ والسنوات التالية لها كان مرتبطا بازدياد الهجرة في تلك السنوات (١) .

وقد تابعت الصحف المصرية قضية الهجرة اليهودية الى فلسطين باعتبارها مؤشرا هاما لنمو الوطن القومي اليهودي وذات صلة وثيقة بتصاعد الحركة الوطنية الفلسطينية بالاضافة الى دلالتها الواضحة على التحالف البريطاني الصهيوني ضد المصالح القومية لعرب فلسطين .

وتتباين اتجاهات الصحف المصرية ويتنوع اهتمامها بمسألة الهجرة وذلك طبقا لمواقفها من القضية الفلسطينية ككل ، فنلاحظ أن صحيفتي البلاغ وكوكب الشرق قد ركزتا على متابعة اعداد المهاجرين اليهود وابراز ردود الفعل العربية ازاء تدفق الهجرة

اليهودية الى فلسطين مع عدم اغفالها لمواقف الاطراف الاخرى في الصراع وخصوصا حكومة الانتداب والتيسيرات التي كانت تقدمها لحركة الهجرة اليهودية بالرغم من احتجاجات العرب المتواصلة وتوصيات لجان التحقيق المختلفة بضرورة تقييد الهجرة او ايقافها .

وتنفرد كوكب الشرق بنشر احصائية عن عدد المهاجرين اليهود خلال عامي ١٩٣٣ ، ١٩٣٤ ، وتذكر عدد المسلمين والمسيحيين الذين دخلوا فلسطين خلال نفس الفترة مستهدفة من ذلك الى ابراز الفرق الهائل بين اعداد هؤلاء واعداد أولئك . ولا تعلق الصحيفة على الاحصائية بل تكتفي بذكر الارقام وتترك للقارىء مهمة الاستنتاج وادراك مدى الخطورة التي أصبحت تشكلها الهجرة اليهودية على سكان فلسطين ومصيرهم القومي .

تشير الاحصائية الى أن عدد اليهود الذين دخلوا البلاد سنة ١٩٣٣ كانوا ٣٠٣٣٧ مهاجرا بينما بلغ عدد المسلمين والمسيحيين ١١٥٠ شخصا ، وفي سنة ١٩٣٤ زاد عدد المهاجرين اليهود حتى بلغ ٣٢٧٥٨ مهاجرا بينما لم يزد عدد المسلمين والمسيحيين عن ١٧٨٣ شخصا (٢) . ونلاحظ أن عدد اليهود أصحاب رؤوس الاموال المهاجرين الى فلسطين قد ازداد خلال السنوات الاولى من الثلاثينات وتفوق على عدد المتدينين والايتام الذين كانوا يفدون الى فلسطين في موجات كبيرة خلال العشرينات . فقد بلغ عدد أصحاب رؤوس الاموال اليهود في سنة ١٩٣٣ ــ ٣٢٥٠ مهاجرا بينما دخل البلاد من الفئات الفقيرة المتدينة في نفس العام ٤٦٠ مهاجرا فقط . وفي سنة ١٩٣٤ زاد عدد الفئة الاولى وبلغ ٥١٢٥ مهاجرا ولم يزد عدد الفئة الثانية عن ٢١٠٠ شخصا (٣) .

وتفسر المقطم هذه الظاهرة بأن البلاد كانت في البداية مفتوحة في وجوه الفقراء وكانت الاموال ترد من الخارج لشراء الاراضي باسم الشعب اليهودي . ولكن الازمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩ ــ ١٩٣١) اثرت بشكل حاسم في تحويل اتجاه الاموال اليهودية ،

فبدلا من منحها للحركة الصهيونية في فلسطين أصبحت تستثمر فيها .. اي ان باب الهجرة قد فتح في وجوه الطبقة المتوسطة بدلا من الطبقة الفقيرة ، وحل الماليون اليهود محل الفقراء الذين كانوا يحتقرون المال والربح ويقنعون بالاشتراك في تعمير صهيون (٤) ولذلك اصبح من النادر ان نسمع عن خريجي الجامعات في روسيا وبولندا ورومانيا يكسرون الحجارة لترميم الطرق او يحلبون البقر ولكن اصبح من الشائع رؤية كثير من اليهود يبنون مصانع الاسنان الصناعية والصابون والثياب والمطابع وهي أعمال تعود بربح وفير على أصحابها (٥) .

وهنا تشير المقطم الى تحول اساسي في اتجاه الحركة الصهيونية ، فقد كان الرواد الاوائل الذين وفدوا الى فلسطين يتكونون من مجموعات من المثاليين المدفوعين بخليط من الافكار الصهيونية والتصورات الدينية وتحقيق الحلم اليهودي الازلي باقامة مملكة اسرائيل في أرض الميعاد . ولذلك كان يسيطر عليهم الفكر والسلوك الجماعي على عكس مجموعات المهاجرين في الثلاثينات الذين كان أغلبهم من الطبقة المتوسطة (البورجوازية التجارية والصناعية) فقد كان يحركهم اساسا عامل الربح والسلوك الفردي. واذا كانت الاعتبارات الاقتصادية من دوافعهم فانها لم تكن الدافع الوحيد . فلقد كانوا في كثير من الحالات متشبعين بقناعات صهيونية في النواحي الدينية خاصة .

وتذكر الاحصائية التي نشرتها كوكب الشرق أن عدد العمال اليهود الذين دخلوا فلسطين عام ١٩٣٣ بلغ ١١٦٥ عاملا ووصل سنة ١٩٣٤ الى ١٦٨٨ عاملا (٦) . وتشير البلاغ بهذه المناسبة الى ظاهرة جديدة تتعلق بهؤلاء العمال ، خاصة بشهادات الهجرة التي تتسلمها الوكالة اليهودية من حكومات الانتداب وتقوم بتوزيعها بالعدل بين اليهود . والجديد في هذه المسألة هو اعطاء شهادات الهجرة على الحساب وهي طريقة ابتدعتها الحكومة منذ نهاية عام ١٩٣٢ ، وقد ترتب عليها مفارقات ونتائج غريبة . ذلك أنه عندما يحل موسم

اعطاء باقي الشهادات وتقوم الحكومة بخصم العدد الذي حصلت عليه الوكالة من قبل (على الحساب) هنا تثور ثائرة الوكالة وباقي الهيئات اليهودية في فلسطين والخارج وتبكي وتنوح زاعمة ان الحكومة قد أعطت الوكالة عددا من الشهادات أقل من العدد المقرر، وانها في سبيل تحقيق الهجرة اليهودية الى البلاد . وتكون النتيجة (أن الحكومة البريطانية تحت تأثير هذه الحملات في البرلمان البريطاني وفي لجنة الانتدابات (تلحس) العدد الذي أعطته على الحساب وتحسبه هبة، في سبيل الله وتعطي الوكالة بدله عددا مماثلا او أكثر (٧) . والمعروف أن هذه الشهادات تعطى فقط من اجل هجرة العمال اليهود وهي لا تقل عن ستة آلاف شهادة في كل ستة أشهر ويحق للعامل الذي يدخل بها أن يأتي بعائلته ، وهي عادة لا تقل عن خمسة أشخاص .

ومن أبرز السمات التي تتميز بها الهجرةاليهودية في الثلاثينات (سيل اليهود الهاربين من المانيا الذي أخذ يتدفق الى فلسطين البلاد التي يمكنهم أن يدخلوها كحق وليس كمهنة) (٨) . ولقد كان نصيب المانيا من شهادات الهجرة ٢٦٫٦٪ فازدادت حصتها الى الضعف بعد وصول الحزب النازي الى الحكم سنة ١٩٣٣ واخذ اليهود الالمان يتأهبون للنزوح من بلادهم ، ووجد كثير منهم ملجأ مؤقتا لهم في البلاد المجاورة لالمانيا . وقد نظر زعماء الحركة الصهيونية بعين الامل الى نذر اضطهاد اليهود في أوروبا وادركوا أن موجة الاضهادات لبني دينهم لا بد قادمة وان مثل هذه الاضطهادات اذا جرت يجب أن تستغل لمصلحة الصهيونية ولمصلحة تحقيق الدويلة اليهودية في فلسطين (٩) ، وقد اتفقت سلطات الانتداب البريطاني مع الوكالة اليهودية على أن اليهود الفارين من الاضطهاد النازي في المانيا الذي انتقلت عدواه الى جاراتها يقبلون في فلسطين وعلى ضوء ذلك نشطت الحركة الصهيونية لايقاظ حركة اللاسامية من رقادها في معظم بلدان أوروبا الشرقية ، فعم الخوف بين اليهود وبدات أعداد كبيرة منهم تقتنع بالدعاية الصهيونية التي نجحت في تحويل انظارهم الى فلسطين .

تهريب اليهـود الى فلسطين

نشطت في عام ١٩٣٤ حركة تهريب اليهود الى فلسطين برا عن طريق الحدود الفلسطينية السورية واللبنانية المشتركة وعن طريق البحر وخصوصا المراكب التي كانت تأتي من مصر تحمل أعدادا كبيرة من يهود مصر واليمن (١٠) . وقد أولت الصحف المصرية هذا الموضوع اهتماما ملحوظا وقامت بتغطية حوادث تهريب اليهود الى فلسطين عن طريق السفن المصرية وبمعاونة البحارة المصريين . وقد نشرت صحيفة الاتحاد نبأ عن موافقة وزارة الداخلية المصرية على التصريح لليهود الذين يتجاوزون الموانىء المصرية علـى البواخر البحرية في طريقهم الى فلسطين بالنزول الى الموانىء المصرية في الفترة التي تقيم خلالها البواخر في هذه الموانىء (١١) . وهذا يوضح الى أي مدى كانت السلطات المصرية تساهم في منح التيسيرات للهجرة اليهودية الى فلسطين سواء تم ذلك عن عمد أو عن غفلة . وقد كان من الشائع أن تطالعنا صحف هذه الفترة بأخبار يومية عن ضبط مراكب مصرية تقوم بتهريب اليهود أحيانا في مياه يافا واحيانا اخرى في مياه غزة .

ونظرا لعدم فاعلية الاجراءات التي كانت تتبعهـا السلطات الانتدابية لمراقبة الهجرة غير المشروعة وخصوصا عمليات التهريب التي تصاعدت بشكل ملحوظ خلال صيف ١٩٣٤ . لذلك قـام شباب فلسطين بجهود ذاتية في محاولة لمقاومة هذه العملية . واخذ مؤتمر الشباب على عاتقه تنظيم عملية حراسة سواحل وحـدود فلسطين فقرر في ١٣ يوليو ١٩٣٤ تشكيل لجنة لحراسة السواحل والحدود (١٢) ، وقد أرسل مكتب الشباب وفدا الى بيروت ودمشق لمنع بعض العملاء العرب من تشجيع الهجرة اليهودية وكانـوا يقبضون ١٨ جنيها فلسطينيا مقابل ادخال النفر الواحد من اليهود الى فلسطين (١٣) .

وبينما كانت الصحافة المصرية تتابع مضار تصاعد حركـة الهجرة اليهودية الى فلسطين وتسهم بايجابية في كشف بواطن

الخلل والتواطؤ محاولة ابراز الجهود المتواضعة التي كان يبذلها الشعب الفلسطيني في مواجهة التواطؤ البريطاني الصهيوني المدعوم برؤوس الاموال اليهودية والقوى العسكرية المدربة ووسائل الدعاية العصرية فضلا عن تأيد الدول الغربية بأكملها ـ في هذا الوقت كان الصوت الصهيوني في مصر لا يخفت مطلقا ، بل نراه يعلو احتجاجا او تأيدا أو استنكارا طبقا للظروف ووفقا لمراحل بناء الوطن القومي إليهودي في فلسطين والصعوبات التي كانت تعترض اقامته . فعندما أصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الابيض في أكتوبر سنة ١٩٣٠ الذي تناول مسألة الهجرة وأشار الى ضرورة التشديد لمراقبةالمهاجرين وابعاد من كانمنهم يحاول التلاعب بالقوانين والحد من تدخل منظمة العمال في تنظيم الهجرة اليهودية ، كما أشار الى العلاقة بين البطالة عند العرب ومعدل الهجرة اليهودية (١٤) ، ولذلك أوصى توفيقا لاحكام صك الانتداب انتعمل الدولة المنتدبة على تخفيض الهجرة او توقيفها اذا استدعت الضرورة ذلك ريثما يتسنى للعاطلين من الفئات الاخرى ايجاد عمل لهم (١٥) ـ حينئذ ارتفعت اصوات الصحف الصهيونية في مصر تندد بموقف حكومة ماكدونالد « التي لم تقدر باديء الامر النتائج الخطيرة التي من الطبيعي ان تترتب على وقف الهجرة اليهودية الى فلسطين » (١٦) ، وترى صحيفة اسرائيل أن أولى هذه النتائج هي حبس الاموال اليهودية عن فلسطين بسبب موجة السخط التي اثيرت بين الدوائر اليهودية في مختلف انحاء العالم والتي تبلورت في شكل مظاهرات واحتجاجات شديدة ضد بريطانيا . وتستشهد الصحيفة بمظاهرة نيويورك التي اشترك فيها ٢٥ الف يهودي للاحتجاج على وقف الهجرة وانتقاد سياسة بريطانيا بسبب عدم احترامها لإلتزاماتها الدولية ازاء الوطن القومي . وتبالغ الصحيفة في تصوير الاثر الذي ترتب على صدور الكتاب الابيض وتوصياته الخاصة بالهجرة فتشير الى صداه في لجنة الانتدابات التي وجهت اللوم الى الحكومة البريطانية لعبثها بحقوق الشعب اليهودي ويصل

الى حد انها لا (تستبعد على الدول التي وقعت على تصريح بلفور وعددها ٥٢ دولة أن تطالب انجلترا بتنفيذ هذا الوعد وانشاء الوطن القومي (١٧)) . وتشير الصحيفة الى احتجاج أصحاب المصانع في تل ابيب على وقف الهجرة بسبب الاضرار البالغة التي ستصيب الصناعة اليهودية في فلسطين نتيجة احتياجها الشديد الى اعداد وفيرة من العمال اليهود وأن قرار وقف الهجرة سيعوق بناء الوطن القومي اليهودي . ولكن رغم ذلك (فان الشعب الازلي يأبى أن ينزل عن حقوقه في سبيل وعود كاذبة واماني مسلوبة بل سوف يواصل كفاحه من اجل بعث الحضارة اليهودية مهما كانت العوائق (١٨)) .

وقد اثيرت القضية مرة اخرى عندما كتب سعيد يعقوب المالكي للرد على الاقتراحات التي طرحها المندوب السامي على رؤساء البلديات في نوفمبر ١٩٣٣ والخاصة بتقييد الهجرة اليهودية الى فلسطين ، فأجرى مقارنة بين ما كانت عليه فلسطين قبل الهجرة اليهودية وبين ما هي عليه اليوم قال .. (ان المرء اذا ما قارن ما كانت عليه فلسطين بالامس من خمول وفقر وخراب واقفار وما هي عليه اليوم من تقدم وعمار ورقي وازدهار لتولاه العجب ولاخذته الدهشة من هذا التقدم الباهر الذي قطعته البلاد بفضل سواعد المهاجرين واموالهم ، ويرى أن ذوي المآرب السياسية يجادلون في هذه الحقيقة ويحاولون التمويه على الشعب العربي في فلسطين . والمؤلم أن السياسة البريطانية تتأثر بصيحات هذه الفئة ولا تنظر الى مستقبل البلاد ولم تكتف بذلك بل كثيرا ما عمدت الى مشروعات اليهود فعرقلتها والى حقوقهم المشروعة فعبثت بها . وهذه الحملة المنكرة على المهاجرين ليس لها معنى سوى ان الحكومة البريطانية قد حنثت بعهودها وعبثت بالمهمة التي ناطتها بها عصبة الامم) (١٩) .

ويتساءل الكاتب عن تفسير منطقي لموقف الحكومة البريطانية الذي يتنافى على حد قوله مع صك الانتداب ومصلحة البلاد

ويرى الكاتب اليهودي (ان المسألة الفلسطينية بسيطة جلية لا لبس فيها وأن الحكومة البريطانية اذا كانت تريد أن تحل المسألة الفلسطينية كما تدعي فما عليها الا أن تفتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية فهي ان فعلت ذلك فانها تسدي الى البلاد أجل الخدمات) (٢٠) .

وتقوم صحيفة الشمس باستكمال الدور الذي تلعبه صحيفة اسرائيل للتأثير على الراي العام المصري بالعمل على تهدئة اثر الحملات التي تقوم بها الصحف العربية في مصر ضد الهجرة اليهودية . وتردد وجهة النظر ذاتها مع اختلاف اللهجة وأسلوب المعالجة عن صحيفة اسرائيل . اذ انها تتسم بقدر كبير من الهدوء واصطناع الاسلوب الناعم في طرح وجهة نظرها . وغالبا ما تضع صحيفة الشمس المسئولية على بريطانيا فهي (التي تبذر الشقاق بين الشعبين الشقيقين وتنمعهما من المشاركة في بناء الوطن المشترك) . وترى أن تردد الحكومة البريطانية وتلكؤها يعوق الدور الحضاري للشعب اليهودي في فلسطين (اذ لو كانت الامور في فلسطين تسير في نهجها الطبيعي لاطلقت الحكومة الهجرة من عقالها وأزالت من سبيلها جميع العقبات حتى يتسنى لليهود أن يسيروا بالبلاد في سبيل التقدم) .

هوامش

١ ــ أ ــ سعد الياس : الهجرة اليهودية الى فلسطين ، مركز الابحاث الفلسطينية . بيروت ص ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٤ .

ب ــ سميسون آلسيرجون هوب : مرجع سابق ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

جـ ــ اللجنة الملكية لفلسطين ــ مرجع سابق ص ١٠٥ .

د ــ عادل غنيم ــ الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ ــ ١٩٣٦ . القاهرة ١٩٧٤ ــ ص ٢٦٨ .

٢ ـ كوكب الشرق ١٩٣٥/٣/١٩ المهاجرون في عامين .

٣ ـ المصدر السابق .

٤ ـ المقطم ١٩٣٣/٩/٢ .

٥ ـ كوكب الشرق ١٩٣٥/٣/١٩ .

٦ ـ كوكب الشرق ١٩٣٣/٣/١٤ .

٧ ـ البلاغ ١٩٣٤/١٠/٢٤ الحساب الجاري المتواصل في شهادات الهجرة اليهودية .

٨ ـ د. كامل خله ـ مصدر سابق ص ٣٤٧ .

٩ ـ السياسة ١٩٣٣/١٠/٢٢ .

١٠ ـ الأهرام ١٩٣٤/٥/٢٩ هجرة اليهود الى فلسطين .

١١ ـ الاتحاد ١٩٣٣/١٢/٢٤ اليهود الى فلسطين

١٢ ـ الاهـرام ١٩٣٤/٨/٢٦ .

١٣ ـ كوكب الشرق ١٩٣٥/٤/١٥ الطرق التي يدخل منها اليهود الى فلسطين .

١٤ ـ كامل خلـــه ـ مصدر سابق ص ٣٥٥ .

١٥ ـ المقطم ١٩٣٤/٧/٢٦ .

١٦ ـ الاتحاد ١٩٣٤/٨/٢١ الهجرة غير المشروعة الفلسطينية .

١٧ ـ المصدر السابق .

١٨ ـ د. طربين ـ مصدر سابق ص ٥٥ .

١٩ ـ اسرائيل ١٩٣٠/٦/١٣ حاجة فلسطين الى مهاجرين جـــدد .

٢٠ ـ المصدر السابق .

المبحث الثـاني

الجامعـة العـبرية

وزيـارة بلفـور لفلسـطين

في ٢٥ ابريل ١٩٢٥ أعلن اللورد بلفور افتتاح الجامعة العبرية بصفة رسمية في احتفال مشهور مثل فيه الحكومة البريطانية وعدة حكومات أخرى مندوبون عن نحو ستين جامعة . وكانت جامعتنا المصرية احداها (١) ، ويعتبر افتتاح الجامعة العبرية في القدس من أبرز الاحداث التي شهدتها العشرينيات في فلسطين . وقد كان لهذا الحدث اصداء واسعة شملت الشـعب الفلسطيني وسائر الشعوب العربية خصوصا في سوريا والعراق ومصر .. وتجاوبت الصحف المصرية مع هذا الحدث الى مدى بعيد وان اختلفت ردود الفعل طبقا لاتجاه كل صحيفة ونوعية القوى التي تعبر عنها . وقد انفردت صحيفة السياسة بنشر عدة مقالات هامة عن الجـامعة العبرية وتاريخها والاقسـام العلمية التي تشتمل عليها ومكتبتها والمشروعات العلمية التي تنوي القيام بتنفيذها ، كما حرصت على ابراز الصلة بين انشاء الجامعة وفكرة البعث اليهودي .

كتبت السـياسة عن نشأة الجامعة المصرية تقول : « لما جاءت اليهودية بفكرة الوطن القومي منذ نحو نصف قرن برزت في نفس الوقت فكرة الاحياء اليهودي لتكون دعامة هذا الوطن ، ورأى المفكرون من شعب اسرائيل أن بعث الامة اليهودية لا يقوم الا على بعث المدنية اليهودية من روحية وفكرية . وكانت هذه النظرية نواة الجامعة العبرية » (٢) .

وكان أول من فكر في انشاء الجامعة هيرمان شابيرو اسـتاذ الرياضيات بجامعة هيدلبرج . وفي سنة ١٩٠١ أصدر المؤتـمر الصهيوني الخامس قرارا بتأييد الفكرة ، وفي سنة ١٩١٣ قرر المؤتمر الحادي عشر انشـاء الجامعة وبدأ بالفعـل تنفيذ القرار

فاشتريت الارض ووضعت التصميمات ، ولكن انـدلاع الحرب العالمية الاولى ادى الى توقف كل شيء . ولما صدر وعد بلفور في ٢ نوفمبر ١٩١٧ بعثت الفكرة من جديد وعهد الى اللجنة الصهيونية التي جاءت الى فلسطين في سنة ١٩١٨ بانشاء الجامعة ، وفي يوليو ١٩١٨ وضع الدكتور وايزمان الحجر الاساسي لبنائها فوق جبل الزيتون في القدس . ثم افتتحت رسميا في سنة ١٩٢٥ . وترى السياسة (أن الجامعة العبرية تعد اول مرحلة في تنفيذ فكرة الاحياء اليهودي ، ومن ثم تعد الدعامة الروحية والمعنوية لمشروع الوطن اليهودي ، وهذا ما يتجلى في وظائفها وسياستها التعليمية الحاضرة . ذلك أن الجامعة العبرية معهد للبحث والاستقصاء قبل كل شيء ، وهذا البحث يقتصر على كل ما يمكن ان يعود بالخير والرفاهية على مشروع الوطن القومي في الوقت الحاضر) (٣) .

وقد قادت كوكب الشرق حملة صحفية واسعة النطاق مستهدفة ايقاظ الراي العام المصري وتنويره فيما يتعلق بحقيقة الهدف الذي انشئت من اجله الجامعة العبرية بالقدس وان هذه الجامعة ليست وسيلة لنشر الحضارة والعلم في ربوع الشرق كما يدعي منشئوها ولكنها وسيلة لتحقيق الوطن القومي اليهودي في فلسطين . وتستشهد كوكب الشرق على ذلك بعدة شواهد منها ما يدعيه المندوب السامي السر هربرت صمويل من (أن هذا البيت الجامعة) لا يمكن أن يعجز عن نفع جميع الطوائف التي يتألف منها سكان فلسطين . وسكان فلسطين يعدون نحو ثلاثة ارباع مليون نسمة ٩/١٠ منهم غير يهود يتكلمون العربية وال ١/١٠ الباقي يجهل اكثره العبرية . فهل من المعقول ان يكون التدريس بالعبرية؟ اذن لمن فتحت الجامعة . . . ؟ (٤) .

وتتساءل الصحيفة عن سر التناقض بين تصريح السر هربرت صموئيل عن الجامعة العبرية وأنها ستكون مركزا جديدا للعلم ينشر العرفان في ربوع فلسطين ، وكيف يتفق هذا مع قرار الحكومة وعلى

راسها السر هربرت صموبل نفسه باغلاق المدارس الرسمية التي يتعلم فيها الوطنيون ، وتواصل الصحيفة حملتها فتتساءل عن معنى دعوة اللورد بلفور ليفتتح الجامعة العبرية في فلسطين وهو صاحب الوعد الذي يشكو منه اهل فلسطين لانه سيقضي على كيانهم . « أليس في ذلك امتهان لهؤلاء القوم وهم ضعفاء مغلوبون على امرهم ، وهل يتفق هذا مع هيبة العلم وجلاله وهل لمثل هذا نفتتح جامعات العلم في العالم » (٥) . والواقع أن افتتاح الجامعة العبرية بالقدس قد ارتبط باثارة حادثين على جانب كبير من الاهمية أولهما زيارة اللورد بلفور لفلسطين وقيامه بافتتاح الجامعة وما ترتب على تلك الزيارة من ردود فعل حادة لدى الشعب الفلسطيني والشعوب العربية وخاصة في سوريا ولبنان ، ثانيهما اشتراك مصر في افتتاح الجامعة العبرية بايفاد الاستاذ لطفي السيد مندوبا رسميا عنها وقد أثار ذلك الحدث ضجة كبيرة شاركت فيها الصحف المصرية والصحف الفلسطينية على اختلاف اتجاهاتها .

وفيما يتعلق بقيام اللورد بزيارة فلسطين لافتتاح الجامعة العبرية ، فقد قابلها الفلسطينيون بالاحتجاج والاضراب الشامل ، وظهرت في الصحف الوطنية عدة مقالات تندد بالزيارة وعقدت اللجنة التنفيذية اجتماعات عديدة لبحث ما ينبغي عمله أثناء زيارة بلفور . وعلى الاثر اعلنت اللجنة يوم وصول بلفور يوم حداد ودعت الى اضراب شامل في البلاد كلها لهذه المناسبة ، وبالاضافة الى ذلك دعت الى مقاطعة رجال الادارة البريطانيين الذين يمثلون التحالف الانجلو صهيوني طيلة المدة التي سيقضيها بلفور في البلاد (فالعرب يرون في اللورد بلفور تجسيدا للمصلحة البريطانية في الصهيونية ويعتبرونه لا مبتدع هذه السياسة فحسب بل مؤازرها المخلص ايضا) (٥م) .

وفي اليوم الذي وطئت فيه قدما اللورد بلفور أرض فلسطين اعلن في البلاد اضراب عام شمل المتاجر والمدارس والسيارات وتقيد به المسلمون والمسيحيون في مختلف انحاء البلاد . ورفعت الرايات

السوداء واصدرت صحيفة فلسطين عددا خاصا باللغة الانجليزية . والقى خليل سكاكيني خطابا وطنيا من فوق منصة الحرم الشريف وعلى الفور اتخذ قرار يدعو اللورد بلفور الى مغادرة البلاد التي دخلها خلافا لرغبات سكانها واهلها . وبلغ القرار الى المندوب السامي بواسطة حاكم اللواء (٦) ، وقد وصفت صحيفة البلاغ اليومية مظاهر الاحتجاج والرفض لدى الشعب الفلسطيني والتي قوبل بها بلفور اثناء الزيارة فقالت : (لقد شاهد المارون في شوارع القدس في أول يوم من شهر رمضان مناظر خطيرة مدهشة حيث اوصد العرب في فلسطين جميع منازلهم وحوانيتهم ونوافذ منازلهم ورفعوا الاعلام منكسة ووضعوا اشارات الحداد في كثير من الاماكن احتجاجا على زيارة اللورد بلفور . ولئن خشي العرب شيئا فهم لا يخشون ذلك البناء المقام على جبل الزيتون ولا يفزعون من الجامعة نفسها بل هم يخشون كثرة النازحين الى فلسطين من اليهود بعد أن ساعدهم تصريح بلفور على ذلك (٧)) .

وتهتم البلاغ بتحليل اسباب الموقف الذي اتخذه الفلسطينيون ازاء بلفور وانه لا يمكن أن يؤول بانه عداء ضد شخص اللورد بلفور (اذ لا مجال للريب انه لولا التصريح المذكور لقوبل اللورد بمثل ما قوبل به غيره من الزعماء الانجليز من الحفاوة والاجلال مثل المستر سكويت ولورد نورتكليف والسير الفرد موند والاخير من انصار الجامعة الصهيونية فالمقاطعة هي ضد التصريح الذي يمثله لورد بلفور وهو يشبه مقاطعة المصريين ١٩٢٠ للجنة **لورد ملنر** التي جاءت للمفاوضة على أساس الحماية) (٨) ، وهناك ظاهرة انتبهت لها الصحف المصرية وتناولتها بالتعليق وهي روح التضامن التي شملت جميع فئات الشعب الفلسطيني ووحدتهم صفا واحدا كالبنيان المرصوص امام زائرهم واجتمعت كلمتهم فلم يؤثر فيهم الاغواء ولا التهديد . وقد رات بعض الصحف المصرية مثل المقطم والوطن ان هذه الظاهرة الايجابية يرجع الفضل في ظهورها الى زيارة اللورد بلفور لفلسطين . تقول المقطم : (في ذكرنا ان

الفلسطينيين كانوا تائهين في مهامة الانقسام والتفرقة قبل زيارته وأن جميع المساعي التي بذلت للتوفيق بين احزابهم وهيئاتهم واعادة الاتحاد الى صفوفهم ذهبت هباء منثورا حتى جاء اللورد بلفور فاتحدوا دون دعوة وتفاهموا دون وساطة أدركنا مقدار ما لحق بسياسة التفريق من هبوط وان البناء الذي اقامته الصهيونية لم يقو على الثبات امام الصدمة الاولى) (٩) . وتبدي الوطن تعاطفا قويا مع موقف الفلسطينيين وتعبر عن ذلك في مقال افتتاحي خصصته لهذا الحدث تقول : (اننا في الوقت الذي نأسف فيه اشد الاسف على ما يراق في تلك البلاد المقدسة من الدماء في سبيل الجشع الاستعماري لا يسعنا الا أن نعلن اعجابنا الشديد بهذه الروح المباركة التي سرت في الشرق كله وتجلت في فلسطين بحالة تبشر بأطيب الآمال .. ولئن استطاع الغرب اليوم أن يتجاهل تلك القوة المعنوية فسيرغمه ثبات الشرق وتضامنه عل ىاحترام حقوقه وتقدير نهضته) (١٠) .

وتنتهز الاهرام فرصة زيارة بلفور لفلسطين كيما توجه نقدها للعرب وتستخرج من هذه الزيارة عبرة جديرة بكل شعب مطالب بحق أن يحتذيها (١١) . تقول الاهرام (ليس من الصواب أن يقال أن تصريح بلفور كان القوة العظمى التي استمدها الصهيونيون لتحقيق امانيهم فالتصاريح الرسمية ليست هي العامل الجوهري في تحقيق اطماع الامم بل القوى الكامنة في نفسها والوسائل التي تستخدمها لتحقيق هذه المصالح . وليس تصريح بلفور سوى احدى هذه الوسائل فلو عدم الصهيونيون وسائلهم الاخرى لانطفأت جذوة الصهيونية منذ ظهرت الشرارة الاولى فيها . ثم ان تصريح بلفور جاء بعد رسائل مكماهون . ومهما قيل فيه فهو تصريح مطاط قابل للتفسير والتأويل ، أما رسائل مكماهون فانها صريحة جلية لا تقبل تفسيرا ولا جدلا في شأن فلسطين . ومع ذلك فقد استخرج الصهيونيون من تصريح بلفور أكثر مما فيه كثيرا، ولم يستطع العرب أن يستفيدوا من رسائل مكماهون غير ما يشبه تمثيل الروايات

لتسلية المتفرجين .. نعم ان للانجليز سياستهم وان لهم الفضل كله في حماية جنود الصهاينة الدائبين على بناء الوطن القومي . ولكن الانجليز قوم لا يخلقون الفرص بل ينتهزونها ، ولو كان للعرب كفاية الصهيونية لرأينا منذ مدة بعيدة تفسيرا لتصريح بلفور يلقيه في سلة المهملات ولتحولت رسائل مكماهون الى معاهدة دولية جليلة تقرر نظاما راسخا يشمل جزيرة العرب كلها . وما الذنب في ذلك ذنب الانجليز الذين تهمهم مصلحتهم وحدهم ولا ذنب الصهيونيين الذين يطلبون وطنا لمن لا وطن له ، بل ذنب الذين ناموا عن تصاريف الزمن واضاعوا كل فرصة سانحة مع انهم عرفوا احلام الصهيونيين منذ رسمها لهم زعمائهم) (١٢) .

وهناك بعض الصحف المصرية مثل صحيفة الاتحاد لم يثر اهتمامها ردود الفعل القوية التي احدثتها زيارة بلفور لدى الفلسطينيين وسائر العرب بل تناولتها من الزاوية المضادة واشارت الى اهميتها كدعامة معنوية لمؤسسي الوطن القومي اليهودي في فلسطين . بل عزت اليها الاهمية الدولية التي اكتسبتها المسألة الفلسطينية (اذ اصبحت ضمن المسائل الدولية التي تهم العالم بأسره) (١٣) ، واتخذت منها منطلقا للاشادة بالتقدم والعمران الذي بلغته فلسطين حتى أصبحت (كعبة القصاد من المهاجرين ذوي المطامع الواسعة) . وأبرزت الاتحاد في مقالها الذي نشرته نقلا عن صحيفة الطان الفرنسية الفوائد الجمة التي تعود على فلسطين من وراء الهجرة اليهودية خاصة (وانه قد اختير المهاجرون من خلاصة اليهود واشدهم ذكاء وأقدرهم على العمل فاذا ما وطئت اقدام هؤلاء المهاجرين ارض فلسطين وزعوا على المدائن والقرى وروعي في توزيعهم كفائتهم واستعدادهم لمختلف الاعمال . ولقد زار اللورد بلفور كثيرا من هذه الاراضي التي يستعمرها شبان اليهود فلم يسعه حين راها الا أن يجهر بهذه الحقيقة وهي ان اليهودي قد تحلى من الصفات بما يمكنه من تحويل الارض المجدبة الى ارض خصبة تدر الخير على زارعيها) (١٤) .

والواقع أن ردود الفعل التي أحدثتها زيارة بلفور لفلسطين لم تقتصر على أهل فلسطين فحسب بل قامت جميع بلاد الشام تقاسمها أحزانها وتشاطرها شعورها ، وبزت دمشق الجميع فلم تحجم منذ اعلنت زيارة بلفور عن ارسال الاحتجاج تلو الاحتجاج والنداء تلو النداء مطالبة بحق مهضوم وبرفع غبن الحق بشعب شقيق (١٥) ، ان موقف دمشق الاخير يعيد الى الذاكرة موقف فلسطين سنة ١٩١٩ ، يوم قدمت لجنة المستر كرين الامريكية لاستفتاء السوريين والفلسطينيين في نوع الحكم الذي يختارونه، فقد طافت فلسطين من اقصاها الى اقصاها واجتمعت بشيوخها وشبابها فسمعت منهم جوابا واحدا (اذهبوا الى دمشق) واسألوا قادتهم الراي فنحن لهم تابعون وبكل ما يقرونه راضون . هذا هو الموقف الذي وقفته فلسطين يوم نزلت بلادها لجنة كرين وضربت للبلاد العربية مثلا عاليا في الاتحاد والتضامن . وقد دلت زيارة بلفور لفلسطين على ان الروح التي سرت في بلاد العرب سنة ١٩١٩ لا تزال صحيحة سالمة سنة ١٩٢٥ ووقفت دمشق نفس الموقف الذي وقفته يومئذ تنادي ان بلاد الشام وحدة لا تتجزأ وان فلسطين تلك للفلسطينيين دون سواهم (١٦) .

وقد علقت صحيفة الحساب لسان حال الحزب الشيوعي المصري على زيارة بلفور لسوريا كتبت تقول : (كأن لم يكفه ما فعلته زيارته لاهالي فلسطين واي تذكار مؤلم تركه في انفسهم فاراد ان يتسلى بنفسه بين أهل سوريا ويتلهى بأن يتفرج على عذابهم والمهم عندما يزورهم **بائع شقيقة بلادهم للمستعمرين من اليهود** (١٧) ، وقد استعرضت الصحيفة وقائع المطاردة العنيفة التي قامت بها الجماهير السورية واللبنانية في كل من دمشق وبيروت ضد اللورد بلفور مما اضطره الى الفرار من المدينتين المذكورتين طلبا للنجاة) .

أما الحدث الثاني الذي ارتبط بافتتاح الجامعة العبرية فهو اشتراك مصر في الاحتفال بافتتاح الجامعة بايفاد الاستاذ لطفي السيد مدير الجامعة المصرية مندوبا رسميا عنها . وقد أثار اشتراك

مصر في افتتاح الجامعة الصهيونية عاصفة من الاحتجاج من جانب الفلسطينيين عبرت عنها الصحف الوطنية في فلسطين وكثير من القيادات الوطنية (١٨) . وقد حاول الاستاذ لطفي السيد استدراك الامر فقام بزيارة للمعاهد الاسلامية كما أصدر بيانا رسميا أعلن فيه الظروف والملابسات الدقيقة التي احاطت بمهمته في القدس خصوصا وأن الدعوة صادرة من معهد علمي من المفروض انعدام صلته بالسياسة كما هو شأن الجامعات العلمية . ولكنه أبدى ارتيابه من المبالغة التي أحيط بها الاحتفال بافتتاح الجامعة العبرية مما ينطوي على الترويج للدعوة الصهيونية . ومما أكد له ذلك ما نمى الى علمه من ان لغة الجامعة هي اللغة العبرية .. ولذلك امتنع من القاء كلمته في الاحتفال حتى لا يفهم من ذلك تأييد مصر للعنصر الصهيوني وتفضيله على العنصر العربي في فلسطين (١٩) .

والواقع أن الدعوة لحضور احتفالات الجامعة العبرية لم تقتصر على الحكومة المصرية فحسب بل وجهت دعوة مماثلة الى الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية سابقا وكذلك الدكتور أحمد زكي باشا فأهملاها ولم يردا عليها وقد ذهب فريق من يهود مصر الى الشيخ بخيت ورجوه باسم العلم أن يحضر تلك الحفلة فاعتذر بكبر السن ومشقة السفر فألحوا عليه وعرضوا عليه تسهيلات كبيرة في السفر فلما ضاق بهم ذرعا أوضح لهم بأنه لا يستطيع أن يحضر احتفالا يسيء الى أهل فلسطين الذين هم في حالة حداد بسبب هذه الجامعة (٢٠) .

وقد استغلت الدوائر الصهيونية حضور لطفي السيد لحفل افتتاح الجامعة العبرية من الناحية الدعائية الى مدى بعيد وشاركتها في ذلك وكالات الانباء الاوروبية والصحف والاذاعات حتى أن رويتر لم تذكر من أسماء من حضروا تلك الحفل الا اسم لطفي السيد ، كذلك علقت صحيفة (باليستين ويكلي) الصهيونية على ذلك بقولها (ان حضور مندوب مصر هذه الحفلة كان دليلا على أن مصر العاقلة لا ترى في الصهيونية راي أهل فلسطين) (٢١) . كما أشاد

اليهود المصريون باشتراك مصر في افتتاح جامعتهم بالقدس وقد نوه يوسف بوتشو عضو مجلس الشيوخ المصري وأحد اليهود المشتركين في احتفالات الجامعة العبرية بعطف الحكومة المصرية على القضية الصهيونية واستشهد على ذلك بارسالها صاحب العزة أحمد لطفي السيد مندوبا من الجامعة المصرية (٢٢) .

هوامـــــــــش

١ ـ السياسة ١٩٢٥/٤/٤ .
٢ ـ المصدر السابق
٣ ـ المصدر السابق .
٤ ـ كوكب الشرق ١٩٢٥/٤/٤ افتتاح الجامعة العبرية بالقدس .
٥ ـ كوكب الشرق ١٩٢٥/٤/٤ .
٦ ـ المصدر السابق ص ٢٢٤ .
٧ ـ البلاغ ١٩٢٥/٤/١٢ .
٨ ـ البلاغ ١٩٢٥/٣/٢٥ اللورد بلفور وفلسطين .
٩ ـ المقطم ١٩٢٥/٤/١١ بلفور في القدس ودمشق ١ ، ٦م كامل خلــه مصدر سابق ص ٣٠٩ .
١٠ ـ الوطن ١٩٢٥/٥/٢٩ الحركة الفلسطينية مقال افتتاحي .
١١ ـ الاهرام ١٩٢٥/٣/٣٠ تعليق على زيارة بلفور لفلسطين .
١٢ ـ المصدر السابق .
١٣ ـ الاتحاد ١٩٢٥/٥/١٧ الحركة الصهيونية في فلسطين .
١٤ ـ الاتحاد المصدر السابق .
١٥ ـ المقطم ١٩٢٥/٤/١١ .
١٦ ـ المصدر السابق بلفور في القدس ودمشق .
١٧ ـ الصباب ١٩٢٥/٤/١٧ .
١٨ ـ المقطم ١٩٢٥/٣/٣١ برقيات احتجاج (انظر الملحق) رقم ١١ .
١٩ ـ كوكب الشرق ١٩٢٥/٥/٥ لطفي السيد يدافع ويعتذر (انظر الملحق) .
٢٠ ـ الشورى ١٩٢٥/٥/١ .
٢١ ـ كوكب الشرق ١٩٢٥/٥/٥ مصدر سابق .
٢٢ ـ المقطم ١٥ ابريل ١٩٢٥ .

المبحث الثـــالث

قضيـــة الاراضي

قضية الاراضي :

كان احد الاهداف الاساسية للبعثة الصهيونية التي قدمت الى فلسطين في ابريل ١٩١٨ « أن تسهل عملية شراء اليهـود للاراضي في فلسطين . ولم تعترض الادارة العسكرية البريطانية في ذلك الوقت على عمل البعثة وتمت بالفعل عمليات بيع لكنها لم تسجل الا في عـام ١٩٢٠ . وفي اكتوبر من نفس العام اصـدر هربرت صموئيل قانون انتقال الاراضي لسنة ١٩٢٠ الذي قضى بضرورة اخذ موافقة الحكومة على كل انتقال يجري في الامـوال غير المنقولة ومنع انتقال الاراضي لغير سكان فلسطين وكان هدف هربرت صموئيل من ذلك ان يسهل عملية شراء اليهود للاراضي وان يمنع فئة الملاك الغائبين الذين كانت لهم أراض واسعة في فلسطين من شراء مساحات أخرى من الارض (١) . وفي اول فبراير ١٩٢١ صدر قانون انتقال الاراضي لسنة ١٩٢١ وقد نص ايضا على ضرورة موافقة الحكومة على كل انتقال يجري في الاموال غير المنقولة واشترط عدم منح تلك الموافقة الا اذا كان مدير الاراضي مقتنعا بأن المستأجر الذي يشغل الارض قد احتفظ لنفسه في تلك المنطقــة او غيرها بمساحة من الارض تكفي لمعيشته ومعيشة عائلته . وقد اعتبر العرب هذا القانون محاولة لخفض اسعار الارض ولتــهيل انتقال الاراضي المعروضة للبيع الى ايدي اليهود » (٢) .

هذا من ناحية ومن ناحية اخرى استخدم المندوبون الساميون مطلق صلاحياتهم في اصدار التشريعات الخاصة باجراءات نـزع ملكية الارض العربية بالذات دون اليهودية . واستنادا الى قانون تمليك الاراضي للجيش سنة ١٩٢٠ قامت حكومة الانتداب بنزع

ملكية الكثير من الاراضي العربية بحجة المشاريع العمومية (٣) . كما انها لم تصدر أي قانون لحماية المزارعين الذين تعرضوا للطرد من الاراضي التي باعها الملاك الغائبون من الاسر الاقطاعية في سوريا ولبنان ، وذلك رغم أن حكومة الانتداب أصدرت في مارس ١٩٢٩ قانون حماية المزارعين الذي نص على وجوب دفع تعويض للمزارعين الذين سيتعرضون لاخلاء أراضيهم مقابل الازعاج الذي يلحق بهم والتحسينات التي أجروها في تلك الاراضي ، ولكن هذا القانون اغفل كل الاعتبارات الاخرى الهامة مثل تقدير التعويض واشتراط احتفاظ المزارع بقطعة أرض يعيش منها . فهو لم يزد عن كونه قانونا لمنع الازعاج وليس التعويض عن الازعاج على حد قول السير جون هوب سمبسون في تقريره المعروف (٤) ١٩٣٠ . ومهما يكن فان لجنة التحقيق الملكية قد اعترفت في تقريرها بأن جميع القوانين التي صدرت بخصوص حماية المزارعين العرب قد عجزت عن تحقيق الاغراض التي سنت من أجلها ، وهي حماية المزارعين العرب وصغار الملاك ، وظهر انها غير قابلة للتطبيق بالفعل .

وفي الوقت الذي لم تطبق الحكومة البريطانية فيه اي قانون لصالح المزارعين العرب او حمايتهم فانها لم تتوان عن فرض ضرائب أثقلت كاهل الفلاحين الى حد كبير . وقد استبدلت بضريبة الويركو على الاراضي والبيوت وضريبة الاعشار على الاملاك الواقعة في المدن ضريبة واحدة أسمتها ضريبة الاملاك في المدن لعام ١٩٢٨ ، وكانت في البداية تبلغ ١٢٪ من قيمة الايجار ثم خفضت الى ٩٪ نتيجة لاحتجاجات الاهالي واعتراضاتهم ، ثم رفعت الى ١٥٪ في ابريل ١٩٣٢ (٦) . وقد زاد الامر سوءا بالنسبة للفلاحين العرب اقبال الملاك الغائبين على بيع اراضيهم في فلسطين لليهود منذ بداية العشرينات . وقد أوضح تقرير سمبسون أن المستعمرات الصهيونية الجديدة كانت تخلق في اصرار طبقة عربية لا أرض لها .

وقد شغلت الصحافة العربية في فلسطين والمحافل السياسية الوطنية بهذه المسألة التي كانت بدايتها بيع خمس قرى تابعة لقضاء

صفد يملكها آل سرسق وتبلغ مساحتها ٢٣٠ الف دونم الى اليهود. وقد تابعت المقطم هذا الموضوع ونقلت الى القراء مدى الجزع الذي أصاب أهل القرى الخمس عندما بلغهم خبر البيع والاحتجاجات التي قدموها الى المندوب السامي والى الصحف علاوة على الاحتجاج الذي رفعته اللجنة التنفيذية العربية الى الحكومة . وقد انفردت المقطم بسرد الحجج التي يستند اليها أهالي القرى العربية في ملكيتهم لهذه الاراضي : فهم يقولون : (ان اراضي قراهم تحت تصرفهم منذ الفتح الاسلامي . ولم تزل كذلك الى يومنا هذا أما تسجيلها لبيت سرسق فالسبب يرجع الى أن اصحاب الاراضي كانوا يتعرضون للظلم من جانب الحكام وضامني الاعشار . فكان بعضهم يقصد الى ذى جاه وحرمه ويتفق معه على أن يسجلها باسمه وله من غلتها جزء معين على أن يدفع ظلم العشارين (٧) كذلك يحتج هؤلاء الاهالي بأن مساحة الاراضي المسجلة لبيت سرسق هي دون ما بأيديهم من الارض فكيف يسمح لسرسق أن يبيع الارض كلها ؟ (٨) . ورغم احتجاجات الاهالي وجهود اللجنة التنفيذية المصرية فان التسجيل قد تم في نوفمبر ١٩٢٤ .

ولقد شغلت مأساة عرب الحوارث والوسائل اللاانسانية التي استخدمت في اجلائهم عن أراضيهم اهتمام الصحف المصرية على اختلاف اتجاهاتها . فقد اشارت المقطم الى أن الحكومة البريطانية قدرت مساحة تلك الاراضي بـ ٣٠٫٨٢٦ دونما (٩) . بينما هناك مصادر أخرى قدرتها بأربعين الف دونما (١٠) . وكانت تلك الاراضي مسجلة باسم أسرة الشبان البيروتية وطرحت للمزاد العلني في ابريل ١٩٢٩ بأمر من محكمة مركزية نابلس وفاء لبعض الديون على أسرة الشبان اشتراها الكبرن الكايمست وسجلت باسمه في ٢٧ مايو ١٩٢٩ (١١) ، وقد طلبت السلطة الانتدابية من عرب وادي الحوارث أن ينتقلوا من أراضيهم الى ما بين المستعمرات اليهودية لتشغيلهم في تعبيد الطرق . واشترطوا لذلك عدم تقويض خيامهم وأن تبقى

عائلاتهم في تلك الخيام في اراضي الوادي . ولكن السلطة ابت الا ان ينقلوا خيامهم وعائلاتهم الى حيث يشتغلون . ورأى العرب في ذلك حيلة لاجلائهم عن الارض فرفضوا ، ولذلك أعلمتهم السلطة بأنها قطعت عنهم اعانة الحبوب التي كانت تقدمها اليهم فلم يكترثوا وفضلوا الجوع على مغادرة اراضيهم (١٢) . وقد هب أهل البلاد لاغاثة هؤلاء البائسين وقدموا لهم التبرعات واحاطوهم بعطف صادق ، ولكن لم يكن هذا كافيا لحل مشكلتهم . وهنا طرحت عدة حلول لمشكلة عرب الحوارث ، أولها يقترح رجوعهم الى اراضيهم السابقة وعدم الاعتراف بالامر الواقع ، وثانيها خاص بقبولهم الاراضي التي اعطتهم اياها الحكومة في تل الشوك ، وثالثها يقترح شراء اراض كافية في قضاء بني صعب لاسكانهم فيها حتى يظل العرب على مقربة من الساحل الذي اكتسحه اليهود (١٣) ، وتقترح صحيفة البلاغ اختيار أحد الحلين الاخرين لاستحالة الحل الاول . وقد اصدرت اللجنة التنفيذية العربية بيانا جاء فيه : (ان كارثة وادي الحوارث انما هي كارثة فلسطين في أولى حلقاتها فان لم تقف البلاد امام هذه الخطوة الاولى من سياسة الاجلاء والابادة فستكون الخطوات الآتية اشد اثرا وأبعد مفعولا) (١٤) .

وقد اصدرت حكومة الانتداب بيانا تبرر فيه موقفها تجاه عرب الحوارث .

وتسند تشردهم الى القانون على اساس أن رئيس محكمة مركزية نابلس قد اصدر في نوفمبر ١٩٢٩ أمرا باخراج العرب الذين حصلوا على تعويضات نقدية من صندوق رأس المال القومي اليهودي . اما سكان الجزء الجنوبي فقد خولتهم الحكومة الرجوع الى مساحة قدرها ٦٠٠٠ دونما لم يبت في ملكيتها بعد . ويشير بيان الحكومة الى انها وفقت في الحصول على مزارع لائقة لاسكان القسم الشمالي من قبيلة الحوارث في قضاء بيسان وهؤلاء تنتهي مدة تواجدهم في وادي الحوارث في ٣١ اغسطس ١٩٣٣ . وايضا لسكان القسم الجنوبي الذين رفضت المحكمة العليا دعوى ملكيتهم

لل ٦٠٠٠ دونما . وقد منحت القبيلة مدة أسبوعين للاجابة على هذا العرض الذي تقدمت به الحكومة . وقد اوضحت عدم رغبتها في قبوله (١٥) .

وتعلق البلاغ على بيان الحكومة قائلة : (اننا نرى من هذا البيان ان الحكومة اغفلت وصف اخراج هؤلاء العرب بالقوة المسلحة الانجليزية تعاونها القوة اليهودية . الامر الذي لم يغفل عنه عرب الحوارث فأعدوا ردا وطويلا على بيان الحكومة سينشرونه في مشارق الارض ومغاربها لكي يطلعوا العالم على حقيقة المأساة التي تمت وعلى حقيقة المناورة التي تقوم بها الحكومة مع اليهود) (١٦) .

وقد جعلت الحركة الوطنية الفلسطينية في راس مطالبها وقف بيع الاراضي وانتقالها الى الصهيونيين (١٧) ، كما جعلت الحركة الصهيونية في مطالبها السماح بانتقال الاراضي وتسهيل عملية انتقالها (١٨) .

ورغم أن مشكلة الاراضي كانت من الاسباب الاساسية لانتفاضات ١٩٣٣ ، ١٩٣٥ وثورة ١٩٣٦ اذ ان العرب كانوا ينظرون بعين القلق والارتياب الى الاراضي الواسعة التي انتقلت الى ايدي اليهود كما كانوا يخشون ان تتسرب اراض اخرى الى ايدي هؤلاء بسبب ارتفاع الاسعار وضعف بعض مواطنيهم (١٩) ، رغم كل ذلك فان أساليب الحركة الوطنية الفلسطينية لمقاومة بيع الاراضي لم تخرج عن الاحتجاجات والنداءات والعرائض وذلك في غير فترات الانتفاضات . ولذلك تزخر الصحف المصرية بكثير من النداءات التي كانت توجهها الهيئات والافراد لحث الشعوب العربية على درء الخطر الذي تتعرض له أراضي فلسطين وشعبها العربي (٢٠) .

وقد كانت الفتاوى احدى الاساليب التي لجأت اليها الحركة الوطنية الفلسطينية لمحاربة بيع الاراضي فضلا عن الوعاظ والمرشدين الذين كان مفتي فلسطين يقوم بايفادهم الى القدس كي

يعظوا الفلاحين للاحتفاظ بأراضيهم وعدم الاستجابة لاغـراءات السماسرة (٢١) . وكثيرا ما كان يعمد مفتي فلسطين الى عقد اجتماعات تضم علماء ووجهاء ومخاتير القرى ، حيث يلقي بعض الخطب التي ينوه فيها بالاخطار التي تتهدد البلاد من جراء بيوع الاراضي ، وكان في معظم خطبه يستشهد بأحاديث دينية كانت تسفر في بعض الاحيان عن ابطال بعض الاتفاقات لبيع الاراضي وتحد من الدور الذي كان يلعبه المخاتير كسماسرة ووسطاء (٢٢) ، ولكن مما يؤسف له أن هذا الاثر كان محدودا بسبب كونه نتج عـن مجهودات فردية جاءت متأخرة بعد أن كان اليهـود قد اشتروا واستولوا على أخصب المناطق في فلسطين .

هوامــــــش

١ ــ كامل خلـه مصدر سابق ص ٤٨٧ .

٢ ــ تقرير اللجنة الملكية لفلسطين ــ مصدر سابق ص ٢٩٠ .

٣ ــ السياسة الاسبوعية ١٩٢٨/٢/٢٥ .

٤ ــ اللجنة الملكية ص ٢٩٦ .

٥ ــ المصدر السابق ص ٢٥٩ .

٦ ــ عبد الوهاب الكيالي : وثائق المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال البريطانـي والصهيونية ١٩١٨ ــ ١٩٣٩ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ــ بيروت ١٩٦٨ ص ٤٥٧ .

٧ ــ المقطم ١٩٢٤/٩/١٦ .

٨ ــ المصدر السابق

٩ ــ المقطم ١٩٣٣/٩/٨ .

١٠ ــ اميل الغوري : ١٥ آيار ١٩٤٨ ــ دار النشر العربية ــ بيروت ١٩٥٩ ــ ٥٨ ــ ٦٦ .

١١ ــ الاهرام ١٩٣٠/١/١٢ .

١٢ ــ الاهرام ١٩٣٢/٦/١٠ .

١٣ ــ البلاغ ١٩٣٣/٧/٤ .

١٤ ــ البلاغ ١٩٣٣/٩/٩ .

١٥ ــ المصدر السابق .

١٦ ــ البلاغ ١٩٣٣/٩/٩ .

١٧ ــ البلاغ ١٩٣٣/٧/٢٦ .

١٨ ــ الاهرام ١٩٣٣/٥/١ ٢٠ مليون جنيه لشراء فلسطين .

١٩ ــ الاهرام ١٩٣٣/٥/١ .

٢٠ ــ المصدر السابق .

٢١ ــ عبد الوهاب الكيالي : وثائق ــ مصدر سابق (يندر آن تخلو من هذا المطلب مذكرة أو احتجاج) .

٢٢ ــ اللجنة الملكية لفلسطين : مصدر سابق ، مطالب العرب واليهود وظلاماتهم ص ١٨٨ ، ٤٧٦ .



٥

الحركة الوطنية الفلسطينية

الصحافة المصرية والحركة الوطنية الفلسطينية : ـ

بدأت الصحف المصرية تتابع صدى الانتداب البريطاني ووعد بلفور لدى الشعب الفلسطيني منذ مظاهرة القدس ١٩٢٠ . وقد تباينت مواقف الصحف وحجم اهتمامها ومتابعتها لنشاط الحركة الوطنية الفلسطينية. فالاهرام بدأت تتابع ملحمة الثورة الفلسطينية من اضرابات ومظاهرات ومحاكمات أشارت اليها الاهرام بالتفصيل وفي حينها. ومنذ اضطرابات يافا سنة١٩٢١ اهتمت البلاغ بالتعليق على أحداث الثورات والانتفاضات الوطنية في فلسطين . وقد تصاعد هذا الاهتمام منذ أحداث البراق سنة ١٩٢٩ . وكانت البلاغ تهتم بابراز النشاط الوطني في الريف الفلسطيني بقدر اهتمامها بمتابعة نشاط اللجنة التنفيذية العربية واجتماعاتها ونشاط الوفود الفلسطينية التي كانت تذهب الى لندن لتقديم الاحتجاجات والعرائض (١) . وكانت البلاغ تبدي تعاطفا واضحا مع اللجنة التنفيذية العربية وتضع ثقتها في الزعامات التقليدية للحركة الوطنية . كما نقلت ولاءها الى الحزب العربي الفلسطيني الذي يعد التطور التنظيمي لمجموعة المجلسيين بزعامة جمال الحسيني . وكانت كوكب الشرق تركز على الانتفاضات والهبات الوطنية أكثر من المتابعة اليومية لنشاط الحركة الوطنية الفلسطينية ، وقد كان اهتمامها باضطرابات سنة ١٩٣٣ وانتفاضة القسام سنة ١٩٣٥ يفوق الصحف المصرية الاخرى . وكانت كوكب الشرق تحرص على ابراز مساوىء السياسة البريطانية في فلسطين والجانب العدواني الاستفزازي للحركة الصهيونية وتأثير ذلك على الحركة الوطنية الفلسطينية . (٢)

أما « السياسة » فقد اتخذ اهتمامها طابع المقالات التحليلية ، وقد اتخذت موقفا معاديا للجنة التنفيذية العربية وخاصة بمجموعة المجلسيين وكانت تبدي تأييدا واضحا لجماعة المعارضة والنشاشيبية . وكانت مقالاتها تحمل هجوما ونقدا لسياسة اللجنة التنفيذية العربية وتبدي تعاطفا مقنعا وغير مباشر لسياسة التعاون مع الانتداب البريطاني ، وقد كان هذا خط المعارضة الذي كان يتزعمه آل النشاشيبي (٣) . وصحيفة الاتحاد كانت تتبنى موقفا معاديا للحركة الوطنية وتشن هجوما متواصلا عليها بسبب تشددها ازاء حكومة الانتداب وكانت تروج لسياسة التفاهم بين العرب واليهود ، وبناء على ذلك لم تؤيد الانتفاضات الوطنية في فلسطين . (٤)

أما صحيفة « الشورى » فقد حملت لواء الدفاع عن مبادرات الحركة الوطنية الفلسطينية وتصدت للهجوم الذي كانت تشنه الصحف الصهيونية والصحف المعادية للحركة الوطنية الفلسطينية في مصر ، وكان الامير شكيب أرسلان ونسيم صبيعة ومحمد علي الطاهر من أبرز كتاب الشورى في هذا الصدد (٥) .

تناولت صحيفة السياسة بالنقد العهد القومي الفلسطيني الذي ارساه المؤتمر الفلسطيني الخامس الذي عقد سنة ١٩٢٢ ويتكون هذا العهد من ثلاثة اهداف اساسية هي نيل الاستقلال التام ومقاومة مشروع الوطن القومي اليهودي والسعي الى تحقيق فكرة الجامعة العربية ، تغاضت « السياسة » عن الهدفين الاولين باعتبارهما موجهين لمقاومة بريطانيا والصهيونية في فلسطين ، أما الهدف الثالث فقد علقت عليه بافاضة وتفنيد يفصح عن اتجاهها الفكري المعروف من فكرة العروبة والوحدة العربية . فهي انطلاقا من مدرسة القومية المصرية تؤيد أو تتعاطف مع الحركة الوطنية الفلسطينية في اطارها القومي الاقليمي وليس ضمن الاطار العربي ، ولذلك نراها تكتب : (نحن وان كنا نقدر الفكرة قدرها من الوجهة المعنوية الا انه يلوح لنا مع ذلك ان الجامعة العربية فكرة اكثر ما

تستند اليوم الى الخيال وان فلسطين تأخذ بالتفكير فيها على نفسها عبثا ليس عليها ان تأخذه وانها قد تصدع من متانة الحركة الوطنية الفلسطينية . وانّ لفلسطين من الانجليز واليهود في فلسطين ذاتها خصوما قادرين) (٦) .

فالسياسة ترى ان حلم الجامعة العربية الذي لوح به الانجليز والفرنسيون للعرب اثناء الحرب العالمية الاولى يعني الا تتفرغ فلسطين الى شئونها الخاصة ، بل سوف يدفعها ذلك الى التحالف مع سوريا ضد فرنسا ومع العراق ضد بريطانيا ، وقد تتحالف مع سواها أيضا . وتتخذ السياسة من هجومها على فكرة الجامعة العربية منفذا للهجوم على الحركة الوطنية الفلسطينية موجهة اللوم الى اللجنة التنفيذية العربية واسلوب عملها وانها لا زالت تتمسك بالاسلوب التقليدي في مقاومة الانجليز والصهيونية ، في حين ان (عقلية الامة قد صقلتها الاحداث واستقر مركز بريطانيا في فلسطين خلال الخمسة اعوام التي مضت على العهد القومي السالف الذكر ، وان فكرة التعاون مع الانجليز واليهود اصبحت ماثلة في كل الدوائر العربية ما عدا اللجنة التنفيذية التي لا زالت متمسكة بفكرة الاستقلال التام) (٧) . وتتحدث السياسة عن الازمة التي تجتازها اللجنة التنفيذية العربية في نهاية العشرينات . وتبدي عدم اقتناعها بأن يكون سبب هذه الازمة هو قلة الموارد المالية مما يعوق اللجنة عن القيام بمسئولياتها ازاء القضية الوطنية ، ولكن ترى ان هذا الضعف الذي تعاني منه اللجنة التنفيذية انما يرجع الى (ان مبادىء اللجنة لم تكن عملية من بادىء الامر وان تقهقر اللجنة عن مبادئها الاولى أسبغ على راي خصومها في رجاحة قوية) (٨) .

ونقصد بالخصوم اي فريق المعارضة الذي يحبذ التعاون مع الانجليز واليهود على أساس الحقائق السياسية الراهنة وانتهاج سياسة (خذ وطالب) . والسياسة بموقفها هذا من الحركة الفلسطينية انما تعبر بأمانة عن مبادىء الاحرار الدستوريين وموقفهم في الحركة الوطنية المصرية . وفي ضوء ذلك يتضح لنا الاساس

الايديولوجي لموقف صحيفة السياسة لسان حال الاحرار الدستوريين من الحركة الوطنية الفلسطينية ممثلة في اللجنة التنفيذية العربية . ويمكننا تجاوزا أن نعتبر ان اللجنة التنفيذية العربية أو جماعة المجلسيين على وجه التحديد الوجه الاخر للوفد في فلسطين وجماعة المعارضة (النشاشيبية) هي الوجه الاخر للاحرار الدستوريين هناك، وذلك مع مراعاة تماثل الاطراف الفكرية والمواقف السياسية التي تحكم كل فريق من هؤلاء والفريق المماثل له رغم اختلاف الانتماءات الطبقية . وعلى هذا الاساس يتحدد موقف صحيفة السياسة . فهي تعترض بشدة على مقاطعة اللجنة التنفيذية لانتخابات المجلس التشريعي ١٩٢٣ متبنية وجهة نظر المعارضة التي ترى ان التنفيذين قد ضيعوا فرصة نادرة لاطلاع الحكومة المنتدبة على مطالب الامة وميولها من خلال هذا المجلس (٩) .

وتواصل السياسة هجومها على اللجنة التنفيذية العربية في فلسطين استمرارا لموقفها من الوفد والصحف الوفدية في مصر . فهي توجه نقدا لاذعا لشعار الاتحاد الوطني الذي رفعته اللجنة سنة ١٩٣١ قائلة : (ان في ظل هذا الاتحاد تحاك الدسائس الحزبية وفي ظله يعمل مشرط الفناء في جسم الامة وفي ظله تنهار صرح المسئوليات ويتداعى من ذلك أن الزعماء الذين يتولون قيادة الحركة الوطنية مثقلون بقيود لا تتوافر معها شروط الزعامة وان اللجنة التنفيذية يقعدها عن العمل الجدي ما هنالك من تاليف مفكك غير طبيعي ويقعدها اكثر ما يطمع اليه المتنافسون في اظهارها بمظهر المتاثر بنزعة حزبية خاصة دون نزعة حزبية أخرى) (١٠) .

وتحرص « البلاغ » من موقف التعاطف والتأييد الكامل للحركة الوطنية الفلسطينية على ابراز نشاطاتها في مختلف الميادين وخصوصا في الريف وتركز على القرارات التي اتخذها المؤتمر القروي الذي عقد في يافا ، وانها لم تقف عند (حد مضادة وعد بلفور بل تعدته بمراحل) (١١) . وحرصا على تأكيد اهمية هذا

المؤتمر اشارت البلاغ الى أن الريف الفلسطيني يشكل ٦٠٪ من سكان فلسطين وان المستعمرات اليهودية الزراعية خارج المدن لا يزيد عدد من بها من اليهود عن ٢٥ الفا وان اقل هذه المستعمرات توجد حول القدس وأوسطها شمالي يافا . وتهدف البلاغ من ذكر هذه المقارنة العددية الى توضيح أن مصالح المستعمرات وعددها ليست بالشيء الذي يخشى منه ازاء ما يمثله اهل البلاد الاصليون وخصوصا سكان الريف . وقد برهن المؤتمرون على ادراك رفيع للمسائل السياسية ومدى ارتباطها بحياتهم الاقتصادية وشئونهم العامة ، ولهذا فقد ايدوا جميع قرارات اللجنة التنفيذية العربية والمجلس الاسلامي الاعلى وسائر الهيئات الوطنية في قراراتها الخاصة بالغاء وعد بلفور وضرورة انشاء حكومة نيابية وتحديد الهجرة ، وأضافوا الى ما سبق مطالبة الحكومة بالمصاريف الزراعية واجتناب الربا الفاحش واعفاء حاصلات الفلاح من الضرائب (١٢) .

وتتعمد كوكب الشرق ابراز استهتار السياسة البريطانية بحقوق العرب واحتقارها لهم باصرارها على اقامة الوطن القومي اليهودي على انقاضهم وتبجح اليهود بالاقوال المثيرة والسلوك الاستفزازي ضد العرب في فلسطين ومدى تأثير كل ذلك على الحركة الوطنية الفلسطينية. ويستشهد محمد علي الطاهر في احدى مقالاته بتصريحات الزعماء اليهود التي يدور معظمها حول ضرورة تحويل فلسطين الى دولة يهودية كما أن بريطانيا بريطانية وكندا كندية وان وجود اليهود في فلسطين هو حق وليس منحة وان واجب الحكومة البريطانية من اجل الاسراع في انشاء الدولة اليهودية أن تنزع سلاح الاهالي العرب وتحول دون تأليف البرلمان وانشاء الحكومة الوطنية الى أن يصبح اليهود اكثرية . . الى اخر هذه التصريحات الاستفزازية ، ويشير الكاتب الى تصريح ادلى به جابوتنسكي امام لجنة التحقيق التي شكلتها الحكومة البريطانية برئاسة القاضي

البريطاني هيكرالت للتحقيق في اضطرابات يافا سنة ١٩٢١ عندما أبدى اندهاشه من مكافحة حكومة فلسطين للملاريا قائلا (هل جئنا فلسطين لنطيل أعمار العرب) (١٣) .

وقد أورد الكاتب هذا المثل كي يدلل على مدى الضغينة والحقد الذي ينضح به سلوك اليهود ازاء العرب . ولا يفوت الكاتب ان يشير الى أن أهل فلسطين قد ادركوا في النهاية قواعد المأساة ، وهي ان القتال بينهم وبين اليهود لا ينتج منه الا قيام الانجليز بالتنكيل بالشعب العربي بحجة (حفظ النظام والقيام بالالتزامات الدولية) ، ولذلك تأكدوا من أن أصل البلاء هو الاستعمار البريطاني الذي اتى بالصهيونية وضمن لها الرعاية والحماية (١٤) .

وتفسر كوكب الشرق موقف الحركة الوطنية الفلسطينية وسبب اتجاهها في البداية لمقاومة الصهيونية وليس لمقاومة الانجليز رغم انهم هم الذين أصدروا وعد بلفور فتقول (ان آثارا من حسن الظن بأولئك الاحلاف القدماء كانت لا تزال تتردد في صدور العرب) لذلك اتجهت مقاومتهم الى الصهيونية متجاوزة الاعداء الحقيقيين أي الانجليز (١٥) .

وتتضح الرؤية الدينية لدى صحيفة كوكب الشرق عند معالجتها لهذا الجانب من القضية الفلسطينية عندما تستصرخ العالمين العربي والاسلامي لانقاذ مقدساتهم في فلسطين .. تكتب تعليقا على مظاهرات ١٩٣٣ تقول (ان مظاهرة القدس كانت الطلقة الاولى التي دوت في آذان المستعمرين فنبهتهم الى سوء عاقبة سياستهم وصاحت في الشعب الفلسطيني العربي تنبهه الى الخطر الداهم الذي هو سائر اليه ، ثم تجاوبت أصداؤها في العالمين الاسلامي والعربي تعلن للمسلمين أن مقدساتهم في خطر شديد وان المسجد الاقصى المبارك اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين يطمع في هدمه اليهود ليقيموا على انقاضه هيكل سليمان) .

احــداث البــراق ١٩٢٩

تتفاوت ردود الفعل لدى الصحف المصرية ازاء احـداث البراق ، فنرى الاهرام تتابع التطورات متابعة خبرية منظمة وان كان لا يخلو الامر من بعض التعليقات والاحاديث والمقالات المنقولة عن الصحف البريطانية مثل الديلي اكسبريس والتايمز والديلي ميل ومورينخ بوست (١٦) . وتنفرد الاهرام بنشر تحقيقات خبرية شبه يومية لتغطية أحداث البراق وصداها في معظم مدن فلسطين عن طريق مراسلها الخاص هناك وعن طريق مراسلها في لندن أيضا (١٧) وكذلك تنفرد الاهرام بنشر عدة تحقيقات في الصفحة الاولى عن المسجونين الوطنيين (١٨) .

اما البلاغ فقدا نصب كل اهتمامها بأحداث البراق على شكل مقالات تحليلية وتعليقات وبيانات اللجنة التنفيذية العربية والمجلس الاسلامي (١٩) ، أما اهتمامها بالجانب الخبري فقد كان محدودا . وكانت البلاغ تهتم بنشر كثير من المقالات نقلا عن الصحف العربية والفلسطينية بوجه خاص مثل صحيفتي الجامعة العربية والكرمل وصوت الشعب (٢٠) . وقد خصصت مراسلا لها في القدس لمتابعة احداث القضيــة الفلسطينية . كما أفردت صفحاتهــا للكتاب الفلسطينيين المقيمين بمصر مثل محمد علي الطاهر صاحب الشورى ونسيم صبيعة (٢١) .

أما الاتحاد فقد اتخذ اهتمامها بحوادث البراق اشكالا متنوعة من الفن الصحفي فهي تستخدم المقــالات والتعليقات السياسية والاحاديث والبيانات والتقارير الاخبارية وان كانت تركز عــلى نشر التعليقات المنقولــة عن الصحــف الموالية للصهيونيــة والصحف البريطانية (٢٢) .

وفيما يتعلــق بصحيفــة السياسة لســان حال الأحــرار الدستوريين فهي تعتمد المقالات السياسية والتحقيقات الصحفية أساسا لمتابعتها لاحداث البراق . وكثيرا ما دخلت في مساجلات

سياسية مع الكتاب الفلسطينيين واليهود في مصر ، فهي تعد معقل الفكر الليبرالي في مصر فضلا عن انها حملت لواء الدفاع عن التيار المصري بعد « الجريدة » . وقد ترتب على ذلك دخولها في مناقشات سياسية وفكرية مع انصار التيار العربي والاسلامي وخصوصا الكتاب الفلسطينيين والسوريين الذين تصدوا للدفاع عن قضايا العروبة والاسلام في مصر (٢٣) .

ويكاد المقطم يعتمد اعتمادا مطلقا على المقالات السياسية والاخبار في متابعة أحداث البراق . وينفرد المقطم عن بقية الصحف المصرية بأنه كان يفرد صفحاته لنشر مقالات الكتاب الفلسطينيين والسوريين في مصر واليهود المصريين على السواء ، وكان للمقطم مراسل خاص في القدس لمتابعة تطورات القضية الفلسطينية (٢٤) .

وقد اختلف تفسير الصحف المصرية لاحداث البراق : فالبلاغ ترى أن احداث البراق هي مجرد سبب مباشر ولكن السبب الاساسي هو وعد بلفور واصرار كل من بريطانيا والصهيونية على بناء الوطن القومي اليهودي في فلسطين (٢٥) . كتبت تقول (لا نريد في هذه العجالة أن نعرض تفاصيل المعارك الدموية التي حصلت ولا ان نبحث في ضوء انبائها عن السر في استفحال الحالة وتحرجها الشديد فقد يكون الكلام في هذا بلا طائل ، ويكفي القول بأن العرب في فلسطين هم أصحاب البلاد الذين لا تجوز منازعتهم فيها ولا في أي ركن من أركانها حتى ولو كان هذا الركن لا علاقة له بعقيدة دينية أو كان غير محل تقديس واحترام من الوجهة الدينية . واذا كان العرب كذلك والصهيونيون ينازعونهم في هذه الحقوق ويريدون ان يقيموا قومية صهيونية على انقاض القومية العربية وحكومة صهيونية بدلا من حكومة عربية وطنية .. تقول اذا كان الامر كذلك فهو يكفي وحده أن يلقي ضوءا باهرا يكشف أسباب تلك المعارك الدموية التي تحرجت الحالة من اجلها في فلسطين وقامت لها الحكومة البريطانية وقعدت) (٢٦) .

وتتبنى البلاغ كما نلاحظ وجهة النظر القومية في تفسيرها لاحداث البراق وان كانت في ذات الوقت تنشر بعض المقالات التي تجمع بين الرؤية القومية والرؤية الدينية للاحداث .. فهي تؤكد أن الخلاف قائم أساسا على الكيان القومي (اذ بينما الفلسطينيون يجب ان يكونوا آمنين في بلادهم اذا بهم يرون وضعا خاصا لا مثيل له في بلدان العالم وهو أن قوما اخرين يعملون على أن يكون لهم في هذه البلاد المقام الاول . على أن ذلك الخلاف الجديد في مسألة البراق يزيد على ذلك بأنه يمس ناحية حساسة مثيرة للعواطف بالنسبة للمسلمين الذين يعتقدون في البراق النبوي اعتقادا قائما على الشعور الديني ويرون فيه حقا دينيا لهم يستحيل عليهم التفريط فيه) (٢٧) . وترى البلاغ أن حل هذه الازمة لن يتم الا بتراجع بريطانيا عن وعد بلفور وخصوصا بعد ما ثبت صعوبة تحقيقه ، فكتبت تقول : (ان الاضطرابات الفلسطينية ستزول ولكن ليس معنى زوالها أن يزول النزاع بين العرب واليهود لان هذا النزاع باق ما بقيت هذه السياسة قائمة ، فليس عرب فلسطين بالذين يرضون عن جعل بلادهم وطنا قوميا لغيرهم ولا يوافقون على أن تكون السياسة قائمة في فلسطين على مبدأ الوطن القومي المعروف، واذن من الصعب جدا ان لم يكن من المستحيل أن يحسم النزاع ما لم تعدل السياسة التي ظلت قائمة نحو عشر سنوات دون الوصول الى نتيجة) (٢٨) . وتتساءل البلاغ عن سبب تشبث بريطانيا بهذا الوضع بعد أن قامت الادلة على فشله فضلا عن نتائجه الخطيرة (٢٩) . هذا بينما لا تتبنى « الاتحاد » تفسيرا واضحا لاحداث البراق . فهي تنشر بيان جمعية حراسة المسجد الاقصى والاماكن الإسلامية المقدسة الى العالم الاسلامي ، وهو يتضمن سردا تفصيليا لاحداث البراق والملابسات والظروف التي صاحبت الانفجار من وجهة النظر العربية الاسلامية . ولكن لا تنشر الاتحاد أي مقال أو تعليق يشير الى السبب الرئيسي للصراع وان كانت تدور حوله في محاولة يائسة لتجنب ذكره فهي تكتب : (قد يكون في استطاعتك أن تكتشف أصل ذلك الموقف واسبابه ولكن مع

ذلك اذا دخلت في تفاصيل أمر تلك الاسباب ولا بد ان تكون له علاقة بالدين وجـدت نفسك امـام صعـوبات قد تستعصي علـى كـل تسوية) (٣٠) . وهنا يبدو تعمد الاتحاد في تجاهل السبب الرئيسي لاحداث البراق بتركيزها على السبب الديني رغم انه يمثل الفرع وليس الاصل . ويمكن القول ان موقف الاتحاد هنا يميل الى مجاملة الجانب البريطاني بتجنب الاصطدام به بعدم ذكره كسبب رئيسي وان كان غير ظاهر لاحداث البراق .

ومما يؤكد ذلك ما كتبته الاتحاد عن لجنة التحقيق التي اعلنت بريطانيا عن اعتزام ارسالها الى فلسطين . فتراها تركز على ان الصراع بين الفريقين العربي واليهودي صراع عنصري يتخذ طابعا دينيا ، ولكن انجلترا تمثل في نظر الاتحاد الطرف المحايد فهي تقول (اننا نود أن نرى أن تلك اللجنة التحقيقية ستقوم بمهمتها بغير تحيز الى فريق دون اخر حتى تظهر الحقيقة المطلوبة وينال الجاني العقاب ، ويجب كذلك أن تكون تلك اللجنة من رجال ذوي خبرة واسعة بالاديان والتاريخ وبطبيعة البلاد وتقاليدها .. فاذا خلت صفات اعضاء اللجنة التي نحن بصددها من الشروط الضرورية استحال الوصول الى تسوية عادلة معقولة تدع العرب واليهـود يعيشون معا في سلام ورخاء) (٣١) .

وترى الاتحاد أن التسوية لن تكون بالغاء وعد بلفور لانه على حد قولها نقلا عن صحيفة النيرايست الموالية للصهيونية (لن يحدث سحب لتصريح بلفور وستظل التمهيدات التي اجريت لانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين باقية ما دام في الوجود يهود يرغبون في الاستفادة منها . هذه حقيقة يجب ان يدركها بسرعة عرب فلسطين ان لم يكونوا قد أدركوها بعد) (٣٢) .

وبناء على ذلك ترى صحيفة الاتحاد أن الحل يكمن في تدخل العناصر العاملة من العرب واليهود ، ومعاونة حكومة الانتداب على التوصل الى تصفية الخلاف وبناء الوطن المشترك (فالمشكلة كما

تتراءى لنا تكاد تستعصي على الحل الذي يرضي الجانبين وينشيء بينهما عهدا من الاستقرار والسلام يساعدهما على التعاون على ترقية تلك البلاد المقدسة واصلاح شئونها ، ولكن قد يستطيع عقلاء الفريقين وذوو النفوذ فيهما أن يعاونوا حكومة الانتداب على تصفية الخلافات القائمة وانشاء العهد الجديد المرغوب فيه والعمل على تقدم الوطن المشترك) (٣٣) .

ويلاحظ أن « الاتحاد » تهتم بابراز وجهة نظر الجانب البريطاني الصهيوني في الصراع ، بل تكاد تتبنى ذات الرؤية ، وهي تصل في ذلك الى حد القاء مسئولية أحداث البراق على موسكو والبلشفية .. فهي تشير الى أن بريطانيا تكتنفها شبكة من الدسائس الشرقية وانها مستهدفة لفتنة يقوم بها جميع رعاياها المسلمين بمعاونة البلاشفة وتحريضهم . فالهند ومصر وسوريا وشرق الاردن وبلاد العرب كلها تناصر مسلمي فلسطين في مقاومة اي اعتداء كان على الاماكن المقدسة .. ولا جدوى الان من اثبات ان اليهود لا يضمرون الشر للعرب فان رسل موسكو قد أثاروا الشعور الديني في البلاد (٣٤) .

ورغم موقف « الاتحاد » المتسم بالمهادنة والتأييد للانتداب البريطاني في فلسطين وسياسته القائمة على انشاء الوطن القومي اليهودي فانها تهتم في ذات الوقت بنشر عدة تقارير وبيانات فلسطينية لها وزنها في الدوائر العربية والعالمية مثل (بيان جمعية حراسة المسجد الاقصى والاماكن الاسلامية المقدسة) (٣٥) عن حوادث البراق ، وهو يتضمن كما أسلفنا تفصيلات هامة عن الملابسات التي صاحبت هذه الحوادث . كذلك نشرت الاتحاد خلاصة التقرير الذي قدمه الوفد السوري الفلسطيني الى مندوبي الدول الممثلة في جمعية الامم بشأن فلسطين . ويتميز هذا التقرير بالموضوعية والاستنارة ، كما أنه يحوى تفاصيل هامة عن وعد بلفور والوطن القومي اليهودي (٣٦) .

اما صحيفة « السياسة » فهي تتبنى رؤية قومية مستنيرة في تفسير احداث البراق فهي تقول .. (ان الاسباب والعوامل التي ادت الى اتساع الحوادث الفلسطينية واستطالتها الى هذا المدى الخطير ترجع الى المسألة القومية العامة والى ما يضطرم به العرب من سخط على قيام الوطن القومي اليهودي ، وما يترتب على قيامه من ايثار الاقلية اليهودية على الاكثرية العربية في توجيه الشئون العامة ، وهو ايثار يوحي به ميثاق الانتداب ذاته وان الخصومة على البراق او المبكى لم تكن الا حجة ظاهرة هي التي اذكت أول شرارة في الفتنة) (٣٧) . ولكن رغم الادراك المستنير الذي تتميز به السياسة في تفسيرها لاسباب ودوافع الهبة نراها تدين اسلوب العنف الذي دفع اليـه الفلسطينيون متجاهلة تمامـا الاسباب الموضوعية التي الجأتهم الى ذلك ، اذ تقول (ان العنف سلاح خطير لا يصلح لاسترداد الحقوق او تأييدها ، وان اهدار الدماء اشد ما يناقض روح العصر ومبادئه ، وان فلسطين تنعم بالسكينة والاقناع ما لا يحققه العنف) (٣٨) .

وقد دفعها هذا التناقض الى الاصطدام مع (نسيم صبيعة) الكاتب السوري الذي نشر في المقطم مقالا يأخذ فيه على «السياسة» موقفها من الاحداث الفلسطينية ويقول : (انها بعدما نوهت الى اسباب الفتنة وقالت انها ترجع الى قيام الوطن القومي ، عادت فاكدت ان مصر لا تفرق بين الطوائف وانكرت على اللجان العربية نشاطها في الاجتماع وشرح الموقف في فلسطين لاخوانهم المصريين .. فكيف يمكن تفسير هذا التناقض) (٣٩) . وتدفع السياسة عن نفسها تهمة التناقض فتشير الى (ان الظروف والنزعات الخاصة التي يتأثر بها اصدقاؤنا العرب في فهم الحوادث وتقدير الموقف لا شان لها في صوغ وجهة النظر المصرية ، وان مصر لا تريد بالاخص ان تعرف يوما اثر هذه النزعة الطائفية التي تذهب الى اعماق الحركات القومية العربية) وتعود الى تذكيرهم بأن (« السياسة » مصرية قبل ان تكون شرقية وانها تضع سكينة مصر ومصالحها فوق

كل اعتبار وانها تعبر فيما تكتب في هذا الشأن لا عن راي ذوي الحل والعقد وانما عن راي الامة المصرية التي تندمج فيها عناصر مصر المختلفة مسلمين ونصارى ويهود) (٤٠) .

وكانت المقطم تنهج نهجا ليبراليا ينطوي على قدر كبير من الدهاء : فهي كانت تمنح الفرصة كاملة لكلا الفريقين من الكتاب العرب واليهود للافصاح عن وجهة نظرهم والدفاع عنها ، وقد كان نسيم صبيعة يتزعم الجانب العربي ، فقد كتب اكثر من مرة يوضح حقائق المأساة الفلسطينية تارة ويرد على صحيفة السياسة تارة اخرى ، وكانت قد هاجمت كما اسلفنا نشاط العرب الفلسطينيين في مصر لتأييد اخوانهم في فلسطين بمناسبة حوادث البراق (٤١) .

ففي الوقت الذي يحاول فيه نسيم صبيعه أن يثبت أن (الصهيونيين هم البادئون بالشر كما اثبته أول بلاغ رسمي اصدرته حكومة فلسطين وكانوا هم المعتدين على الحالة الحاضرة التي قررها الكتاب الابيض الذي صدر في نوفمبر ١٩٢٨ ، وكانوا هم الغادرين بالعرب الذين ساقتهم المقادير الى احيائهم وكانوا هم المختبئين وراء نوافذ بيوتهم يردون المارة من العرب بالرصاص ويلقون عليهم ماء النار ، ولكي يكونوا سباقين في كل نقيصة فعلوا فعلتهم وقاموا يولولون ويملأون الدنيا صراخا . وقبل أن يدفنوا أمواتهم ابتدأوا يعملون حساب التعويضات التي سيقبضونها) (٤٢) . تنشر المقطم في مقابل هذا المقال بيانا تلقته من المجلس العمومي للطائفة الاسرائيلية في فلسطين يدفع فيه جميع التهم التي وجهت لليهود اثناء حوادث البراق جاء فيه : (لا صحة لما قيل من أن اليهود ينوون الاستيلاء على الحرم الشريف والمسجد الاقصى .. وغير صحيح أن وراء رغبة اليهود في الاستمرار على عادتهم القديمة باقامة الصلوات امام حائط المبكى بدون تشويش ما ، اي خطر يهدد الاماكن المقدسة الاسلامية .. ولا صحة لما يقال وهو أن بعضا من اليهود القوا فواكه أو حلوى مسمومة في الطرق لكي يلتقطها المارة ، وقد عطلت الحكومة بعض الجرائد العربية مؤقتا (٤٣) لنشر مثل

هذه الاخبار الكاذبة كما ورد في بلاغها الرسمي المنشور في ٢٧ سبتمبر الماضي ، ورغم ما كانت تحاول ان تبدو بـه المقطم من موضوعية ازاء تطورات الصراع الصهيوني الفلسطيني ، فقد كانت ملتزمة بالولاء الكامل للخط البريطاني والمصالح البريطانية ، فهي كانت تعارض الجانب الصهيوني احيانا ، لكنها كانت تضع ثقتها الكاملة في بريطانيا وحكمتها ، ولم يمنعها ذلك من نشر بعض المقالات التي تلقي المسئولية بكاملها على بريطانيا ، فقد جاء مقال بعنوان : (الاجل البراق أم لاجل الوطن القومي اليهودي) (٤٤) ما يلي : (هل يتصور العقل أن يكون كل هذا لاجل المبكى) لاجل ان يبكي اليهود . . والله لو كان الخطب خطب المبكى (البراق) لهان الامر وتركناهم يذرفون ما شاءوا من الدموع الحارة .. ولكنها ثـورة قومية يزكي اوارها وعد بلفور .. نعم هو وعد بلفور وحده الذي يصور لليهود هذه المطامع الاستعمارية آملا في استعمار فلسطين ولبسط السيادة عليها . . وعلى كل حال ليست الفلطة غلطة اليهود وحدهم بل هي غلطة بريطانيا أيضا التي خلقت من وعد بلفور مشكلة خطيرة لا تحل الا بنزوح الفريقين (٤٥) .

كذلك تتوجه المقطم بكلمة منها (الى عقلاء الفريقين والحكومة المحليين) تبلور فيها رايها في التسوية تقول : (الذي نرجوه هو أن يعمل العقلاء من الجانبين على تهدئة الخواطر فالايغال في الخصومة ليس من مصلحتهم ولا من مصلحة فلسطين نفسها . . كما اننا ندعو حكومة فلسطين الى التشدد في معاقبة الذين أثاروا هذا الهياج من أي فريق كانوا ومن غير التفات الى مراكزهم وطوائفهم . . . ونغتنم هذه الفرصة نخاطب حكومة لندن العليا راجين ان تعيد النظر في سياستها بفلسطين وان تدرسها على ضوء الاختبارات والحوادث الاخيرة ، فوعد بلفور الذي سمح بالاصل لليهود بلم شتاتهم وايوائهم في فلسطين يكاد ينقلب الى مشكلة خطيرة اذا لم تعالج من الان بالحكمة والروية) (٤٦) .

ونادرا ما كانت تنشر الاهرام تعليقا او مقالا يحمل وجهة نظرها في احداث البراق ، وهي تحاول ان تبدو محايدة ولكن من خلال عرضها للاخبار والاحاديث الصحفية نلاحظ انها تميل نحو الجانب الوطني وتميل لابداء وجهة نظر الجانب العربي في الصراع ، وهي تلتقي في هذا مع البلاغ .

لجنة التحقيق في احداث البراق :

تابعت الصحف المصرية أعمال اللجنة البريطانية التي انتدبت للتحقيق في اسباب حوادث البراق . وكانت قد وصلت الى فلسطين في نهاية شهر اكتوبر ١٩٢٩ ، ولبثت شهرين تستمع الى اقوال الشهود من عرب ويهود من مختلف الطبقات والهيئات . وقد عقدت ٤٧ جلسة علنية و ١١ جلسة سرية واستمعت الى ١١٠ شهود من العرب واليهود والموظفين البريطانيين . وبعد أن قامت بجمع مادة غزيرة من الوثائق غادرت القدس عائدة الى لندن في نهاية شهر ديسمبر من نفس العام ، ومما يجدر ذكره أن الحكومة البريطانية قد انتدبت هذه اللجنة على اثر وقوع الاضطرابات في فلسطين كي تقوم بمهمتها المزدوجة ، وهي اجراء تحقيقات شاملة حول الحوادث ثم وضع تقرير يتضمن اقتراحاتها التي يجب ان تلتزم بها الحكومة البريطانية لمنع تكرار الاضطرابات مرة أخرى . وقد شكلت هذه اللجنة برئاسة السير توم شو ممثلة لجميع الاحزاب البريطانية على غرار لجنة الاصلاح الدستوري الهندية التي انتدبت من قبل برئاسة السير جون سيمون لتحقيق أسباب الحركة القومية الهندية ومداها وما يجب ادخاله من التعديلات على نظام الحكم في الهند (٤٧) . وقد نشرت الاتحاد البيان الذي افتتح به مستر شو اعمال اللجنة والذي جاء به ان اللجنة لا شأن لها بالمسائل السياسية ، وعلى ذلك سارت اللجنة في مهمة التحقيق القضائي ثم عادت الى فلسطين حاملة كل ما استطاعت من الوثائق والادلة لتهتدي بها في القيام بالشطر الثاني من مهمتها (٤٨) .

وقد علقت « السياسة » على مهمة لجنة شو في محاولة لرصد احتمالات التغيير الذي سيطرأ على السياسة البريطانية في فلسطين بناء على التقرير الذي ستتولى اللجنة اعداده عن الاوضاع في فلسطين فأشارت الى (أن الدوائر الرسمية البريطانية لم يبد منها ما يدل على أن الحكومة البريطانية قد عدلت عن موقفها نحو فلسطين سواء من حيث التمسك بالانتداب أو بالسياسة التي ادمجت في عهد بلفور وهو الذي تتعهد فيه بريطانيا العظمى بأن تتعاون في انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .. ومهما كانت الاخطار التي ارتكبت في تطبيق عهد بلفور أو المصاعب التي ما زالت تقترن بتنفيذه فليس يلوح في الوقت الحاضر أن اي حكومة بريطانية تستطيع أن تسحبه أو تلغيه جهارا وأن تحدث بذلك ثغرة في عهود السياسة البريطانية) (٤٩) .

وتبدي السياسة تفاؤلا فيما يتعلق بالاثر الذي سوف يحدثه تقرير لجنة شو في تغيير السياسة التي نفذ بها وعد بلفور اذ تقول : (ستكون مباحثات لجنة التحقيق الاخيرة واقتراحاتها مرشدا في وضع الخطة الجديدة التي ترى الحكومة البريطانية اتباعها في ادارة فلسطين . ومن المحقق أن هذه الخطة ستكون ذات اثر يذكر في تحوير التصريح ذاته واضعا في شأنه وتحسين هذه الحالة الشاذة التي قامت في فلسطين من تغليب الاقلية اليهودية في شئون البلاد ومرافقها وفتح باب الهجرة اليهودية على مصراعيه) (٥٠) .

وقد نشرت الاهرام عدة تعليقات على لجنة شو نقلا عن الصحف البريطانية أبرزها التعليق الذي نشرته جريدة (افيننج نيوز) وقد اشار الى أن تقرير لجنة تحقيق حوادث فلسطين هو في مصلحة العرب .. وان مسئولية الاضطرابات الاخيرة في فلسطين لم تلق كلها على العرب . ويبرىء التقرير العرب من تهمة المؤامرة ضد اليهود ، ولكن يتضمن التقرير تنديدا شديدا بالمذابح والفظائع التي ارتكبت اخيرا ، كما يحوى انتقادا لتنفيذ شروط الانتداب وكذلك تصريح بلفور (٥١) . كما تقترح اللجنة بعض تعديلات وتفسيرات

جديدة لهذا التصريح وتنـدد اللجنة بالسيـطرة الصهيونية في فلسطين ، وتقترح وسائل عديدة لصيانة مصالح العرب .. منها سن قوانين لمهاجرة اليهود الى فلسطين ومسألة تملك اليهـود للاراضي ، والمسألة الاخيرة تعدها اللجنة عظيمة الاهمية فأوصت بوجوب تقييد ملكية الاراضي التي تضر بمصلحة العرب (٥٢) . وترى الصحيفة الانجليزية ان التقرير الذي أعدته اللجنة يرمي في الواقع الى تخفيف متاعب العرب ، فاذا عمل بموجبه كان ذلك خير وسيلة لازالة التبرم والقلق من البلاد بغير أن يجحف بحقوق اليهود .

ومما يثير الغرابة ان الحقائق التي كشفت عنها لجنة التحقيق فيما يتعلق بمسئولية حكومة الانتداب عن الاحداث قد التقطتها بعض الاقلام اليهودية في مصر واتخذت منها وسيلة للتضليـل بالقاء تبعية الاحداث على حكومة الانتداب فقط ، وبمحاولة تبرئة الصهيونية واليهود من المسئولية تماما . فنجد في مقال نشرته المقطم بقلم أحد اليهود المصريين (عزر اليفي) أنه لا يكتفي بأن يثبت مسئولية حكومة الانتداب وسوء ادارتها كسبب مباشر لاحداث البراق ، ولكن يحاول أن يؤكد بأنها (هي الموعزة بهذه الاحداث سرا ، فقد كان بامكانها تلافي الخطر قبل وقوعه ، ولكن سياسة التفريق ابت ذلك حتى أصبح الخلاف لا بد له من نتيجة كالتي شاهدناها) (٥٣) .

ويواصل الكاتب كلامه متسائلا عن (الحكمة في أن انجلترا لجأت الى جمعية الامم لتحل هذا الخلاف البسيط على مسألة البراق وهي الدولة التي تحكم نصف العالم بمستعمراتها وتتحكم في النصف الثاني بدهائها السياسي ، فهل هي عاجزة حقيقة عن التوفيق ...) ثم يجيب على تسائله بأن (الحقيقة أن انجلترا وهي التي تعلم نتيجة الحكم قبل صدوره تريد أن تبقى على الحياد حتى تتخلص من لوم أحد الفريقين اذ انه من البديهي أن اللجنة التي الفت للتوفيق سوف تصدر حكمها لمصلحة احدهما وهو طبعا لا يرضي الفريق الاخر وبذلك تتسع شقة الخلاف بينهما ويستمر

الخلاف الى الابد . وهذا الخلاف يعد فوزا كبيرا للاستعماريين (٥٤)
وتعلق كوكب الشرق على الموقف البريطاني الذي يتسم بالحيرة
ازاء أحداث البراق وتدلل على هذه الحيرة باقدام الحكومة
البريطانية على ارسال لجنة قضائية للتحقيق . علاوة على ان النتائج
التي اسفر عنها التحقيق والتي ضمنتها اللجنة تقريرها أوقعت
بريطانيا في مزيد من الحيرة . اذ انها قلبت الحسابات البريطانية
راسا على عقب ، واضاعت على الحكومة البريطانية فرصة التنكيل
بالعرب فيما لو كانت اللجنة قد اثبتت مسئوليتهم عن
الحوادث) (٥٥) . (ونظرا لما كان اليهود ملأوا به الآفاق من
اشاعات تعدى العرب عليهم وارتكابهم الاعمال الوحشية في قتالهم .
ظنت الحكومة الانجليزية أن هذه الفرصة ستكون احسن فرصة
للتنكيل بالعرب فيما لو ثبت من اعتداءاتهم وتوحشهم وتمثيلهم
بالقتلى وما اشبه ذلك فيأتي تمكينها لليهود في أرض فلسطين جزاء
وفاقا لفعل العرب . ولكن أمل الحكومة الانجليزية في القاء
المسئولية على العرب وحدهم بدأ يخيب بما ظهر لدى لجنة التحقيق
من شهادات كثير من الانجليز ممن لا يخلون من وجدان صحيح بأن
اليهود كانوا هم المعتدين والبادئين بالهياج وبأنهم هم الذين بتحركاتهم
العدائية استفزوا العرب) (٥٦) .

وقد تعرضت لجنة التحقيق في احداث البراق الى حملة نقد
عنيف من جانب الصحف الصهيونية في مصر ، تزعمتها صحيفة
اسرائيل التي القت مسئولية الاحداث على اللجنة التنفيذية العربية
وحكومة الانتداب . وهي تهاجم اللجنة التي أعلنت في تقريرها
(ان الحكومة غير مسئولة واللجنة التنفيذية العربية مثلها غير
مسئولة عن الفتنة . من المسئول اذن عن هذه الثورة التي تشكلت
اللجنة لبحث أسبابها وتعيين المسئولين عنها .. ؟ نأسف لان اللجنة
لا تملك من الجراة الادبية ما يمكنها من اعلان الحقيقة على الملأ
خالصة من الشوائب والاهواء) (٥٧) . وتواصل صحيفة اسرائيل
هجومها على اللجنة من خلال استعراضها لتقرير اللجنة والتوصيات

التي تضمنها وخصوصا التوصية المتعلقة بالحد من الهجرة اليهودية الى فلسطين ، تتساءل الصحيفة في استنكار : (كيف يجوز للجنة ان تطالب بتحديد الهجرة والغائها والقضاء عليها القضاء الاخير باقتراحها أخذ راي الهيئات غير اليهودية في مسائل الهجرة . نعم اننا لا ندري كيف سمحت اللجنة لنفسها ان تقترح هذا الاقتراح المخالف للحق وصك الانتداب والعهود التي قطعتها بريطانيا وهي تعلم أن الوطن القومي روحه الهجرة وفي القضاء على الهجرة قضاء عليه والانتداب مبني في جوهره على انشاء الوطن القومي . فكيف غابت عنها هذه الحقائق الجوهرية فراحت تقرر أشياء تخالف الواقع والعدالة وصك الانتداب وهي لم يطلب منها الخوض في المسائل الرئيسية لسياسة الانتداب) (٥٨) .

ويبلغ كاتب المقال * قمة انفعاله واستفزازه عندما يتعرض لمناقشة اقتراح اللجنة الخاص بأخذ راي الهيئات غير اليهودية في مسألة الهجرة اذ يقول (لعل اللجنة ترمي من هذا القول الى وجوب استشارة اللجنة التنفيذية العربية في الهجرة ما دامت تعتقد فيها انها بريئة من المسئولية وهي المجرمة التي نكبت البلاد والعباد بالثورة ونتائجها السيئة . ولا حاجة للقول أن رأ ياللجنة العربية في الهجرة واضح لا يحتاج الى دليل فهي تعارض الهجرة لانها تبغي أن يظل اليهود اقلية حتى تستطيع الفتك بهم وتأليب الاهالي عليهم بواسطة الدعاية التي تقوم بها والتي اعترفت بها لجنة التحقيق على حين يوجب صك الانتداب على الحكومة البريطانية ان تشجع الهجرة الى فلسطين لانشاء الوطن القومي) (٥٩) .

ولا يجد الكاتب تبريرا لموقف اللجنة سوى اتهامها بأنها لجنة إستعمارية اكثر منها لجنة تحقيق ، ولذلك فهي تحرص على بقاء عناصر الشر لتنفيذ سياسة فرق تسد التي تجري عليها بريطانيا في مستعمراتها .

وقد التقت كوكب الشرق مع البلاغ في الاهتمام بابراز الدور الذي قامت به هيئات التحقيق الاخرى في احداث البراق . هذا

الدور الذي ساهم في كشف ودحض افتراءات اليهود ومزاعمهم المعادية للعرب .. فقد ادعى الصهيونيون أن العرب مثلوا بالقتلى اليهود في مدينة الخليل وأصروا على دعواهم هذه ، وطلبوا اخراج جثث هؤلاء القتلى وفحصها، فلما لم تجبهم الحكومةالفلسطينية الى رغبتهم ابرقوا الى وزارة المستعمرات البريطانية مصرين على طلبهم فأجيبوا اليه وعينت لجنة اشتراك فيها اطباء من العرب والانجليز واليهود . ونبشت قبور القتلى وفحصت ٢٨ جثة فلم تجد بها اي تمثيل أو تشويه (٦٠) . وقد أصر العرب على فحص مزيد من الجثث ، ولكن الاطباء اليهود اكتفوا بما فحصوه ووقعوا على التقرير الطبي الذي ينفي حدوث ما زعمته الجماعات الصهيونية ، وكان العرب موقفين في اصرارهم على وجوب اجراء الكشف الطبي العام لانهم كانوا يستندون الى الحقيقة التي تشرف موقفهم وتفضح نوايا خصومهم . ولا شك ان الصهيونيين كانوا يرمون من وراء هذه الادعاءات الى جمع الاموال من ممولي الصهيونية في العالم عدا تشويه سمعة العرب (٦١) .

وتهتم كوكب الشرق برد بعض الافتراءات التي استندت اليها الصهيونية وخصوصا طائفة الاخبار والتصريحات التي تنسبها بعض الصحف الموالية للصهيونية الى ملك مصر وشيخ الجامع الازهر وملك العراق مستهدفة من ذلك الاساءة الى العرب وبلبلة الراي العام في فلسطين وخارجها . ولكن سرعان ما انجلت الحقيقة بعد نشر الردود الرسمية لهذه الدوائر لتكذيب الصهيونيين ومصادر النشر التي تساندهم (٦٢) .

وتقترح البلاغ حلا ترى ان الحوادث الاخيرة في فلسطين قد اظهرت مدى حاجة الشرق اليه ، وهو الدعاية التي تعرض حقيقته للعالم وتبرز مدى الرقي الذي وصلت اليه شعوبه ، وترد عنه أخطار الدعاية النكراء الواسعة النطاق التي ينشرها خصومه في اقطار العالم . وتقول : (لقد اتضح لنا أن حاجة الشرقيين الى الدعاية مزدوجة الفائدة اذ فضلا عن أنهم يدفعون اخطار الدعاية

السيئة عنهم يستطيعون ان ينالوا عطفا كثيرا ممن يهتمون بالمسائل الشرقية وفي هذا العطف ما فيه من الفوائد التي لا تظن ان احدا يجهلها . واذن هل آن الاوان لكي تقوم الشعوب الشرقية بهذا الواجب على أكمل وجه) (٦٣) .

شهداء البـراق :

في ١٧ يونيـو ١٩٣٠ تم تنفيـذ حكم الاعـدام في الشبـان الفلسطينيين الثلاث الذين ادينوا في أحداث البراق . وقد اثار هذا الحدث موجة من السخط والاستنكار لم تقتصر على العرب داخل فلسطين فحسب بل شملت العالم العربي الاسلامي ، وقد سبق صدور الحكم موجة أخرى من الاستعطاف للمندوب السـامي البريطاني من أجل تخفيف الحكم احتراما للشعور الاسلامي وتوطيدا للسلام العام في فلسطين (٦٤) .. وقد تجلـى هذا في برقيـات الاستعطاف المنهالة على المندوب السامي (من أرقى جماعات الهند والحجاز ومصر واليمن والعراق ومن الجاليات العربية والاسلامية في أمريكا وأوروبا ووراء البحار منادية بصوت واحد ولهجة واحدة ان المسلمين والعرب لم يعد في ذرعهم متسع لاحتمال تفجر دماء جديدة يؤديها شعب مظلوم اضافة لمظلمته الكبرى وعلاوة على انتهاب اعظم حقوقه خطرا واكثـرها لصوقا بحياتـه السياسية وحرياته العامة) .

وقد انفردت كوكب الشرق عن بقية الصحف المصرية بمتابعة هذا الحدث والتعليق عليه . وقد نشرت تحقيقا صحفيا عن حادث الاعدام ذاته تضمن وصفا تفصيليا مؤثرا للحادث وتعليقات الشهداء وذويهم والاثر العميق الذي تركه في نفوس الفلسطينيين وحرصت على أن توضح ان هذا الحادث يعد مقبرةللصداقة العربية البريطانية اذ كتبت تقول : (فانت ترى أن دفن الشهداء الثلاثة قد دفن معه جسد الصداقة العربية البريطانية ذلك الجسد المتهدم الذي ادركه البلى لكثرة ما توالى على بلاد العرب من خطوب ووفرة ما افتضح

من مواعيد عرقوب) (٦٥) . واستطردت تقول : (وما نحن بمغالين اذ نقول عقب حادث دنشواي الجديد أن نفوذ هذه الدولة في بلاد العرب قد تردى في الحفرة السحيقة التي احتفرها معول بلفور وان فجيعة العرب بفتيان فلسطين هي الفاصل بين عهدين والفارق بين سياستين) وتشير الصحيفة الى الاحساس المضاعف بالظلم الذي احس به العرب في فلسطين نتيجة هذا الحادث خاصة اذا قورنوا باليهود الذين أدينوا رسميا في أحداث البراق طبقا لتقرير لجنة التحقيق البريطانية تقول : (ولشد ما أشجى العرب أن اليهود لم يصابوا في محكوميهم بمثل ما أصيب به شباب العرب المحكومون رغ م ان أولئك من اقترفوا جرائم مشددة مما دل على أن للعدل عدة وجوه وان وجها منها يطل على السياسة ويتلقى وحيها . وما رغبة العرب أن يشمل الاعدام كل محكوم ولكن كبر عليهم أن تشمل الرحمة فريقا دون فريق وان يختص بالرحمة المغيرون المهاجمون والصائلون المعتدون) (٦٦) .

في مقابل هذه اللهجة المملوءة أسى والتي لا زالت متعلقة ببقايا امل في عدالة الاستعمار البريطاني والتي لم تخرج عن أصول المهنة وآدابها أدينوا رسميا وشعبيا . في مقابل هذا نجد الصحف الصهيونية في مصر تقطر حقدا على الشهداء العرب وتشن هجوما يتنافى مع أصول المهنة وآدابها على اللجنة العربية بسبب احتفالها بذكرى الشهداء . ويصل الهجوم الى حد أن صحيفة اسرائيل تنعت هؤلاء الشهداء بالمجرمين والسفاحين اذ تقول : (كيف تجرؤ اللجنة على دعوة الشعب الى الحداد على جماعة مجرمين دمغتهم محاكم الجنايات بأفظع الجرائم وابشعها .. ان اللجنة تريد بمحاولتها هذه العبث والسخرية بعقول الناس فتحملهم على تسمية الجرائم والسرقة وهتك الاعراض بطولة واعتبار من تحكم عليه المحاكم بالاعدام شهيدا جديرا بالاكرام حتى تنسب بالتالي البطولة الى اعمالها أيضا) (٦٧) .

وتتخبط الصحيفة . فهي تتهم اللجنة العربية بالعمالة للانجليز وتطلب من الشعب الفلسطيني (أن يلبس الحداد ويقيم المندب لانه نكب باللجنة العربية خادمة الدولة الانجليزية ومطيتها الذلول في تحقيق رغائبها ومطامعها الاستعمارية في هذا القطر اليائس) (٦٨) .

وفي ذات الوقت نراها تستعدي السلطات البريطانية ضد اللجنة العربية (اننا نلفت نظر الحكومة الى أن اقامة مثل هذه الحفلات فيها خطر كبير على الاخلاق لو سمحت بها ، الم يفهم الناس أن اللجنة تدعوهم الى تضليل ونصب) .

اتبعت الشورى أسلوبا مغايرا لجميع الصحف المصرية في معالجتها لاحداث البراق . اذ اهتمت بعرض البرقيات التي نشرتها وكالة رويتر والصحف البريطانية عن الاحداث وقارنتها بما جاء في البلاغ الرسمي الذي أصدرته حكومة الانتداب واتخذت منه وسيلة لابراز الافتراءات والظلم والتآمر الذي تعرض له الشعب الفلسطيني ليس من جانب الانتداب البريطاني والصهيونية فحسب بل من جانب وكالات الانباء والصحف الاستعمارية أيضا . ولم تنس الشورى أن تشير الى انفراد رويتر باذاعة انباء فلسطين لان وكالة هافاس الفرنسية قد سكتت الان مقابل سكوت رويتر امام الثورة السورية (٦٩) .

حملت صحيفة اسرائيل لواء الدفاع عن وجهة النظر الصهيونية ، وقد بدا ذلك واضحا في معالجتها لاحداث البراق ، فهي تستثار بسبب تعاطف الاهرام مع الجانب العربي الفلسطيني في الصراع على البراق ، وترد على الاهرام في مقال مليء بالغمز واللمز (٧٠) ، كما أنها توجه هجوما سافرا ضد احمد زكي باشا لانه أبدى غيرة واهتماما على المبكى ، فكتبت تقول : (واخيرا وقف زكي باشا يخطب في نادي الشبان في بيت لحم فدعا الشباب الى الدفاع عن المبكى بأرواحهم ومهجهم وأقسم واياهم على الدفاع عن

المبكى . زكي باشا يستعد للموت من اجل حائط لم يطالب به اليهود وانما ارادوا الصلاة امامه فما ارخص حياة زكي باشا في الصغائر التافهة التي يتوهم انها تذكر اسمه وما اغلاها على الوطن الذي رباه وانشأه ...) (٧١) .

وتلخص صحيفة اسرائيل وجهة نظرها في احداث البراق في كلمة هادئة حول مشكلة المبكى (٧٢) ، كتبها سعد المالكي ابرز كتابها ورئيس تحرير صحيفة الشمس ، يقول فيها (نعتقد انه لولا المساعي التي يبذلها دعاة الاستعمار من الموظفين الانجليز وتحريضهم بعض العرب على الفتنة من أجل تلك الاحجار لما وقع شيء من الحوادث المخزية ، ومن دواعي الاسف ان ينصاع لهم جماعة من عرب فلسطين طمعا في مأرب زائل فيعبثون بأمن البلاد واهلها من اجل الاوهام .

وتتوجه صحيفة اسرائيل الى العالم الاسلامي عامة الـذي احتمى به اليهود يو منزل بهم الضيم والعسف ولا زالوا يحتمون به، وعرب فلسطين خاصة الى ترك الصغائر وعدم التنازع لا على المبكى ولا على سواه وان يزيلوا مخاوفهم من هجرة اليهود الى فلسطين) . هكذا تعتقد الصحيفة ان مثل هذا النداء كفيل ببث الطمأنينه في نفوس عرب فلسطين وهو في الواقع ليس اكثر من نداء خبيث يهدف الى تخدير الفلسطينيين وامتصاص سخطهم وتحويل اهتمامهم عن الوطن القومي اليهودي الذي كانت الصحيفة من اكبر الدعاة له في مصر .



هوامـــــــــش

١ ــ البلاغ اليومي ١٩٢٩/١١/١٦

٢ ــ كوكب الشرق ١٩٣٣/١٢/١٧

٣ ــ السياسة ١٩٢٧/٥/١٨

٤ ــ الاتحاد ١٩٣٢/١/٢٢ ، ١٩٣٣/١٠/١٥ ، ١٩٢٩/٣/١٨ .

٥ ــ الشورى ١٩٢٦/٣/٢٩ ، ١٩٢٩/١٠/٨ ، ١٩٣٠/٣/١٢ .

٦ ــ السياسة ١٩٢٧/٥/١٨ .

٧ ــ المصدر السابق الحركة الوطنية الفلسطينية بقلم محمد عبد الله عنان .

٨ ــ السياسة ١٩٣١/٨/١١ ، ١٩٢٧/٥/١٨ .

٩ ــ السياسة ١٩٢٧/٥/١٨ .

١٠ ــ السياسة ١٩٣١/٨/١١ .

١١ ــ البلاغ ١٩٢٩/١١/١٦ .

١٢ ــ المصدر السابق .

١٣ ــ كوكب الشرق ١٩٣٣/١٢/١٧ فلسطين الشهيدة بقلم محمد علي الطاهر .

١٤ ــ المصدر السابق .

١٥ ــ الشورى ١٩٣٣/١٢/١٧ .

١٥م ــ كوكب الشرق ١٩٣٣/١١/٢ .

١٦ ــ الاهرام ١٩٢٩/٩/٣ ، ١٩٣٠/٣/٢ ، حديث لسماحة مفتى القدس نقلا عن الويل أكسبريس تاثير حوادث فلسطين على البلدان المجاورة نقلا عن التايمز .

أحـــداث البـــراق

١٧ ــ المصدر السابق .

١٨ ــ الاهرام ١٩٢٩/١٢/٦ .

١٩ ـ البلاغ ١٩٢٩/٩/٥ ، ١٩٢٩/١٠/١٢ .

٢٠ ـ البلاغ ١٩٢٩/٥/١٤ .

٢١ ـ انظر اعداد البلاغ ١٩٢٩/٩/٢ ، ١٩٣٠/٤/١٦ لماذا ثارت فلسطين بقلم فلسطيني منكوب .

٢٢ ـ الاتحاد ١٩٢٩/٩/١٤ ، ١٩٢٩/١٢/٢٣ الاضطرابات في فلسطين نقلا عن النيرانيست .

٢٣ ـ السياسة ١٩٢٩/٨/٣١ ، ١٩٢٩/٩/٤ حالة فلسطين وتصريح بلفور نقلا عن التايمز الديلي ميل .

٢٤ ـ المقطم ١٩٢٩/٩/١٩ المأساة الفلسطينية وافتراءات اليهود في المشكلة ١٩٢٩/١١/٦ في المشكلة الفلسطينية دفع تهم ايبان من الطائفة الاسرائيلية بمصر .

٢٥ ـ البلاغ ١٩٢٩/٨/٢٨ على ذكر الاضطرابات في فلسطين .
المصدر السابق .

٢٦ ـ البلاغ ١٩٢٩/٨/١٢ مسالة البراق في بيت المقدس .

٢٧ ـ البلاغ ١٩٢٩/٩/٥ .

٢٨ ـ البلاغ ١٩٢٩/٩/٢ .

٢٩ ـ المصدر السابق .

٣٠ ـ الاتحاد ١٩٢٩/٩/١٤ الاضطرابات في فلسطين وتصريح بلفور .

٣١ ـ المصدر السابق .

٣٢ ـ الاتحاد ١٩٢٩/١٠/١٤ المشكلة الفلسطينية وهل من سبيل لحلها .

٣٣ ـ الاتحاد ١٩٢٩/١٢/٢٣ تعليق منقول عن الديلي ميل .

٣٤ ـ المصدر السابق .

٣٥ ـ انظر الملحق (الاتحاد ١٩٢٩/٩/٧) رقم (٢٣)

٣٦ ـ الاتحاد ١٩٢٩/١٠/١٤ انظر الملحق رقم (٢٤) .

٣٧ — السياسة ١٩٢٩/٩/٤

٣٨ — السياسة ١٩٢٩/٨/٣١ — مدى الحوادث الفلسطينية .

٣٩ — السياسة ١٩٢٩/٩/٤ — عبرة المأساة الفلسطينية .

٤٠ — المصدر السابق .

٤١ — المقطم ١٩٢٩/٩/٤ — عبرة المأساة الفلسطينية .

٤٢ — المقطم ١٩٢٩/٩/١٩ — المأساة الفلسطينية حقيقة تنجلى .

٤٣ — المقطم ١٩٢٩/١١/٦ — في المشكلة الفلسطينية وقع مهم .

٤٤ — المقطم ١٩٢٩/٩/٢٤ — الحالة الحاضرة في فلسطين .

٤٥ — المقطم ١٩٢٩/٨/٢٩ — لاجل البراق أم لاجل الوطن القومي .

٤٦ — المقطم ١٩٢٩/٨/٢٨ — حوادث فلسطين كلمة الى عقلاء الفريقين .

٤٧ — الاهرام ١٩٢٩/٩/٣ — حديث مع سماحة المفتي نقلا عن الديلي اكسبريس

٤٨ — الأهرام ١٩٢٩/٩/٢٧ — حديث لرئيس المجلس الاعلى عن الديلي .

٤٩ — السياسة ١٩٢٩/٩/٤ — صدى الحوادث الفلسطينية وموقف مصر فيها .

٥٠ — السياسة ١٩٢٩/٩/٤ — مصدر سابق .

٥١ — الأهرام ١٩٢٩/٨/٢٩ — الثورة في فلسطين وأسبابها .

٥٢ — المصدر السابق .

٥٣ — المقطم ١٩٣٠/٩/٢٣ مهزلة تحقيق البراق بقلم عزرا ليفـي .

٥٤ — المصدر السابق .

٥٥ — كوكب الشرق ١٩٢٩/١٢/٨ الحيرة البريطانية في المسألة الفلسطينية ، بقلم شكيب ارسلان .

٥٦ — المصدر السابق .

٥٧ — اسرائيل ١٩٣٠/٤/١١ نظرات في تقرير لجنة التحقيق .

* سعد يعقوب المالكي رئيس تحرير صحيفة الشمس الصهيونية (١٩٣٤) .

٥٨ — اسرائيل ١٩٣٠/٤/١١

٥٩ — المصدر السابق .

٦٠ — كوكب الشرق ١٩٢٩/١٢/٨

٦١ — البلاغ ١٩٢٩/٩/٢٥ حاجة الشرق الى الدعاية بمناسبة حوادث فلسطين الاخيرة .

٦٢ — كوكب الشرق ١٩٣٠/١/٤ ماذا كشفت هيئات التحقيق بفلسطين المصدر السابق .

٦٣ — البلاغ ١٩٢٩/٩/٢٥ مصدر سابق .

٦٤ — كوكب الشرق ١٤ مايو سنة ١٩٣١
متى ينطلق السر تشانسور بكلمة العفو المنتظر.

٦٥ — كوكب الشرق ١٩٣٠/٦/٢٨ دنشواي الثانية في فلسطين .

٦٦ — المصدر السابق .

٦٧ — اسرائيل ٢٦ يونيو ١٩٣١ حداد على شهداء اللجنة العربية تحث على الاجرام .

٦٨ — المصدر السابق .

٦٩ — الشورى ١٩٢٩/٨/٢٨ ماذا في فلسطين .

٧٠ — اسرائيل ٤ يوليو سنة ١٩٣٠ بكاء الاهرام على المبكى وغيرتها على العرب .

٧١ — اسرائيل ٢٥ يوليو سنة ١٩٣٠ زكي باشا يحرض على الثورة .

٧٢ — اسرائيل ٣١ يونيو ١٩٣٠ كلمة هادئة حول مشكلة المبكى .



انتفاضـــة ١٩٣٣

مع بداية الثلاثينيات وازدياد الوعي لدى الجماهير العربية في فلسطين وادراك اللجنة التنفيذية العربية أن وسائلها السلمية لم تحقق للبلاد شيئا وان كل الجهود التي بذلتها لاقناع الحكـومة البريطانية بتغيير سياستها ذهبت سدى وان أراضي البلاد ستنقل رويدا الى اليهود ،.وان قوافل المهاجرين تتوالى على البلاد بالطرق المشروعة وغير المشروعة ، وان الاعوام تمر دون أن تحصل البلاد على شكل من اشكال الحكم الديمقراطي ـ حينئذ لم يكن هناك بد من تحول نضال الحركة الوطنية التي كانت تتجه باديء الامر ضد الصهيونية الى نضال ضد حكومة الانتداب مباشرة ، بعد أن ثبت بالدليل القاطع عدم جدوى سياسة التعاون التي كان ينادي بها البعض من القيادات الوطنية الفلسطينية . ومن دلائل هذا التحول اقرار سياسة اللاتعاون التي اتخذتها اللجنة التنفيذية العربية ازاء حكومة الانتداب ، وذلك على اثر مؤتمر يافا الكبير الذي انعقد في مارس ١٩٣٣ ، والذي اتخذ عدة قرارات تعد منعطفا هاما في استراتيجية الحركة الوطنية في فلسطين . اذ ان اعلان سياسة اللاتعاون كخطوة أولى في مواجهة السياسة البريطانية في فلسطين كان يعني في الواقع اعلام حكومة الانتداب ان العرب قد وضحت أمامهم الرؤية وأصبحوا يدركون أن الوطن القومي هو وليد السياسة البريطانية ، وان التناقض الاساسي انما هو بين الحركة الوطنية والانتداب ، أما الحركة الصهيونية فهي تشكل جزءا من هذا التناقض الرئيسي ولكنه يمثل المرتبة الثانية في الاهمية . وقد اتسمت مظاهرات اكتوبر ١٩٣٣ بالاسلوب السلمي حيث تجرد المتظاهرون من أية أسلحة . ولم تحدث مصادمات بين المتظاهرين والشرطة في المـدن التي لم يتعـرض فيها الجنـود البريطانيون للجماهير (١) ، وما حدث بعد ذلك من مصادمات يرجع الى تفريق المظاهرات السلمية بالقوة والعنف . ولو ان المظاهرات تركت لكي

تسير في طريقها لما سفكت الدماء ولما ازهقت الارواح ولما أثارت السلطات ضد اهالي فلسطين على بريطانيا (٢) .

وقد استجابت الجماهير استجابة شاملة عميقة لنداءات اللجنة التنفيذية وتعليماتها وانخرطت الجموع في المظاهرات التي شملت جميع المدن الفلسطينية ، مما يدل على ان الشعب الفلسطيني كان يثور بامكانيات ثورية ومشاعر عميقة بالسخط على الانتداب البريطاني وسياسته الموالية للصهيونية التي تأكدت من خلال وقائع مادية ملموسة تحمل خطر الفناء القومي لهذا الشعب على شكل مهاجرين جدد ينتزعون الارض والرزق والهوية القومية . ولكن كان الشعب الفلسطيني يفتقر في تلك المرحلة الى القيادة التاريخية الملائمة ، فقد كانت اللجنة التنفيذية العربية افراز الواقع الفلسطيني في بداية العشرينيات وكان من العسير على قيادة بهذا التكوين الفضفاض والقيادات الاقطاعية التي يحكم طبيعتها الطبقية أن تقود المسيرة القيادة الصحيحة التي تلتقي ومستوى الآمال الوطنية . لم يكن هناك تناقض اساسي بينها وبين الاستعمار البريطاني ولذلك كانت تتعاون معه ، وكانت تثق فيه ، الى أن اضطر نتيجة الضغوط الشعبية بسبب زيادة الهجرة وحوادث اجلاء الفلاحين عن أراضيهم نتيجة بيع الاقطاعيين لها واستخدام العنف في اجلاء الفلاحين وسقوط مزارعي وادي الحوارث برصاص الجند الانجليز (فصار من الواجب اللازم توجيه الكفاح نحوهم ، انهم بيدهم وحدهم التعديل والنقض والابرام وقد كانوا أصل البلاء وظلوا كذلك) (٣) .

وقد عالجت الصحافة المصرية اضطرابات ١٩٣٣ باهتمام يفوق اهتمامها بمتابعة احداث البراق ١٩٢٩ . فقد كانت معظم الصحف المصرية وخصوصا المقطم والاهرام وكوكب الشرق تتابع تفاصيل المظاهرات واجتماعات اللجنة التنفيذية العربية وردود الفعل داخل فلسطين وخارجها من خلال مراسلين خصوصيين في القدس ويافا وحيفا . وقد كان يغلب على الاهرام الطابع الخبري ، فقد انفردت

بعدة تقارير وتحقيقات صحفية تعد وثائق تاريخية هامة لهذه الاحداث (٤) . كذلك شاركتها المقطم ، فقد كان مراسلها في فلسطين كريم ثابت يواليها بتحقيقات خبرية عن حالة فلسطين اثناء المظاهرات (٥) ، فضلا عن سلسلة المقالات التحليلية التي نشرتها بتوقيع نفس المحرر بعنوان (ماذا رأيت في فلسطين) وقد استغرقت عشرة ايام (٦) . وقد اهتمت الاهرام بنشر خطب وبيانات الزعماء الوطنيين اثناء المؤتمرات الوطنية التي انعقدت قبل مظاهرات ١١ اكتوبر سنة ١٩٣٣ واثناءها وبعدها . اما كوكب الشرق فهي تنفرد عن بقية الصحف المصرية بنشر بيانات ونداءات اللجنة التنفيذية العربية . وقد كرست صفحاتها لاقلام الكتاب الفلسطينيين في مصر مثل امين سعيد ومحمد علي الطاهر ولنشر بيانات وبرقيات اللجنة العربية الفلسطينية في مصر (٧) .

وقد استخدمت كوكب الشرق مختلف الاساليب الصحفية في معالجتها لمظاهرات سنة ١٩٣٣ ، فهناك التحقيقات الخبرية والمقالات التحليلية والتصريحات والبلاغات الرسمية فضلا عن الاخبار . ولكن المقال السياسي كان له السيادة في كوكب الشرق وكذلك في معظم صحف هذه الفترة .

وقد انفردت المقطم وكوكب الشرق بتحليل اسباب الاضطرابات في حين اكتفت البلاغ بمتابعة انباء المظاهرات ومتابعة محاكمة الزعماء العرب ، وقد انفردت بنشر تحقيق صحفي شامل عن المحاكمة (٨) ، اما صحيفة السياسة فقد خصصت في شهر نوفمبر صفحة كاملة بمناسبة وعد بلفور عالجت من خلال المقال والقصيدة والتعليق والخبر مأساة الشعب الفلسطيني في مواجهة الخطر الصهيوني والانتداب البريطاني ، ونشرت بيانا موقعا باسم شبان فلسطين العرب في مصر يتضمن تحليلا تاريخيا لوعد بلفور ودور بريطانيا في تنفيذه . وتضمن هذا البيان نداء الى العالمين الاسلامي والعربي بمناسبة وعد بلفور يستصرخ المسلمين والعرب لانقاذ اخوانهم الفلسطينيين من نتائج تحقيق وعد بلفور (٩) .

تغطية احداث ١٩٣٣ :

في ٨ اكتوبر ١٩٣٣ عقدت اللجنة التنفيذية العربية اجتماعا برئاسة موسى كاظم الحسيني ... وجرى البحث في مسألة الهجرة الصهيونية وبيع الاراضي وتليت فيه الاقتراحات التي وردت من لجنة مؤتمر الشباب وبعض أهالي القدس (١٠) ، وبعد البحث والمداولات وجد المجتمعون انسياسة الاحتجاجات ومقابلات الحكومة لم تجد نفعا ، ولذلك تقرر بالاجماع ما يلي :

١ ــ الاضراب العام والسير بالمظاهرات

٢ ــ ان يذاع على الامة ، القرار التالي :

وقد قررت اللجنة أن تدعو جميع أعضائها للاشتراك في هذه المظاهرات ، الحاضرين منهم والغائبين وتعلمهم أن كل من يتخلف عن الاشتراك في هذه المظاهرات سوف يعلن اسمه في الصحف المحلية لترى الامة رايها فيه . وقد وقع الاعضاء الذين حضروا الاجتماع على هذه القرارات وانفض الاجتماع (١١) .

وقد اشتمل البيان الذي اذاعته اللجنة التنفيذية على عدة قرارات منها اعلان سخط الامة العربية في فلسطين على عبث الحكومة البريطانية بحقوق أصحاب البلاد ودعوة الامة الى الاضراب برا وبحرا في جميع مدن فلسطين يوم ١٣ أكتوبر ، وان تقام مظاهرة كبرى في القدس في ذلك اليوم يقودها رئيس وجميع أعضاء اللجنة التنفيذية .

وقد اعلنت حكومة الانتداب انها لن تسمح بأي تجمعات او مواكب تعرض البلاد للفوضى والخطر (١٢) . ولكن خرجت المظاهرة في الموعد المحدد حيث هاجمتها الشرطة وقد اشتركت النساء العربيات في المظاهرة واصطدمت بهن الشرطة (وكن اشد جراة واقداما من رجالهن في وجه سلطات الانتداب) (١٣) . وقد استخدم البوليس النار في قمع هذه المظاهرة مما أدى الى سقوط عدد من

القتلى في ساحة البوابة التي أطلقت عليها الجماهير فيما بعد ساحة الشهداء (١٤) . واجتمعت اللجنة التنفيذية العربية في مساء نفس اليوم وقررت القيام بمظاهرة في يافا يوم ٢٧ أكتوبر على أن تستمر سلسلة المظاهرات حتى توافق الحكومة البريطانية على المطالب الوطنية (١٥) .

مظاهرات عيد الفطر (يناير ١٩٣٤) :

ان سلسلة المظاهرات والاضرابات التي بدأت منذ أواخر اكتوبر واستمرت حتى بداية نوفمبر في معظم مدن فلسطين ، والتي حوكم بسببها قادة الحركة الوطنية قد احدثت تصدعا ظاهرا في الادارة الانتدابية وبذرت بذور الشقاق بين الادارة والبوليس . وقد ظهرت بوادر هذه الازمة بوضوح عندما أعلنت اللجنة التنفيذية عن اعتزامها القيام بمظاهرات وطنية عامة في جميع أنحاء البلاد وذلك يوم عيد الفطر . حينئذ ارتأت الادارة على راسها المندوب السامي أن يسمح بهذه المظاهرات كي لا تقع صدامات بين الشعب والبوليس الجاهل ، مما يتمخض عن نتائج أسوأ مما وقع في المظاهرات الماضية (١٦) . ولكن البوليس وعلى رأسه مدير الامن العام مستر سيايسر أصر على عكس ذلك زاعما أن التصريح يشجع العرب على المظاهرات ثم يشجع اليهود عليها فيختل النظام وتقع السلطة في ورطة المظاهرات ، واعلن كفاءة البوليس لقمع أي مظاهرة. وقال ان الشدة وليس التساهل هي التي تحفظ للسلطة هيبتها في البلاد (١٧) . وقد عرض الرأيان معا مع تقرير لجنة التحقيق في المظاهرات الماضية على وزير المستعمرات اثناء اجتماع المندوب السامي في مصر . وكان راي وزير المستعمرات في جانب رأي الادارة ضد راي البوليس وسمح للمظاهرات أن تقوم واستقال مدير الامن البريطاني احتجاجا على ذلك واحدث ضجة كبيرة لدى الدوائر الصهيونية ، فما كاد يعلن نبأ سماح السلطة بالمظاهرات واعتزال مدير الامن لوظيفته حتى شنت الصحف اليهودية حملة تناولت

المندوب السامي والقاضي يوديلي ونعت على السياسة البريطانية ضعفها وانحناءها أمام العرب . وزعمت ان الادارة البريطانية تهدف بهذا الموقف الى (تخويف اليهود وكسر شوكة معارضتهم وتعويدهم على أن يتقبلوا بكل سكون ما سوف يجد من الامور التي ستثقل على كاهل الشعب اليهودي وتعترض مشاريعه الصهيونية) (١٨) .

وقد قام رئيس المجلس المحلي اليهودي بالقدس بمقابلة حاكم اللواء وبسط له مخاوف اليهود من المظاهرات العربية فطمأنه الحاكم وأفهمه أن المظاهرات ستسير حسب التعليمات والاوامر وان الحكومة قد اتخذت كافة الاجراءات لحفظ النظام والامن (١٩).

ورغم أن العرب أكدوا أن المظاهرات لن تخرج عن غايتها وانها ستبتدىء وتنتهي سلمية ما دام البوليس قد منع التعرض لها ، فقد اصر البوليس على اتخاذ الاجراءات الشديدة والتحفظات للطوارىء فجيء بالمصفحات والرشاشات الى كل مكان واستعين بالجيش فملأ الدساكر والقرى وصدرت الاوامر للموظفين وللبوليس أن يكونوا في المراكز منذ السادسة صباح أول أيام عيد الفطر . وقد قامت المظاهرات في موعدها بعد صلاة العيد وشملت كل فلسطين (٢٠) .

ومما يسترعي الانتباه في هذه المظاهرات الشعبية المظاهرة التي قامت بها بلدة بيت لحم المسيحية والتي اهتمت كوكب الشرق بنشر تفاصيلها كاملة لابراز مظهر الوحدة الوطنية وتأكيدا لغلبة العامل القومي على العامل الديني في مسألة الصراع الصهيوني الفلسطيني .

انتفاضة القسام نوفمبر ١٩٣٥ :

قبل نهاية ١٩٣٥ كتب واكهوب المندوب السامي البريطاني في فلسطين الى وزارة المستعمرات يقول ان ثلث القرويين قد أصبحوا بالفعل دون أراض يمتلكونها ، كما ان عدد العمال العاطلين في المدن

آخذ في الازدياد ، فضلا عن تصاعد السخط والاستياء من حكومة الانتداب لدى العرب في فلسطين . والواقع ان الهجرة اليهودية التي بلغت عام ١٩٣٥ رقما قياسيا (٦٠ الف مهاجر) أحدثت ضغوطا اضافية على المؤسسات الصهيونية لشراء المزيد من الاراضي لاستيطان المهاجرين الجدد من اليهود . وأشار واكهوب في نفس التقرير الذي قدمه الى كتليف ليستر وزير المستعمرات البريطاني الى أن عدد صفقات بيع الاراضي قد بلغ سنة ١٩٣٤ ــ ١١٧٨ صفقة بينها ما لا يقل عن ١١١٦ صفقة لا تقل مساحة الارض المباعة في كل منها عن ١٠٠ دونم . ومعنى ذلك طرد آلاف من الفلاحين العرب بلا مورد رزق (٢١) . لان عمليات البيع كانت تتضمن شرط الحصول عليها خالية من الفلاحين العرب . وفي ١٦ اكتوبر سنة ١٩٣٥ اكتشفت شحنة من الاسلحة المهربة الى اليهود في ميناء يافا . وقد كان اكتشاف هذه الشحنة دليلا على أن اليهود يتسلحون سرا وبتواطؤ من الحكومة . وقد أدى ذلك الى اثارة الخواطر والفزع لدى العرب . واسفر عن حملة شديدة شنتها الصحافة العربية ضد الحكومة البريطانية وضد اليهود (٢٢) . وفي أكتوبر ١٩٣٥ تشكلت لجنة من الاحزاب الفلسطينية ما عدا حزب الاستقلال قابلت المندوب السامي وقدمت له عريضة تتضمن المطالب الوطنية وهي تنحصر في مصادرة الاسلحة الموجودة في المستعمرات اليهودية واتخاذ التدابير الحازمة لمنع ادخال السلاح الى اليهود عن طريق التهريب أو غيره وانشاء حاميات من الشباب العربي لحراسة السواحل . وقد شنت الصحف اليهودية حملة عنيفة على هذه المطالب وحذرت الحكومة من احتمال الخضوع للضغوط العربية أو ما أسمته (الارهاب العربي) (٢٣) . وقد أصدر الحزب العربي الفلسطيني بيانا الى العالم الاسلامي والعربي بمناسبة حادث تهريب السلاح اعلن فيه ما يلي : (ان الحكومة البريطانية المنتدبة ترى هذه المؤامرة تحاك منذ سنين فتسهل لها تهريب السلاح من أيدي العرب بجميع الطرق المشروعة وغير المشروعة حتى تصل البلاد الى ذلك الموقف الرهيب الذي يجد فيه كل عربي نفسه أعزل من كل سلاح في مقاومة

اليهودي المدجج بجميع الاسلحة) الى ان يقول (ان على اهل هذه البلاد المقدسة للاسلام والعروبة واجبين الاول ان يدافعوا عن هذه البلاد حتى الموت وها هم اليوم يجابهون الموت والثاني ان يعلنوا للمسلمين ما حل في بلادهم المقدسة من الاخطار كي يهبوا لمساعدتهم) (٢٤) . وقد قررت لجنة الاحزاب الفلسطينية الدعوة الى اضراب شامل يوم ٢٦ اكتوبر ١٩٣٥ احتجاجا على عمليات تهريب الاسلحة ، وبالرغم من أوامر الحكومة بالمنع فقد اضربت البلاد في اليوم المحدد وشمل الاضراب البلاد كلها وتناول جميع مرافقها ، وتضامنت جميع الهيئات وانقطعت المواصلات طوال النهار بين المدن الفلسطينية كلها . وتوقفت اعمال البنوك وجميع المهن الحرة والمدارس . ويواصل مراسل كوكب الشرق في القدس وصف هذا الاضراب الذي لم تعهده البلاد من قبل من حيث شموله ونجاحه وعدم وقوع أحداث او صدامات خلاله يقول : (لقد كان الهدوء شاملا والناس منصرفين بكلياتهم الى تحقيق فكرة الاضراب تحقيقا شاملا من غير أن يعرضوا الامن العام لاي قلق او اضطراب . وكانت اللجان المختلفة تشرف اشرافا دقيقا على تنظيم الاضراب والهدوء وقد لجأ الصهيونيون الى منازلهم فلم يبرحوها طيلة اليوم) (٢٥) .

في الوقت الذي أضربت فيه المدن الفلسطينية يوم ٢٦ اكتوبر سنة ١٩٣٥ ـ كانت تجري استعدادات عسكرية لا مثيل لها وذلك بسبب الحرب الايطالية الحبشية . والواقع أن هذه الاستعدادات كانت قد بدات منذ اغسطس ١٩٣٥ وما ان حلت نهاية اكتوبر حتى كان الانجليز على اتم استعداد لمواجهة الطوارىء المحتملة (٢٦) في هذا المناخ المشحون بالتوتر والاستعداد العسكري من جانب الحكومة البريطانية لمواجهة الخطر الايطالي وما رافقه من تدهور المعنويات وفقدان الامل لدى الفلسطينيين في احتمال أن تستجيب الحكومة للمطالب الوطنية بشأن الهجرة وبيع الاراضي والحكم الذاتي ، يضاف الى ذلك كله عجز وجبن القيادة الوطنية التقليدية

والاحزاب الفلسطينية عن ايجاد مخرج للحـركة الوطنيـة التي اصبحـت تدور في حلـقة مفرغـة من الاحتجاجات والمظاهرات والاضرابات السلمية ـ ولم يكن أمام الفلسطينيين بديل سوى اللجوء الى العنف أو الثورة المسلحة .

وتمثل حلقة القسام احدى حلقات الجهاد التي تكونت في بداية الثلاثينيات خـارج الاطـار التقليـدي للحركـة الوطنيـة الفلسطينية . وقد استطاع الشيخ عز الدين القسام بحكم ثقافته الازهرية غير التقليدية (فقد تتلمذ على يد الامام الشيخ محمد عبده) (٢٧) وبحكم تمرسه في النضال ضد الاستعمار الفرنسي في سوريا من استخلاص عدة دروس حاول أن يفيد بها الحركة الوطنية في فلسطين . فقد كان مقتنعا بأن تحرير فلسطين لن يتم من خلال (الافندية) (٢٨) على حد قوله وان اصحاب المصلحة في تحرير فلسطين هم أقل الطبقات ثراء أو اكثرها فقرا ، ويتكون منهم الفلاحون الذين طردوا من اراضيهم التي بيعت للصهيونيين والعمال الذين أخرجوا من اعمالهم كي يشغلها عمال يهود . ولذلك توجه الشيخ القسام مباشرة الى هذه الفئات يبث فيها الوعي ويرسم لها طريق الخلاص (كتاب الله في يد والبندقية في اليد الاخرى) (٢٩) ، وقد حدد لهم القسام العدو بوضوح كامل : الاستعمار البريطاني أولا ثم الصهيونية . وقد بدأت المرحلة الاولى لنشاط الشيخ القسام سـنة ١٩٢٨ وكانت تتكون المجمـوعة الاولـى من بعض الجائلـين والفلاحـين . وقـد حـاول الشـيخ القسـام أن يحصـل عل ىموافقـة المفتـي على تعيينـه مأذونـا شرعيـا في حيفا ولكن الحاج امين الحسيني رفض عدة مرات . كان القسام يتطلع الى هذا المنصب من اجل أن تتاح له حرية الحركة والانتقال بين الفلاحين والطبقات الكادحة . وقد استمر الشيخ القسام في جهاده السري حتى أوائل عام ١٩٣٥ حيث استطاع بمعاونة رفاقه تنظيم عملهم الثوري وتقسيمه الى فروع يختص كل منها بجزء من مسئوليات الثورة : فرع للدعاية والثاني يتولى التموين والثالث

للعلاقات الخارجية والرابع للتدريب العسكري والخامس للرصد أو التجسس على اليهود والبريطانيين (٣٠) . وقد عجلت الظروف السيئة التي سادت فلسطين سنة ١٩٣٥ بخروج القسام وصحبه من حيفا الى الريف للعمل وسط الفلاحين والاعداد للثورة . وكانت السلطـات البريطانية تراقب تحركات القســام ورفاقه . وقد خصصت لذلك عددا من رجال البوليس السري (٣١) . وهنالك اختلاف بين المراجع على تحديد يوم خروج القسام من حيفا بعضهم يقول ان ذلك تم ليلة ١٢ نوفمبر سنة ١٩٣٥ وكان معه ٢٥ من رجاله والبعض الاخر يرجح خروجه بعد الاضراب الكبير في ٢٦ ، ٢٧ أكتوبر ١٩٣٥ ، كما لم يرد في الصحف المصرية أي اشارة الى تاريخ خروج القسام من حيفا .

والخلاصة .. ان المواجهة التي تمت بين القسام ورفاقه مع القوات البريطانية لم تكن متكافئة وانتهت باستشهاد القسام بعد معركة باسلة خاضها باستبسال واستشهد فيها هو واثنان من رفاقه واسر خمسة اخرون وفر الباقون الى الجبال . ولقد كان لاستشهاد القسام على هذه الصورة وقع اليم وحزين في جميع انحاء فلسطين شيع جثمانه في حيفا بمظاهرة وطنية كبرى . وقد تفاوت اهتمام الصحف المصرية بحركة القسام . وكانت بعـض الصحف (البلاغ وكوكب الشرق) تطلق عليها اسم العصبـة المجاهدة ، أما الصحف اليهودية المصرية فقد كانت تنعتهم بالاشقياء والقتلة الاشرار (٣٢) .

هذا وقد ادى المصلون في كل مساجد فلسطين صلاة الغائب على أرواح الشهداء ، كما ارسل النحاس باشا زعيم مصر برقية الى جمعية الشبان المسلمين بحيفا يعزيها في الشهداء . وقدم المجلس الاسلامي الاعلى الى عائلة الشهيد عز الدين القسام عشرة جنيهات ولعائلات الشهداء زملائه خمسة جنيهات وقرر ارســال أبنـاء الشهداء الى مدرسة دار الايتام التابعة للاوقاف ليتعلموا على نفقة الاوقاف . وقد قامت كوكب الشرق بمحاولة ذكية لكشف الاساليب

المغرضة التي لجأت اليها سلطات الانتداب لتشويه صورة الشيخ القسام في اذهان الجماهير واظهاره في اطار متخلف غير عصري كما لو كان درويشا أو رجل دين تائها في الغيبيات ، فقد أعلنت سلطات الانتداب وهي التي كانت قد تولت نقل جثث الشهداء الى حيفا أنهم قد عثروا على حجاب في عمامة فضيلة الشيخ عز الدين هذا نصه : (أعوذ بالله من كيد الشيطان الرجيم في كل ما انا عازم عليه ، اعوذ بعزة الله وقدرته تفاديني سبحانك رب العزة عما يصفونه وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) . وترد كوكب الشرق على هذه الفرية المغرضة تقول : (ان اهل حيفا جميعا يعرفون ان فضيلة الشهيد الشيخ عز الدين كان عدوا للاحجبة وللخرافات يحمل عليها حملات شديدة في محاضراته في المسجد وجمعية الشبان المسلمين وله تآليف سرد فيها فصولا حمل فيها على الذين يغررون بالسذج ويجعلون الحجاب من الايمان فكيف حمل حجابا ذلك نصه في ساعته الاخيرة ؟ هل يريد الانجليز ان يصوروه للشعب شيخ احجبة وتمائم بينما كلهم يعرفونه عالما من أجل العلماء أو ماذا) (٣٣) .

وقد تزعمت صحيفة الشمس اليهودية حملة هجوم شعواء على الشيخ القسام ورفاقه زاعمة أنهم (لو كانوا اشقياء كما نعتهم الحكومة في بلاغها الرسمي لحفظوا للشعب العربي الكريم حسن سمعته ولصانوا له ضميره ولكنهم لم يكونوا ويا للاسف لصوصا يقطعون الطريق بل عصبة ارهابية مضطرمة مضطربة تقذف الحمم والنار والموت على شعب هادىء مسالم) (٣٤) . وتحاول الصحيفة بخبث ايقاع القراء في مغالطات متعمدة وتشويه حقيقة القسام والحركة القسامية واظهاره في صورة رجل الدين الوقور الذي هجر محرابية القدس (وخرج الى الجبال والوديان القفار لا لوجه الله والوطن ولا لنصرة الدين والمسلمين بل ليغتال شباب اليهود الهادئين الآمنين) (٣٥) .

وهذه مغالطة مفضوحة من جانب الصحافة اليهودية في مصر . فالمعروف أن الشيخ القسام كان دائما يؤكد لتلاميذه بأن العدو الاساسي هو الاستعمار البريطاني ثم الصهيونية فالانجليز هم الاصل والصهيونية الفرع . وتواصل الصحيفة مغالطاتها تقول : (اننا كنا نساير الصحف العربية في هذا العمل لو قامت عصابة الشيخ عز الدين تحارب الحكومة وجها لوجه أو لو حدث الاصطدام مع اليهود علنا وفي وضح النهار .. ولكن تختط هذه العصابة لنفسها خطة الغدر فتمكث بالجبال وتغتنم فرصة سدول الظلام وتغتال الضعفاء ، هذا العمل لا يعد غضبة للعرب والدين والوطن بل حربا بحق الرب والدين والوطن يتبرءون من ابطال من هذا القبيل) (٣٦) .

والواقع أن انتفاضة القسام قد صاحبتها ظروف مد ثوري اجتاحت المنطقة العربية بأكملها واستمرت من ١٩٣٥ ــ ١٩٣٧ ونلاحظ هنا التفاعل بين ما يحدث في فلسطين وأحداث العالم العربي . ومما لا شك فيه أن الانتفاضات الثورية في هذا القطر العربي أو ذلك اثرت على مسيرة الحركات الوطنية في باقي الاقطار العربية الاخرى . ويشير الى هذا تقرير اللجنة الملكية لعام ١٩٣٧ حين يقرر (ان ضغط اليهودية الاوروبية على فلسطين في تلك الفترة كان يرافقه في نفس التوقيت وبنفس الشدة تأثير الاحداث في الاقطار المجاورة . ففي شتاء ١٩٣٥ ــ ١٩٣٦ شهدت المنطقة انبعاثا في النشاط الوطني وخصوصا في مصر وسوريا بحيث حقق أهدافه في فترة وجيزة) (٣٧) .

والمقصود بالانتفاضة الوطنية التي حدثت في مصر في نوفمبر ١٩٣٥ الاضرابات والمظاهرات العنيفة التي اجتاحت القاهرة وغيرها من المدن وأدت الى مصادمات مع قوات الامن وسقوط قتلى وجرحى . كما أجبرت هذه الانتفاضة الاحزاب على تأليف جبهة وطنية في ١٠ ديسمبر ١٩٣٥ طالبت باعادة دستور سنة ١٩٢٣ والاعتراف باستقلال مصر استقلالا تاما . وازاء الضغط الوطني من

جانب الجماهير اضطرت بريطانيا الى التفاوض مع زعماء الجبهة في مارس سنة ١٩٣٦ وانتهت المفاوضات بالمعاهدة التي نصت على انهاء الاحتلال العسكري البريطاني رسميا والموافقة على انضمام مصر الى عصبة الامم . وتعهدت مصر بوضع امكانياتها تحت تصرف بريطانيا أثناء الحرب كما تعهدت بأن لا تنتهج سياسة خارجية تتعارض مع مصالح بريطانيا . ورغم أن معاهدة سنة ١٩٣٦ بشروطها التي تجعل استقلال مصر استقلالا شكليا فقد اعتبرتها الحركة الوطنية المصرية آنذاك نصرا كبيرا حققته . اما الانتفاضة في سوريا فقد بدأت بمظاهرة دمشق في ١٩ يناير سنة ١٩٣٦ وتجددت في الايام التالية على نحو أعنف ، مما أدى الى وقوع اصطدامات دامية بين المتظاهرين والجيش الفرنسي ، ثم تبلورت في اضراب عام حتى تنال البلاد حقوقها التي تلخصت في اعادة دستور الجمعية التأسيسية والغاء نظام الانتداب واعلان استقلال سوريا . وقد امتد الاضراب الى سائر مدن سوريا خصوصا حمص وحماة وحلب (٣٨) ، وانتهى هذا الاضراب بعد حوالي خمسين يوما في مارس ١٩٣٦ بعد أن تعهدت الحكومة الفرنسية باعادة الحياة النيابية الى سوريا وعقد اتفاق مع حكومة وطنية ينص على الاعتراف باستقلال البلاد . وفعلا جرت هذه المفاوضات الفرنسية السورية بعد انتصار الجبهة الشعبية في الانتخابات الفرنسية (يونيو ١٩٣٦) وانتهت بمعاهدة مقيدة أيضا ولكنها تضمنت اعتراف فرنسا باستقلال سوريا . وقد ساهم هذا الرصيد الوطني في كل من سوريا ومصر في خلق الاطار العام الذي جرت فيه ثورة ١٩٣٦ في فلسطين . وكان هذا النشاط الوطني في القطرين العربيين عاملا في ثورة سنة ١٩٣٦ ، ولكنه لم يكن حافزا لان الحافز كان يكمن في السياسة البريطانية والممارسة الصهيونية المعادية للشعب الفلسطيني والتي كانت سببا لجميع انتفاضاته وهباته الوطنية في سنوات ١٩٢١ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٣ .

الهـــــوامش

١ ـ الجامعة الاسلامية /١٩٣٣/١١ .

٢ ـ كوكب الشرق ١٩٣٣/١١/١ .

٣ ـ محمد عزه دروزه ـ الحركة العربية الحديثة ـ القدس ١٩٣٧ ص ٩٧ .

٤ ـ الاهـــرام ٣٣/١١/١ ، ١٩٣٣/١٠/١٧ ، ١٩٣٣/١٠/٣ أنظر ١٩٣٢/١٠/٢٨ .

٥ ـ المقطم ١٩٣٣/١٠/٢٩ ، ١١/١/ .

٦ ـ المقطم ١٩٣٣/١١/٦ ، ١٩٣٣/١١/٨ ، ١٩٣٣/١١/١٢ .

٧ ـ كوكب الشرق ١٩٣٣/١١/٢ .

٨ ـ البـــلاغ ١٩٣٣/١١/٦ ، ٢٢ ٣ ١٩٣٤ .

٩ ـ السياسة ١٩٣٣/١١/٢ .

١٠ ـ الاهـــرام ١٩٣٣/٣/٢٩ سياسة اللاتعاون في فلسطين .

١١ ـ كوكب الشرق ١٩٣٣/١٠/٢٢ اللجنة التنفيذية تقـــر القيام بالمظاهرات .

١٢ ـ كوكب الشرق ١٩٣٣/١٠/١١ .

١٣ ـ اميل الغوري : المؤامرة الكبرى . اغتيال فلسطين وحق العرب ص ٧٣ .

١٤ ـ المصـــدر السابق ص ٢١٣ أنظر الملحق رقم (٢٩) .

١٥ ـ الاهـرام ١٩٣٣/١٠/٢٨ حـوادث خطيرة في فلسطين .

١٦ ـ الاهـرام ١٩٣٣/١٠/٢٨ .

١٧ ـ كوكب الشرق ١٩٣٣/١٠/٣١ .

١٨ ـ البلاغ ١٩٣٤/١/١٩ .

١٩ ـ المصـــدر السابق .

٢٠ ـ اسرائيل ١٩٣٤/١/٢٠ .

٢١ ـ كوكب الشرق ١٩٣٤/١/٢٤ .

٢٢ ــ الكيالي ــ مصدر سابق ص ٢٩٠ ، المقطم ١٩٣٤/١٢/٨ .

٢٣ ــ المقطم ١٩٣٥/١٠/٢٢ .

٢٤ ــ البلاغ ١٩٣٥/١١/٥ ، المقطم ١٩٣٥/١٠/٢٤ .

٢٥ ــ كوكب الشرق ٣٥/١٠/٢٧ ــ رسالة عرب فلسطين الى اخوانهم المسلمين المصدر السابق .

٢٦ ــ المقطم ١٩٣٥/٩/١٧ ، ١٩٣٥/١٠/١٧ .

٢٧ ــ صبحي ياسين المصدر السابق ص ٢٧ ، عبد الوهاب الكيالي ص ٢٩٥ .

٢٨ ــ كامل خلــه ــ المصدر السابق ص ٣٨١ .

٢٩ ــ عبد الوهاب كيالي ــ المصدر السابق ص ٢٩٥ .

٣٠ ــ اسرائيل ١٩٣٥/١٢/٢ ، الشمس ١٩٣٥/١١/٢٨ .

٣١ ــ كوكب الشرق ١٩٣٥/١١/٢٩ العصبة المجاهدة في فلسطين .

٣٢ ــ الاهرام ١٩٣٥/١٢/٢٠ .

٣٣ ــ كوكب الشرق ١٩٣٥/١١/٢٩ .

٣٤ ــ المصــــــدر السابق .

٣٥ ــ الشمس ١٩٣٥/١١/٢٨ ــ ليتهم كانوا اشقياء .

٣٦ ــ المصــــــدر السابق .

٣٧ ــ أميل توما ــ مصدر سابق ص ٢١٦ .

٣٨ ــ المصدر السابق ص ٢١٧ ــ ٢١٨ .



مصر والثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦

بدات الثورة باعلان العرب الاضراب العام اظهارا لسخطهم على فتح باب الهجرة الى فلسطين على مصراعيه وما ترتب عليه من ضياع حقوقهم ، ولكن الحكومة البريطانية لجأت الى مواجهة الموقف باقصى درجات العنف والشدة فأعلنت الاحكام العرفية لعلها تعيد الامن والهدوء الى البلاد . وقد ظهرت لاول مرة خلال هذه الثورة فكرة التقسيم ، اذ ارسلت الحكومة البريطانية عام ١٩٣٦ لجنة تحقيق ملكية عرفت باسم لجنة بيل وبعد دراسة طويلة اقترحت اللجنة حلا اساسيا لمشكلة فلسطين هو تقسيمها الى ثلاث مناطق هي : —

١ — دولة يهودية تمتد على الساحل من حدود لبنان الى جنوب يافـا .

٢ — دولة عربية في الاجزاء الباقية وتضم شرق الاردن .

٣ — منطقة انتداب بريطاني دائم تشمل الاماكن المقدسة والقدس .

وقد اشترطت اللجنة على كل عربي يبيع ارضه لليهود أن يحتفظ منها بالقدر الذي يقيم اوده واود اسرته — وبخصوص الهجرة اشارت اللجنة بضرورة وضع حد اقصى لعدد اليهود الذين يسمح بدخولهم فلسطين كل عام (١) .

هذا وقدمت بريطانيا مشروعها الى عصبة الامم فوافقت عليه، ولكن العرب الذين لم يوافقوا على مبدأ التقسيم نهضوا لمقاومة المشروع فتجددت الثورة سنة ١٩٣٨ .

واذا كان لم يقدر للشعب المصري أن يضع امكاناته وخبراته لمساندة الشعب العربي في فلسطين في فترة ما قبل الثورة وذلك

بسبب انشغاله بالنضال الوطني من اجل استقلال مصر فان الفرصة قد واتته وبصورة فعالة ، وان كان ذلك قد تم بشكل فردي فلقد تكونت خلال النصف الاول من الثلاثينات عصبة الشيخ عز الدين القسام التي رفعت راية المقاومة المسلحة في وجه بريطانيا . وقد شارك احد المصريين ويدعى حنفي عطية في انتفاضة القسام واستشهد معه . وكان حنفي عطيه أحد المصريين الذين كانوا يعملون فيسكة حديد حيفا . ومن الغريب ان الصحف المصرية لم تتفق على تحديد اسمه (٢) . كذلك فان الاضراب العربي الكبير الذي حدث في فلسطين في ابريل ١٩٣٦ بدأ بمقتل عربيين كان أحدهما مصريا اثناء زيارته لاحد أصدقائه الفلسطينيين . وقد كان لهذا الاضراب وما تخلله من أعمال ثورية آثاره المباشرة والملموسة على مصر الشعبية والرسمية ، فكانت الجمعيات الاسلامية مثل الشبان المسلمين والاخوان المسلمين ورجال الدين وطلبة الجامعات والاتحاد النسائي المصري اكثر الهيئات استجابة ومساندة للثورة الفلسطينية .

رد الفعل الشعبي وموقف الاحزاب المصرية من الثورة

قام الشبان المسلمون بتشكيل لجنة عليا لاغاثة منكوبي فلسطين ، وكانوا يصدرون البيانات وينظمون المحاضرات وقد لعب رئيسهم الدكتور عبد الحميد سعيد دورا كبيرا في تعبئة الراي العام المصري لصالح الثورة الفلسطينية . وقد بلغ اهتمامه حدا وصل الى حد تقديم استقالته من الحزب الوطني في يوليو ١٩٣٦ من أجل التفرغ لخدمة الشئون الاسلامية التي كانت القضية الفلسطينية تتصدرها في تلك المرحلة .

أما الاخوان المسلمون فقد قاموا بتعبئة الجماهير من خلال شعبهم المختلفة في انحاء البلاد . كما ساهموا في جمع الاموال من اجل فلسطين (٣) .

وفيما يتعلق بنشاط الهيئات الاسلامية الاخرى في هذا المجال فقد ركزت جمعيتا تضامن العلماء والهداية الاسلامية على عقد الاجتماعات المتواصلة في مختلف المدن المصرية مع الاستمرار في حملة التبرعات من أجل المجاهدين الفلسطينيين .

وبالنسبة للحركة الطلابية المصرية فقد اجتمع طلبة جامعتي فؤاد الاول (القاهرة) والازهر وشكلوا لجانا لمساندة الثورة الفلسطينية . ولم يتخلف القطاع النسائي عن الركب . اذ اجتمع الاتحاد النسائي المصري في يونيو ١٩٣٦ لبحث الحالة في فلسطين واتخذ عدة قرارات هامة لمساندة القضية الفلسطينية تتركز حول افتتاح اكتتاب عام وتشكيل لجنة لجمع التبرعات مع ارسال برقيات احتجاج الى سلطات الاحتلال البريطاني ومناشدة نساء العالم مساندة القضية والدعوة الى ايقاف الهجرة اليهودية . وكانت السيدة هدى شعراوي تعتزم بناء على تفويض لجنة السيدات العربيات بالقدس عرض قضية فلسطين على مؤتمر السلم العالمي الذي انعقد في بروكسل في سبتمبر ١٩٣٦ لكنها اضطرت الى العودة من أوروبا قبل عقد المؤتمر فقامت بهذه المهمة من خلال مراسلة المؤتمر .

اما موقف الاحزاب المصرية من الثورة الفلسطينية فتتلخص فيما يلي : حزب الوفد ممثل الحركة الشعبية آنذاك وكان يرأسه مصطفى النحاس الذي كان يراس الوزارة في المرحلة الاولى من الثورة تجسد موقفه الشعبي فقط في التبرع بأربعين جنيها لعرب فلسطين من جيب النحاس شخصيا (٤) . وبالنسبة للحزب الوطني فلم يكن يبدي اهتماما ملموسا بالقضية الفلسطينية في تلك الفترة وكانت المسألة الوطنية والمسائل الداخلية في مصر تستغرق اهتمامه تماما لدرجة انه عند مراجعة احدى الخطب السياسية التي القاها حافظ رمضان رئيس الحزب في ١٤ اغسطس ١٩٣٦ تبين لنا غياب القضية الفلسطينية تماما عن اذهان قادة الحزب في الوقت الذي كانت الثورة الفلسطينية في ذروة اشتعالها (٥) .

وهناك بعض المبادرات الفردية التـي عبرت عن المشـاعر الشعبية ازاء الاوضاع المضطربة في فلسطين وابرز هذه المواقف ما حدث من جانب احد ابناء الاسكندرية الذي قام بتوزيع منشورات بعنوان : « دقي يا طبول الجهاد الثائرة » دعا فيه ابناء الاسكندرية الى مساندة الشعب العربي في فلسطين ، وقد استدعته الشرطة ومنعته من الاستمرار في هذا العمل . واغلب الظن انه كان يمثل احدى التنظيمات الشعبية ذات النشاط السري (٦) .

كذلك عبر بعض الشعراء المصريين عن تعاطفهم مع الشعب الفلسطيني اثناء الثورة .

هذا وقد نبه الامير عمر طوسون المندوب السامي البريطاني في فلسطين الى خطورة النتائج المترتبة على ما يجري في فلسطين في ذلك الوقت مناشدا اياه سرعة العمل على حسم الموقف (٧) ، وذلك رغم عدم وضوح ابعاد الصراع الفلسطيني الصهيوني في ذهـن الامير ، اذ انه رفض تحويل التبرعات الخاصة بلجنـة مساعدة الحبشة الى فلسطين على اساس انها جمعت من اناس ينتمون الى ديانات وجنسيات متعددة بينما الصراع في فلسطين بين اليهـود والمسلمين ، ولذلك فان المعركة تخص المسلمين وحدهم (٨) .

وفي يوم ١٧ يونيو ١٩٣٦ احتفلت مصر بيوم فلسطين وقد اختارته اللجنة العليا لاغاثة منكوبي فلسطين بمناسبة مرور ستين يوما على اضراب فلسطين ، فلم يكد يطلع الصباح حتى كانت لجان الاعانات قد بدات طوافها بالقاهرة وسائر المدن لجمع التبرعات .

كما احتفلت اللجنة العليا لاغاثة فلسطين يوم ٢٩ يوليو ١٩٣٦ بمرور مائة يوم على الاضراب وقد تم هذا الاحتفال بمقر الشبان المسلمين بالقاهرة حيث حضره كبار رجال الدولة وعلى راسهم رئيس مجلس الشيوخ المصري والدكتور عبد الحميد سعيد الذي كان براس الاحتفال . وقد وجه بيانا الى ملوك المسلمين وامرائهم اوضح

لهم مهام اللجنة وأهدافها وناشدهم المشاركة والاسراع بالعمل على حماية الاماكن المقدسة بفلسطين ومنح عطفهم ورعايتهم لقضـية المسلمين والعرب في فلسطين (٩) .

وقد أثار صدور تقرير اللجنة الملكية للتحقيق موجة عامة من السخط الشعبي تمثلت في عقد العديد من الاجتماعات وارسال برقيات الاحتجاج والاستنكار لمشروع التقسيم . وعقدت اللجنة التنفيذية للدفاع عن فلسطين اجتماعا أكدت فيه رفضها لمقترحات اللجنة الملكية . وقد تميزت هدى شعراوي بموقف مبادر اذ ارسلت خطابا الى مصطفى النحاس تطالبه بالافصاح عن موقف الحكومة المصرية أسوة بالحكومات العربية الاخرى وتحثه عن اتخاذ موقف ايجابي لمساندة شعب فلسطين (١٠) . كذلك ارسل محمد محمود باشا زعيم المعارضة ورئيس حزب الاحرار الدستوريين آنذاك برقية الى عرب فلسطين يؤكد تضامن المصريين معهم ورفض مشـروع التقسيم . وكان بيان مصر الفتاة من اشهر البيانات التي استنكرت التقسيم حيث نبهت الى الاخطار التي يحملها مشروع التقسيم بالنسبة لمصر وطرحت مقابل ذلك ضرورة السعي لخلق تحالف عربي قومي .

كذلك استنكرت جماعة (الاخوان المسلمين) مشروع التقسيم واعلنت عن وقوفها الى جانب المجاهدين المدافعين عن حقوقهم وحقوق المسلمين في الارض المقدسة .

أما سائر الهيئات الشعبية مثل مؤتمر الطلبة العرب بمصر ولجنة السيدات المسلمات واتحاد طلاب الجامعة واتحاد طـلاب الازهر فقد قامت بمظاهرات ضخمة للاعراب عن استنكارها للتقسيم وتأييدها للشعب الفلسطيني (١١) . ومما يجدر الاشارة اليه الوفد الذي تم تشكيله من أهالي بور سعيد والاسماعيلية والذي التقى باللورد بيل رئيس لجنة التحقيق الملكية عندما كانت اللجنة في طريق عودتها الى انجلترا بعد انتهاء مهمتها في فلسطين . وقد قدم

الوفد الى اللجنة مذكرة مكتوبة باللغتين العربية والانجليزية وموقعا عليها من أهالي بور سعيد تتضمن مشاعر الشعب المصري تجاه شقيقتهم فلسطين وتعبر عن تأييدهم الكامل لمطالب الشعب الفلسطيني (١٢) .

رد الفعل الرسمي ازاء الثورة

أما عن موقف مصر الرسمي خلال الاضراب واثناء المرحلة الاولى من الثورة والتي دامت ستة أشهر كاملة فلم يصدر اي بيان او تصريح رسمي يتعلق بهذه الاحداث سوى ان حمد الباسل باشا قدم اقتراحا الى مجلس النواب يطلب اصدار بيان يتضمن الاعراب عن مشاعر الاسف ازاء الاحداث المحزنة التي تجري في فاسطين ويبدي تعاطفه مع الامة الفلسطينية التي ضحت بأعز أبنائها من أجل الحياة الكريمة ويرجو أن تنتهي هذه الحالة وفقا لمبادىء العدل والانصاف . وقد وافق المجلس بالاجماع على هذا الاقتراح ، كذلك وافق مجلس الشيوخ على اقتراح مماثل قدمه الشيخ عباس الجمل بعد ذلك باسبوع (١٣) . هذا وقد اشارت احدى الوثائق البريطانية الى أن مصطفى النحاس ابدى رغبته للمسئولين البريطانيين في التوسط لتسوية المسألة الفلسطينية لكن رغبته لم تجد صدى لديهم (١٤) . وأوضح النحاس موقفه من الاحداث الجارية في فلسطين في العام التالي في مجلس الشيوخ وذلك من خلال رده على الاستجواب الذي قدمه الدكتور حسين هيكل عن سياسة الحكومة ازاء الوضع في فلسطين . وقد أكد النحاس مدى حرص مصر على استمرار العلاقات الطيبة مع فلسطين وان الحكومة المصرية تتابع باهتمام ما يجري هناك وسوف تتخذ الاجراءات الملائمة في الوقت المناسب . واقتصر حديثه على تلك المعاني العامة والتي تؤكد ما اشارت اليه الوثائق البريطانية من اتصال النحاس بالمسئولين البريطانيين بشأن فلسطين . ولكن من الواضح ان موقف الحكومة المصرية سواء أثناء فترة الاضراب أو بعدها يعكس مدى حرصها على

عدم الاساءة لعلاقاتها مع بريطانيا خصوصا بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ . وقد عبر عن ذلك أحمد حافظ عوض صاحب جريدة كوكب الشرق الذي قال (اننا لا نحب أن نكون في فلسطين ثورة ضد بريطانيا حليفتنا كما اننا لا نحب أن يفتك الانجليز باخواننا العرب في فلسطين) (١٥) .

ومما يؤكد هذا الاتجاه التصريح الذي أدلى به محمود بسيوني رئيس مجلس الشيوخ المصري في ذلك الحين اثناء الحفل الذي أقامته له جمعية الهداية الاسلامية وأثير فيه موضوع الثورة الفلسطينية ، فأشار رئيس مجلس الشيوخ في خطبته الى مدى الاعتزاز الذي يكنه المصريون لاخوانهم الفلسطينيين واعتراف بالتقصير نحوهم وطالب بضرورة انصافهم والعطف على منكوبيهم (١٦) .

وفي ١١ نوفمبر ١٩٣٦ وصلت لجنة التحقيق الملكية برئاسة ايرل بيل الى فلسطين للتحقيق في اسباب الانتفاضات التي قامت بفلسطين وكي تتوصل الى صيغة ملائمة لتنفيذ صك الانتداب في فلسطين مع مراعاة التزامات بريطانيا نحو العرب ونحو اليهود . وقد أثار صدور تقرير اللجنة الملكية نقمة عربية شاملة وأرسلت اللجنة العربية العليا البرقيات الى ملوك العرب ورؤسائهم تطالبهم بالسعي لانقاذ فلسطين . وكان تصريح مصطفى النحاس في مجلس الشيوخ أول بيان رسمي يؤيد عرب فلسطين ويتعهد بالعمل من أجل تحقيق مطالبهم (١٧) . وقد أرسل النحاس بوصفه زعيما لحزب الوفد مذكرة الى الحكومة البريطانية طالب فيها بايجاد حل عادل للقضية الفلسطينية مؤكدا أن مصر لن تستطيع أن تقف مكتوفة الايدي تجاه ما يجري في فلسطين . وتشير احدى الوثائق البريطانية الى أن مصطفى النحاس قد تحدث مع السير مايلز لزميسون في ٢٥ يوليو ١٩٣٧ بشأن مشروع التقسيم الذي ورد في تقرير اللجنة الملكية واعرب عن اسفه واستنكاره لهذا المشروع ، كما عبر عن قلقه ازاء احتمال وجود دولة يهودية مجاورة لمصر ونبه الى أن الحل

الوحيد هو العمل على ايجاد دولة عربية مستقلة ومتحالفة مع بريطانيا . كما طالب بتقييد الهجرة اليهودية الى فلسطين بالشكل الذي يؤدي الى اقتلاع اصحاب الارض الاصليين من جذورهم . وقد طالب النحاس الحكومة البريطانية بضرورة التأني في تنفيذ مشروع التقسيم الذي اعتبره سياسة مشئومة . ورغم هذا الموقف الذي يتسم بقدر كبير من التعاطف والاحساس بالمسئولية القومية من جانب زعيم الوفد المصري ازاء القضية الفلسطينية فمن الغريب ان مصطفى النحاس قد رفض من ناحية أخرى فكرة العمل المشترك مع الدول العربية لحل القضية الفلسطينية مما سهل الامور كثيرا للحكومة البريطانية لاطلاق يدها في فلسطين (١٨) .

اما فيما يتعلق بموقف مصر الرسمي من مشروع التقسيم فلم يصدر تصريح رسمي يستنكر التقسيم ويعلن تأييد الحكومة المصرية لحقوق الفلسطينيين . ورغم أن النحاس ظل يؤكد ان المفاوضات جارية مع بريطانيا حول المسألة الفلسطينية الا أن ذلك لم يسفر عن نتائج محددة في هذا الصدد . وقد تسبب الموقف المصري الرسمي في احراج الجالية المصرية بفلسطين . ولكن لم يدم هذا الموقف طويلا اذ سرعان ما شاركت مصر في المؤتمر العربي العام في بلودان في سبتمبر ١٩٣٧ حيث انتخب محمد علي علوبة رئيسا للمؤتمر . كذلك قامت مصر بدور ملحوظ في مؤازرة الوفد الفلسطيني عند عرض القضية على عصبة الامم ولم تلبث الحكومة المصرية ان اعلنت عن رفضها لمشروع التقسيم في خطاب قوي القاه واصف غالي وزير الخارجية المصرية امام عصبة الامم (١٩) . وقد كان لهذا الموقف صدى عميقا في نفوس الشعب العربي في فلسطين عبرت عنه الصحف الفلسطينية . وعندما استؤنفت الثورة في فلسطين في منتصف أكتوبر ١٩٣٧ ازداد اهتمام مصر وحماسها للثورة الفلسطينية . وفي أول فبراير ١٩٣٨ تحرك نواب مصر تحركا جماعيا من أجل فلسطين : فقد ارسل فريق كبير من نواب مصر وشيوخها احتجاجا الى السفير البريطاني في مصر استنكروا فيه

اعمال بريطانيا في فلسطين وطالبوا بضرورة ايجاد حل عادل للقضية يقوم على اساس الاعتراف بحقوق الشعب العربي بفلسطين (٢٠) . كما قام محمد محمود باشا رئيس الوزراء المصري في ذلك الوقت باجراء اتصالات مع وزير المستعمرات البريطاني بشأن التوصل الى حل للقضية الفلسطينية . وقد اقترح لتحقيق ذلك عقد مؤتمر يجمع بين العرب واليهود من أجل التوصل الى تسوية نهائية لهذه المشكلة . وقد اعرب رئيس الوزراء المصري عن اسفه للاجراءات التي قامت بها بريطانيا ضد القادة الوطنيين في فلسطين كما طالب بضرورة ايقاف الهجرة اليهودية اثناء عقد المؤتمر المقترح ، ولكن وزير المستعمرات البريطاني لم يشاركه الثقة في امكانية نجاح مثل هذا المؤتمر (٢١) .

هذا وقد شاركت مصر في مؤتمر المائدة المستديرة الذي عقد في لندن في فبراير ١٩٣٩ وكان أول مؤتمر رسمي تشترك فيه الحكومة المصرية من اجل فلسطين . وقد كان علي ماهر المتحدث الرسمي باسم الوفود العربية كلها . وعندما أصدرت بريطانيا الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ كان من راي محمد محمود باشا قبول هذا الكتاب ؛ وقد حاول اقناع القيادات الفلسطينية بذلك ولكنه لم يوفق مما اضطره الى رفض المشروع (٢٢) .

موقف الصحافة المصرية من الثـورة

لقد تباينت اتجاهات الصحف المصرية ازاء الثورة الفلسطينية وذلك طبقا لمواقعها الفكرية وانتماءاتها السياسية والقومية فكان بعضها يكتفي بنشر البلاغات الرسمية البريطانية عن أحداث الثورة أو نشر برقيات وكالات الانباء الاجنبية الموالية للصهيونية ، وأبرز مثال لذلك صحيفة المقطم التي كانت تمتنع عن نشر بيانات اللجنة الفلسطينية العربية بالقاهرة . وهناك صحيفة الاهرام التي كانت تتخذ موقفا سلبيا تظاهرا منها بالحياد . وكانت تحاول اضفاء الطابع الانساني على رؤيتها للقضية الفلسطينية ولذلك حاولت أن

تقيم الثورة تقييما انسانيا حياديا . ويمكن أن نعزو أسباب ذلك الى الحرص على عدم اغضاب بريطانيا باعتبارها أحد الاطراف الرئيسية في الصراع الدائر في فلسطين ، وخصوصا أن المفاوضات المصرية البريطانية التي انتهت بتوقيع معاهدة ١٩٣٦ كانت آنذاك في ذروة تواصلها .وهناك سبب اخر هو ارتباط بعض هذه الصحف بشركة الاعلانات الشرقية التي كان يسيطر عليها كبار الرأسماليين اليهود في مصر . وقد كانوا يمارسون سيطرتهم على كل ما ينشر بخصوص الصراع العربي الصهيوني في فلسطين . وقد أعرب بعض الكتاب والمفكرين المصريين عن استنكارهم للموقف الذي اتخذته تلك الصحف والذي يعكس تجاهلها المتعمد لاحداث الثورة الفلسطينية ، وكان من أبرز هؤلاء الكتاب عبد القادر المازني والدكتور حسين هيكل ، حيث نشر عدة مقالات تضمنت توجيه اللوم الشديد الى بعض الصحف المصرية التي أبدت تخاذلا وسلبية ازاء ما يدور في فلسطين (٢٣) .

وقد اختلف الامر كثيرا بالنسبة للصحف الحزبية التي عبرت بأشكال متفاوتة عن مواقف أحزابها من الثورة الفلسطينية ، فنلاحظ أن جريدة المصري لسان حال حزب الوفد لم يتح لها معاصرة الاضراب الكبير الذي بدأ في ٢٠ ابريل ١٩٣٦ ولا العصيان المدني الذي بدأ في ١٥ مايو من نفس العام ، وكذلك لم تعاصر معارك المائة يوم وان أتيح لها فرصة تغطية الفترة الاخيرة من الاضراب الكبير ويرجع ذلك الى صدورها في بداية شهر اكتوبر ١٩٣٦ . ولما كانت نهاية الاضراب الكبير قد أرخ لها في ١٢ أكتوبر ١٩٣٦ فان « المصري » قامت بتغطية نهاية هذا الاضراب . وتمثلت التغطية الصحفية في مجموعة من الاخبار والبرقيات الواردة من القدس ولندن وجنيف وكلها تتحدث عن انتهاء الاضراب . ولكن مما يجدر الاشارة اليه أن المعاهدة المصرية البريطانية التي وقعت في ١٩٣٦ كانت الشغل الشاغل للصحيفة الوفدية . وقد اقتصرت معالجات « المصري » لاحداث الثورة الفلسطينية على الجانب الخبري اذ ان

مقالاتها كانت مخصصة للحديث عن الاوضاع الداخلية في مصر . وقد قامت صحيفة المصري بتغطية مؤتمر بلودان الذي عقد في سبتمبر ١٩٣٧ ونشرت عدة صور لاقطاب المؤتمر . ومن الغريب أن هذه الصحيفة « المصري » قد اقتصرت على نشر خبر قصير في تغطيتها للمرحلة الثانية من الثورة التي بدات باضراب القدس في أكتوبر ١٩٣٧ . كذلك التزمت المصري بنفس المنهج الخبري في متابعتها للاوضاع الداخلية في فلسطين التي تمثلت في الاضرابات وحالات التمرد ، موضحة موقف الاطراف المعنية مع التركيز على الشخصيات الوطنية الفلسطينية . وقد تصدت صحيفة المصري للرد على بعض الشخصيات المصرية التي حاولت محاربة الوفد المصري باستغلال القضية الفلسطينية كوسيلة للدعاية لانفسهم والهجوم على الوفد وكانت تشير الى محمد علي علوبه باشا ومحمد حسين هيكل (٢٤) . وكانت المصري تخصص عمودين من صفحتها الرابعة لمتابعة أخبار فلسطين .

ومما يثير الدهشة أن حادثا هاما مثل مؤتمر قادة الثورة الفلسطينية الذي عقد في اغسطس ١٩٣٨ لم تشر اليه المصري على الاطلاق .

هذا بينما تبدي المصري اهتماما ملحوظا بمؤتمر القاهرة الذي عقد في يناير ١٩٣٩ لبحث القضية الفلسطينية ومؤتمر لندن الذي عقد في مارس من نفس العام . وتنشر المصري في صدر صفحتها الاولى خطبة النحاس في وفد المجاهدين الفلسطينيين الذين زاروا مصر في يناير ١٩٣٩ تحت عنوان (قضية فلسطين حقة وعادلة وحلها يسير) . وتتابع الجريدة انباء مؤتمر القاهرة التحضيري وتتحدث عن نجاحه وذلك في شكل تقرير اخباري يخلو من التعليق ، اما مؤتمر لندن فقد تابعت المصري انباءه في الصفحات الاولى . وحين تحتل انباء الكتاب الابيض الذي تعتزم الحكومة البريطانية تقديمه بصدد القضية الفلسطينية صفحات الصحف تنشر المصري في صدر صفحتها الاولى في ١٦ مايو ١٩٣٩ مقالا تهاجم فيه السياسة

البريطانية في فلسطين وتتهمها بأنها تعمل على البقاء فيها الى الابد . وتصف الصحيفة المقترحات بأنها لا تحقق شيئا من آمال العرب القديمة ولا ترد اليهم حقوقهم المقدسة التي دفعوا ثمنها غاليا من دماء ضحاياهم الطاهرة (٢٥) .

كما توجه الصحيفة نقدا قاسيا لموقف الحكومة المصرية التي اكتفت باتخاذ موقف الوسيط لحمل الحكومات العربية على قبول وجهة النظر البريطانية ، وتعزو الصحيفة فشل مؤتمر لندن الى موقف الحكومة المصرية منه . وتنتهز الصحيفة هذه الفرصة كي تعقد مقارنة بين موقف الحكومة المصرية التي كان يرأسها آنذاك محمد محمود باشا من القضية الفلسطينية وذلك الموقف الذي اتخذته وزارة النحاس باشا الذي أقسم بالالتزام ومساندة القضية الفلسطينية . وقد أولت « المصري » اهتماما كبيرا لموضوع الكتاب الابيض وحرصت على نشر مقتطفات من الصحف البريطانية وردود فعل الساسة العرب والانجليز ، كما فندت الكتاب الابيض وعرضت المقترحات التي يتضمنها عرضا نقديا مفصلا .

اما صحيفة الاخوان المسلمون لسان حال جماعة الاخوان المسلمين فقد اهتمت بنشر اخبار المعارك وتفاصيل سفر أفواج المتطوعين بالاضافة الى نشر قوائم التبرعات . وكانت تنشر انباء المعارك ضمن الابواب الخاصة بالدعوة الاسلامية . وكانت جريدة الاخوان المبلمين تدعو العرب في مصر وفلسطين الى مواجهة الخصوم الدينيين ، وتقصد بهم اليهود ، بسلاح الايمان بالحق . وكانت تركز على الاهمية الدينية لفلسطين وان الفلسطينيين ليسوا الا حراسا للمقدسات الاسلامية . وقد نشرت جريدة الاخوان المسلمين نداء من مكتب الارشاد العام للاخوان المسلمين بالقاهرة الى شعب الجماعة بالقطر المصري والشعوب الاسلامية عامة اوضحت فيه قلقها بسبب الحوادث التي كانت تجري في فلسطين وتهيب بالشعوب العربية مسلميها ومسيحييها أن يمدوا يد العون لفلسطين المجاهدة الباسلة . ثم تذكر اهم القرارات التي اتخذتها

جماعة الاخوان المسلمين في هذا الصدد مثل تأليف لجنة مركزية من الاخوان لتلقي التبرعات وارسال برقية احتجاج الى المندوب السامي البريطاني في فلسطين وارسال برقية تأيد ومساندة لقادة الثورة الفلسطينية . وتوالي جريدة الاخوان المسلمين نداءاتها لنصرة الشعب الفلسطيني مذكرة القراء بالدور البطولي الذي يقوم به ابناء فلسطين لدفع الشر عن اخوانهم الشرقيين ، فضلا عما يقومون به في حراسة المقدسات نيابة عن أربعمائة مليون مسلم . وتوجه الصحيفة لومها الى العالم الاسلامي في افتتاحية تخصصها للحديث عن اليوم الخامس عشر بعد المائة بمناسبة مرور مائة يوم على الاضراب الكبير في فلسطين . وتشير الاخوان المسلمون الى تقصير العالم الاسلامي في مد يد العون الى الشعب الفلسطيني وتحثهم على تعويض ما فات . وقد كانت هذه الافتتاحية موقعة بامضاء حسن البنا المرشد العام لجماعة الاخوان المسلمين . كذلك تواصل الصحيفة الاشادةببطولة الثوار الفلسطينيين والتذكير بتضحياتهم والتنديد بالسياسة البريطانية في فلسطين وذلك في عدة افتتاحيات شغلت الصفحات الاولى من الصحيفة حتى نهاية عام ١٩٣٦ (٢٦) .

وبالنسبة لصحيفة مصر الفتاة لسان حال حزب مصر الفتاة فقد اهتمت بالتغطية الخبرية لانباء المعارك وسفر أفواج المتطوعين من كتائب مصطفى الوكيل وعمليات الارهاب التي قام بها الصهاينة في فلسطين . وكذلك أولت اهتماما بارزا لانباء استشهاد المناضلين العرب في فلسطين وتشييع جنازاتهم . وقد حرصت الصحيفة على تعزيز أخبار المعارك والتطوع بتحقيقات مصورة . واهتمت مصر الفتاة في معظم الاحاديث الصحفية التي قامت باجرائها مع كبار الشخصيات المصرية والعربية بشأن الاحداث التي تجري في فلسطين بالتركيز على ابراز مدى اتفاقهم مع خط مصر الفتاة ورؤيتها الخاصة للقضية الفلسطينية ككل . ومن امثلة ذلك الاحاديث التي أجرتها مع كل من فكري عبيد وعادل زعيتر ومحمد علي علوبة والامير عبد الكريم وحافظ وهبه وعبد المجيد سليم . هذا ومن الملحوظ ان القيادة الفردية لمصر الفتاة التي تمثلت في

شخصية احمد حسين قد عكست نفسها بوضوح على صفحات الجريدة من خلال الافتتاحيات التي وقع معظمها باسمه وكانت تتميز بالطابع البلاغي والانشائي وتكرار المضمون الى حد كبير . كما تتجلى في غزارة كتاباته عن ذكرياته في فلسطين وسوريا ، والتي لم يكن يخلو منها عدد من الاعداد ، وخصوصا في فترات تفاقم الازمة اثناء تصاعد احداث الثورة . وكانت مصر الفتاة تعكس في كتاباتها عن فلسطين عداء شديدا لكل من الشيوعيين بسبب وجود عناصر يهودية داخل صفوفهم والاخوان المسلمين الذين وصفتهم الصحيفة وخصوصا زعيمهم حسن البنا بالدجل والشعوذة ، وكانت دائما تتساءل عن مصير الكتائب المزعومة التي اعدها للجهاد من اجل فلسطين.

ومن ابرز سمات اهتمام مصر الفتاة بفلسطين دعوتها الدائمة للاغنياء لتقديم التبرعات لمساندة الكفاح الفلسطيني ضد اليهود . والواقع أن صحيفة مصر الفتاة كتعبير عن فكر ذلك الحزب لم تطرح فهما صحيحا لطبيعة الحركة الصهيونية بل ركزت على الجوانب العنصرية والشعارات الشوفينية ، وان كانت قد طرحت فهما صحيحا لضرورة تصدي العرب جميعا لمساندة قضيتهم الاولى اي القضية الفلسطينية . وكانت صحيفة مصر الفتاة تحرص في نداءاتها على التوجه الى الشعوب ، في حين امتلأت صفحاتها بالهجوم على الحكومات العربية واتهامها بالتخاذل . وقد برز هذا الاتجاه بوضوح في الاربعينيات .

والواقع أن صحيفة مصر الفتاة لم تعاصر المرحلة الاولى من ثورة ١٩٣٦ في فلسطين ولكن اتيحت لها فرصة التعبير عن اتجاهاتها في هذا الصدد بعد صدور تقرير اللجنة الملكية الذي تضمن مشروعا لتقسيم فلسطين . وقد قامت صحيفة مصر الفتاة بنشر البيان الشهير عن القضية الفلسطينية الذي يتضمن معارضتها الحادة لمشروع التقسيم والمطالبة بضرورة مقاومته بكل السبل وذلك لعديد من الاسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وقد لخصتها الصحيفة وابرزت من خلالها خطورة مشروع التقسيم على مصر ذاتها وليس فلسطين فقط .

هـــــــوامش

١ ـ انظر : اميل توما ـ مرجع سابق ص ٢٥٢ ، ومحمد عزه دروزه ـ مرجع سابق ص ١٥٨ .

٢ ـ المقطم ١٩٣٥/١١/٢٢ ، الاهرام ١٩٣٥/١١/٢٣ .

٣ ـ الاخوان المسلمون ١٩٣٦/٤/٢٨ ، ١٩٣٦/٦/٢ .

٤ ـ الاخوان المسلمون ١٩٣٦/٦/١٩ .

٥ ـ الاهرام ١٩٣٦/٨/١٥ .

٦ ـ الاهرام ١٩٣٦/٦/١٨ .

٧ ـ الرابطة العربية ١٩٣٦/٧/٢٩ .

٨ ـ الاخوان المسلمون ١٩٣٦/٦/٢ .

٩ ـ الاهــرام ١٩٣٦/٦/١٨ ، ١٩٣٦/٨/٧ .

١٠ ـ المؤتمر النسائي الشرقي المراة العربية وقضية فلسطين ص ١٥ .

١١ ـ انيس صايغ ـ مرجع سابق ص ٢٤٢ .

١٢ ـ الاخوان المسلمون ١٩٣٧/٢/٩ .

١٣ ـ مضابط مجلس الشيوخ والنواب ١٩٣٦/٧/٢٧ ، ١٩٣٦/٧/٢٠ .

١٤ ـ عادل غنيم ـ الحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة ١٩٣٦ حتى قيام الحــرب العالمية الثانية ـ رسالة الدكتوراه غير منشورة ـ جامعة عين شمس القاهرة ١٩٧٦ ـ ص ٦٤٩ .

١٥ ـ الرابطة العربية ١٩٣٧/١/٦ .

١٦ ـ الرابطة العربية ١٩٣٦/٩/٣٠ .

١٧ ـ انيس صايغ ـ الفكرة العربية في مصر مرجع سابق ص ٢٤١ .

١٨ ـ عادل غنيم ـ ثورة ١٩٣٦ ـ مصدر سابق ص ٦٦٠ .

١٩ ـ محمد عزة دروزه ـ مصدر سابق ص ٧٢ .

٢٠ — صحيفة السياسة ١٩٣٨/٢/٢ .

٢١ — عادل غنيم — ثورة ١٩٣٦ مرجع سابق ص ٦٦٧ .

٢٢ — انظر أنيس صايغ ص ٢٤٣ ، حافظ وهبه خمسون عاما في جزيرة العــــرب القاهرة ١٩٦٠. ص ١٥٨ .

٢٣ — الاخوان المسلمون ١٩٣٦/١٠/١٢ .

٢٤ — انظر اعداد المصري اكتوبر ١٩٣٦ ، سبتمبر وأكتوبر ١٩٣٧ ، اغسطس ١٩٣٨ .

٢٥ — انظر المصري يناير ١٩٣٩ ، فبراير — مارس ١٩٣٩ ، مايو ١٩٣٩ .

٢٦ — انظر الاخوان المسلمون ١٩٣٦/٤/٢٨ ، ٣٦/٥/١٩ ، ٢٦ مايو ، ١٩٢٦ ، ١١، ٢٥ اغسطس ١٩٣٦ .



الباب الثالث

الرأي العام المصري وفلسطين في الأربعينات

٦

مصر وفلسطين أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية

فلسطين اثناء الحرب العالمية الثانية (لمحة تاريخية) :

بنشوب الحرب العالمية الثانية في صيف ١٩٣٩ شهد المجتمع الدولي وضعا خطيرا يتمثل في محاولة المانيا النازية السيطرة على اوروبا أولا والعالم ثانيا . وقد تسارعت الاحداث واسفر التناقض داخل المعسكر الاستعماري من ناحية ونضال الشعوب والقوى الديموقراطية النازية من ناحية أخرى عن توزيع الدول والشعوب على جبهتي المعركة . وهكذا وقفت المانيا النازية وايطاليا الفاشية واليابان العسكرية في جانب والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة وبريطانيا والشعوب عامة في الجانب المقابل .

والامر الهام هنا هو أن اندلاع الحرب العالمية الثانية قد اسهم في ايقاف محاولات القيادة التقليدية للحركة الوطنية الفلسطينية الابقاء على استمرارية ثورة ١٩٣٦ . اذ شهدت تلك الفترة انحسار الثورة ثم توقفها في شهر سبتمبر ، وهو شهر قيام الحرب . وقد ترتب على ذلك تشريد زعماء الثورة وانتقال بعضهم الى سوريا ولبنان واستحالة اتصالهم بالحركة الوطنية داخل فلسطين . كذلك انحسرت الحركة العربية المؤيدة لفلسطين .

واتسمت هذه الفترة بالركود في العلاقات بين العرب واليهود . فكان طابع الدعاية للثورة دفاعيا وسلبيا . بل ان الاختلاف حول الاساليب الواجب اتباعها قد أدى الى حدوث انقسام في الحركة الوطنية . أما بالنسبة للتطوع الى جوار بريطانيا فقد وقف العرب في بداية الامر موقفا سلبيا ، ثم تحول هذا الموقف بتأثير الدعاية التي قادتها العناصر العربية المتعاونة مع بريطانيا داخل فلسطين .

وكان الملمح البارز في هذه الفترة ان الحركة الوطنية الفلسطينية كانت هامدة خلال سنوات الحرب العالمية الثانية . ولم يختلف الوضع العربي خارج فلسطين عنه في داخلها ، فقد كانت الجهود العربية مبعثرة وغير منظمة وتميزت بالطابع الدفاعي . وكانت أبرز الظواهر على هذا المحور جهود المفتي وكفاحه السياسي في اكثر من بلد عربي من أجل القضية الفلسطينية (١) .

وعلى الجانب الاخر كانت الحركة الصهيونية قـد دخلت معركتها الحاسمة ، معركة اعلان بناء الوطن القومي اليهودي . ويمكن تلخيص سياسة القيادة الصهيونية خلال الحرب العالمية الثانية بملمحين جوهريين : اولهما مقاومة الكتاب الابيض عن طريق تجاوز قيوده على الهجرة وانتقال الاراضي من ناحية . وقد توقع بن جوريون أن تؤدي الحرب الى قيام الدولة اليهودية فكان يقول : (اذا كانت الحرب العالمية الاولى قد جاءت بوعد بلفور فالحرب الثانية ستأتي بالدولة اليهودية) (٢) . ووعيا منها بحتمية تبوؤ الولايات المتحدة مكان الصدارة بين الدول الاستعمارية بعد انتهاء الحرب نقلت الصهيونية مركز ثقلها من لندن الى الولايات المتحدة . وأدى هذا الانتقال من التعاون مع الاستعمار البريطاني الى الاعتماد على الولايات المتحدة الى اضعاف نفوذ حاييم وايزمان في القيادة الصهيونية وتعزيز موقع بن جوريون الاكثر ولاء للولايات المتحدة . ولعل تزايد نفوذ الطائفة اليهودية الامريكية وتقلص نفوذ الكتلة الصهيونية في اوروبا من اثر الحرب كان أيضا احد العوامل التي اسرعت في عملية التحول الى الاستعمار الامريكـي . وقد حظيت المنظمة الصهيونية بتأييد متعاظم في الولايات المتحدة . وما ان جاء عام ١٩٤٤ حتى قدم عدد كبير من الشيوخ والنـواب الى الكونجرس الامريكي مشروع قرار يدعو الى هجرة غير محدودة الى فلسطين والى اقامة الدولة اليهودية . وتحت شعار الدفاع عن فلسطين ارادت بريطانيا أن تشكل جيشا يتحول فيه العرب واليهود الي رفاق سلاح ، غير أن هذه الفكرة فشلت . وشهدت هذه الفترة

ازدياد عدد المتطوعين اليهود في الجيش البريطاني مما ساعد على البدء في استخدام الفيلق اليهودي في نهاية الحرب . وكان هذا مقدمة لانشاء لواء يهودي كامل بمباركة امريكية في عام ١٩٤٤ (٣) . وفي ديسمبر ١٩٤٥ اتخذ الكونجرس الامريكي قرارا بالاجماع ينص على ضرورة بذل الولايات المتحدة مساعيها الحميدة لدى سلطات الانتداب في فلسطين لفتح أبواب فلسطين أمام الهجرة اليهودية . وفي اثناء ذلك تزايد الارهاب الصهيوني ضد القوات البريطانية في فلسطين . وفي نهاية ١٩٤٥ رضخت الحكومة البريطانية للضغط الامريكي الصهيوني المتزايد واعلنت استمرار فتح ابواب فلسطين امام الهجرة اليهودية وتشكيل لجنة انجلو امريكية مشتركة للبحث في امكانيات فلسطين لاستيعاب مهاجرين يهود جدد . وسرعان ما بدات اللجنة مهمتها في مطلع عام ١٩٤٦ ، فزارت بعض بلدان أوروبا وبعض الدول العربية ثم انتقلت الى فلسطين . وفي ابريل ١٩٤٦ اصدرت اللجنة الانجلو أمريكية تقريرها الذي اوصت فيه بادخال مائة الف مهاجر يهودي الى فلسطين وتسهيل انتقال الاراضي الى المستوطنين اليهود وابقاء فلسطين تحت الانتداب البريطاني .

وعلى المستوى العربي شهدت هذه الفترة قيام جامعة الدول العربية حيث اصبح من الصعب استبعادها عن تطورات القضية الفلسطينية ، بل بدات تتدخل عمليا في تشكيل قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية ، مما كان له آثاره السلبية فيما بعد . وقد رفضت اللجنة العربية العليا مقررات اللجنة الانجلو امريكية وتقرر عقد مؤتمر بلودان بسوريا حيث اتخذت قرارات علنية برفض ما توصلت اليه اللجنة المذكورة بالاضافة الى القرارات السرية التي تضمنت المقاطعة الاقتصادية وبعض العقوبات (٤) .

وقد انتهت هذه الفترة بفشل محاولة التسوية الانجلو اميركية ، وبدات فترة المشاريع البريطانية التي عرفت بأسماء اصحابها مثل موريسون . ومع هذه المشاريع قامت بريطانيا بمحاولة اخرى لصياغة حل يصون مصالحها . ولهذه الغاية عقدت مؤتمرا

جديدا في لندن بين اغسطس ١٩٤٦ ويناير ١٩٤٧ اشترك فيه ممثلو الدول العربية ووفد الحركة الفلسطينية والوكالة اليهودية .

وقد فشل المؤتمر في الوصول الى تسوية . وتميزت السياسة الصهيونية في هذه الفترة بأمرين : أولهما التمسك بالانتداب ومقاومة احالة القضية الفلسطينية الى الامم المتحدة من ناحية ، وثانيهما تعميق التحالف مع الاستعمار الامريكي من ناحية أخرى . اما بريطانيا فقد اضطرت ازاء تفاقم أزمتها الى احالة القضية الفلسطينية الى الامم المتحدة املا في الوصول الى حل مناسب . وبدات الجمعية العامة للامم المتحدة في مناقشة المسألة الفلسطينية في مايو ١٩٤٧ . وانتهت المناقشات بايفاد لجنة من الامم المتحدة لتقصي الحقائق في فلسطين . وبذهاب اللجنة الى فلسطين تصاعدت موجة الارهاب الصهيوني ، وزادت الهجرة غير الشرعية كنوع من الضغط . وجاء تقرير لجنة التحقيق مؤكدا على ضرورة انهاء الانتداب وتقسيم فلسطين مع مرور فترة انتقالية، وان يتم التقسيم سياسيا مع قيام اتحاد اقتصادي . وفي ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ أقرت الجمعية العمومية للامم المتحدة مشروع التقسيم بأغلبية ٣٣ صوتا ضد ١٣ وامتناع ١٠ دول عن التصويت من بينها بريطانيا . وبذلك دخلت القضية الفلسطينية مرحلة جديدة .

وما بين صدور قرار التقسيم وحدوث نكبة ١٩٤٨ في شهر مايو حدثت مصادمات دامية بين العرب واليهود . واعاد العرب تشكيل اللجان القومية وقاموا بتكوين فصائل المقاتلين من عرب فلسطين باسم الجهاد المقدس ، وكان يرأسها عبد القادر الحسيني، ثم دخل جيش الانقاذ المكون من متطوعين من الدول العربية . وفي مواجهة التسليح الحديث للصهيونيين كان العرب يتسلحون ببنادق قديمة ومحدودة العدد . الا أن الفلسطينيين نجحوا في الحفاظ على اغلب مدنهم وقراهم الى ان دخلت جيوش الدول العربية فلسطين في ١٥ مايو ١٩٤٨ ، وهو تاريخ انسحاب القوات البريطانية عن كل فلسطين . ومع انسحاب بريطانيا من فلسطين

حرصت على تهويد المناطق التي تركتها . وتقدمت الجيوش العربية لتحل محل الجيش البريطاني . وازاء التفوق العربي جاء قرار مجلس الامن بوقف القتال . وقد رفض العرب هذا القرار ثم عادوا فقبلوه . وفي أثناء ذلك كانت القوات الصهيونية تتزود بالاسلحة من قبل المعسكر الاستعماري بقيادة الولايات المتحدة ، ثم تقدم برنادوت بمشروعه الاول الذي رفضه كل من العرب واليهود ، واستؤنف القتال الى ان فرضت الهدنة ثانية في ١٨ يوليو ١٩٤٨ . ثم تقدم برنادوت بمشروعه الثاني ، غير أن الصهاينة قاموا باغتيال برنادوت ونقض الهدنة. وانتكس العرب أمام غدر الصهيونية وخيانة الرجعية العربية . وبعد أن تأكد التفوق الصهيوني وافق مجلس الامن على هدنة جديدة وانشاء مناطق منزوعة السلاح وتخفيض القوات المسلحة . وعلى هذا النحو انتهت المعركة بقيام الكيـان الصهيوني فوق الارض الفلسطينية .

مصر وفلسطين في الاربعينيات

من ابرز ما تتميز به الاوضاع السياسية في مصر في الاربعينات تبلور انتمائها العربي على المستوى الشعبي واستبدال السراي بمطامحها الاسلامية في العشرينات والثلاثينات مطامح عربية . وقد اختارت السراي المجال العربي كي تمارس فيه سلطاتها في مواجهة الحكومة والبرلمان والحركة الشعبية على اساس أن هذا المجال سوف يقلل احتمالات الصدام التقليدية بينها وبين القوى السياسية المعارضة ، وسيتيح لها فرصة انتزاع بعض المكاسب من خلال التقائها الشكلي مع الجماهير على المائدة العربية . وقد لعب الكفاح العربي في كل قطر على حدة ضد العدو المشترك الذي تمثل في الدول الاستعمارية دورا اساسيا في تقريب المشاعر والاهتمامات القومية . ومن هنا دخلت الشئون العربية تدريجيا في صميم النضال اليومي للحركة الوطنية المصرية ضد الاحتلال البريطاني وركائزه المحلية في

مصر وفي المنطقة العربية ، كما اصبح الجانب العربي من السياسة الرسمية أحد مجالات الصراع السياسي بين الحركة الوطنية بأجنحتها المختلفة وبين الرجعية المحلية والاحتلال .

ومن أبرز دلالات تصاعد الاهتمام الشعبي في مصر بالقضايا العربية موقف الوفد الذي تبلور بوضوح عند تكوين الطليعة الوفدية، حيث جاء في قرار تشكيلها انها أداة رئيسية للاتصال مع شعب الوادي وشعوب الدول العربية (٥) .

أما القوى السياسية الاخرى مثل مصر الفتاة ، فقد عرفت بتوجهها العربي منذ بداية تكوينها في الثلاثينات ، وكذلك جماعة الاخوان المسلمين الذين كانوا يتبنون الاتجاه العربي كرابطة حضارية ومقدمة ضرورية لتحقيق الوحدة الاسلامية .

وبالنسبة لليسار المصري فقد ظهر بوضوح حرصه على الاهتمام بالتوجه العربي وتنميته في وجدان الشعب المصري وفي طرح مفاهيم صحيحة له . وعند تتبع الصحف اليسارية في مطلع الاربعينات مثل « الجماهير » لسان حال الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني أو الفجر الجديد لسان حال حزب العمال والفلاحين فاننا نلاحظ اهتماما متزايدا بالقضايا العربية وبضرورة توحيد كل القوى الثورية العربية في المعركة الموحدة ضد الرجعية العربية . وقد كانت القضية المحورية في ذلك كله في نظر اليسار المصري هي قضية فلسطين .

والخلاصة ان البعد العربي للواقع السياسي والحركة الوطنية في مصر قد استكمل ملامحه الرئيسية في تلك الحقبة واصبح جزءا لا يتجزأ من برامج وممارسات القوى السياسية والحكومة ذاتها كل حسب اهدافه وطموحاته . ويمكن القول انه اذا كانت النزعة الاسلامية هي مدخل مصر الى الفكرة العربية في العشرينات والثلاثينات فان التضامن بين الشعوب العربية ضد العدو المشترك وهو الاستعمار كانت هي المنطلق المصري الى العروبة اثناء وبعد الحرب العالمية الثانية .

ولقد طرحت القضية الفلسطينية نفسها بعد الحرب العالمية الثانية باعتبارها ذروة الصراع الدامي بين الشعب الفلسطيني والشعوب العربية في جانب والقوى الاستعمارية والصهيونية في الجانب المقابل . وكانت مظاهرات ٢ نوفمبر ١٩٤٥ التي قادها الاخوان المسلمون التجسيد المادي لحضور القضية في الشارع المصري ، وكان عنفها وشمولها تعبيرا عن موقف المصريين عامة من قضية مصير فلسطين ، كما كان مظهرا لالتحام قضية هذا البلد بالقضايا السياسية التي تشغل المصريين عامة .

ومنذ ذلك الحين بدات القضية الفلسطينية وتتبع تطوراتها واحداثها تحتل مكان الصدارة لدى الراي العام المصري . ويمكن أن نعتبر ان فلسطين كانت محك الصراع المباشر بين الحركة الوطنية المصرية وبين الاستعمار الجديد الممثل في الولايات المتحدة . وكان الصراع بين الاستعمارين البريطاني والامريكي من اجل الاستحواذ على الشرق الاوسط بامكانياته الاستراتيجية والبترولية ومحاولة التركيز على فلسطين باعتبارها المحور الذي سوف يمكن القادمين الجدد من تحقيق طموحاتهم وأهدافهم ، علاوة على تحرك الصهيونية نحو الولايات المتحدة باعتبارها السيد الجديد القوي وانتقال الولاء الصهيوني من بريطانيا الى أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية . كل ذلك كان مدرسة تلقت فيها الحركة الوطنية المصرية دروسا هامة في فهم دورها كجزء من قوى التحرر العربية في مواجهة الخصوم الجدد والتقليديين معا ، اي امريكا وبريطانيا والصهيونية .

واذا ما حاولنا ان نتعرض لموقف مصر الرسمي من قضية فلسطين منذ مطلع الاربعينات وحتى نشوب حرب ١٩٤٨ ، فاننا سوف نجد الملامح الرئيسية لهذه السياسة في كلمة القاهرة التي القاها عبد الرزاق السنهوري ممثل المملكة المصرية في مؤتمر فلسطين الذي عقد بلندن في نهاية عام ١٩٤٦ . ويمكن تلخيص الموقف المصري في ثلاث نقاط جوهرية :

اولا : رفض مصر القاطع لاي شكل من اشكال التقسيم او اقامة دولة يهودية في هذا الجزء من العالم .

ثانيا : ان مصر لن تقف سلبيا حتى يصير الخطر اليهودي للعالم العربي حقيقة واقعة .

ثالثا : رفض اقتراح اللجنة الانجلو امريكية الخاص بتحويل فلسطين الى دولة اتحادية تتكون من الدولة العربية والدولة اليهودية باعتبار ان التقسيم ليس حلا يمكن فرضه الا اذا كان هناك استعداد للابقاء عليه بالقوة . واكد السنهوري ان اليهود صمموا على تهويد فلسطين من خلال الهجرة وشراء الاراضي ثم التقسيم . وقد أوضح ممثل مصر في المؤتمر كيف زاد عدد اليهود من خلال الهجرة من ٥٠ الف في مطلع الانتداب الى ٦٠٠ الف عند انعقاد المؤتمر . وكذلك بالنسبة للاراضي فقد اشترى وانتزع اليهود حتى ذلك الوقت اكثر من ٢ مليون دونم واصبح متوسط ما يملكه اليهودي ٢٠٠ دونم مقابل ٨ دونمات فقط لكل عربي . ومعنى ذلك ان ملكية اليهود للاراضي قياسا الى اعدادهم اصبحت تزيد على ملكية العرب بمقدار ٢٥ر٥ . وفيما يتعلق بالتقسيم اوضح السنهوري أنه غير عملي وصعب التحقيق ، كما انه مرفوض من الحكومة المصرية رفضا باتا . ثم ختم المندوب المصري كلمته بتأكيد عروبة فلسطين وطالب بمنحها حق تقرير المصير واكد عدم اعتراف مصر بحق اليهود في اقامة وطن قومي خاص بهم في فلسطين . كما طالب بوقف الهجرة اليهودية تماما وبصورة عاجلة لانها تشكل اهم جوانب المشكلة الفلسطينية (٦) .

ذلك كان موقف مصر الرسمي من فلسطين الذي اعلنته في مؤتمر لندن . ولكن كانت الساحة المصرية تشهد في ذلك الحين احتدام المعركة بين الحركة الوطنية المصرية في مواجهة السراي والاحتلال والحكومة الصدقية بسبب مشروع صدقي بيفن . ومع فشل مشروع صدقي بيفين اتضحت خيوط الموقف الغربي من القضية الفلسطينية والقضية المصرية في آن واحد . فقد ادعت

بريطانيا في فبراير ١٩٤٧ أنها غير قادرة على حل المشكلة الفلسطينية وانها سوف تعرض الامر على الامم المتحدة لكي توصي بما تراه . والواقع أن الموقف البريطاني كان ترجمة عملية للاتفاق الذي تم بين بريطانيا والولايات المتحدة والذي يقضي بأن تترك فلسطين للولايات المتحدة من خلال تمكين الصهيونية منها ، وان يبقى الانجليز في مصر ، وبهذا زاد تمسك بريطانيا بالبقاء العسكري في مصر .

وفي ابريل ١٩٤٧ طلبت بريطانيا من السكرتير العام للامم المتحدة ادراج قضية فلسطين في جدول اعمال الجمعية العامة في دورتها العادية ، وانتهت جولة القضية داخل الامم المتحدة بتشكيل لجنة تحقيق سميت لجنة فلسطين ، اقترحت في التقرير الذي اعدته تقسيم فلسطين وانشاء دولتين احداهما للعرب والاخرى لليهود . وقد تابع الراي العام المصري جميع مراحل بحث القضية الفلسطينية داخل الامم المتحدة والتي انتهت بقرار التقسيم في نوفمبر ١٩٤٧ . وقد كان لهذا القرار صداه في الشارع المصري اذ اجتاح الجماهير سخط عارم وبدات الاضرابات والمظاهرات ـ منذ بداية نظر القضية أمام الجمعية العامة . وقد كان اضراب ١٧ سبتمبر ١٩٤٧ هو البداية ودعت اليه احزاب مصر الفتاة والاخوان المسلمون والحزب الوطني . وفي دمشق وبيروت أعلن عن اعتبار يوم ٤ اكتوبر يوم فلسطين وتم الاضراب يومها هناك ، واعلنت مصر في ذلك اليوم حالة الطوارىء وتم تشكيل الهيئة العليا لوادي النيل لانقاذ فلسطين التي قامت بتنظيم حملات للتبرع والدعوة لانشاء كتائب التحرير (٧) .

ومنذ تلك اللحظة بدات شعارات الكفاح المسلح ضد الصهيونية تطرح نفسها بحدة على الساحة المصرية وانقسمت ازاءها القوى الوطنية . فالوفد رغم اعتراضه الكامل على قرار تقسيم فلسطين فانه لم يرفع شعار الكفاح المسلح كما لم يدع الى انشاء كتائب لتحرير فلسطين بل تبنت هذا الموقف كل من جماعة الاخوان المسلمين ومصر الفتاة ، اذ نظر كلاهما الى فلسطين كمجال لحرب

مقدسة وطنية ودينية ضد الصهيونية . وقد أعلن حزب مصر الفتاة عن تأليف عدة أنواع للنضال ضد الصهيونية في فلسطين وسافر أحمد حسين مع هذه الافواج الى سوريا باعتبارها خط الدفاع الاول عن فلسطين . كذلك الف الاخوان كتائب للجهاد واقاموا معسكرا للجبهة الجنوبية بفلسطين (٨) .

أما عن موقف اليسار المصري من تطورات القضية الفلسطينية في ذلك الحين فقد عارضت طليعة العمال والفلاحين قرار التقسيم وكانت تؤيد الدخول في الحرب ضد اقامة الدولة اليهودية . ولكن أيدت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حديتو) قرار التقسيم وعارضت الدخول في الحرب من أجل فلسطين . بل كانت ترى ان الكفاح المسلح يجب أن يوجه ضد بريطانيا وليس من أجل هذه الحرب في فلسطين (٩) . وفي ٢١ ديسمبر ١٩٤٧ أصدرت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني بيانا اوضحت فيه موقفها من التقسيم والحرب وعلقت على موقف الحكومات العربية وفسرت تأييدها لدخول الحرب من أجل فلسطين بانه محاولة لصرف أنظار الجماهير الكادحة عن الكفاح في سبيل حل مشاكلها الاجتماعية والوطنية الى امر خارجي ينسيها هذا الكفاح .

وقد دفعت الحركة الشيوعية بسبب هذا الموقف ثمنا غاليا من رصيدها الشعبي وتعرضت لهجوم عنيف من جانب مصر الفتاة والاخوان المسلمين اذ طعناها في وطنيتها واتهماها بالتبعية للاتحاد السوفييتي الذي أيد قرار التقسيم أيضا .

قرار اشتراك مصر في حرب ١٩٤٨

لقد وصلت الاوضاع الداخلية في مصر الى ذروة تأزمها بسبب فشل المفاوضات المصرية الذي اعقبه الفشل الثاني عند عرض القضية المصرية في مجلس الامن، فضلا عن تصاعد الازمة الاقتصادية وانتشار الاضرابات والمظاهرات الشعبية . وكان لا بد للسلطة السياسية المصرية من البحث عن مخرج . وكانت القضية

الفلسطينية بما وصلت اليه من تطورات معقدة تمثل مخرجا ملائما للنظام المصري ، اذ كان قرار الاشتراك في الحرب من أجل تحرير فلسطين من الصهيونية بمثابة طوق الانقاذ للسراي والحكومة كما انه صادف استجابة جماهيرية بعيدة المدى . ولكن العقبة الوحيدة التي كانت تحول دون اتخاذ القرار هو سوء أحوال الجيش المصري وعدم استعداده للدخول في حرب على ارض فلسطين . والواقع أن الملك قد وجد في المسالة الفلسطينية ما يمكنه من استرداد بعض سمعته ، فضلا عن حرصه على أن يبني لنفسه زعامة عربية في مواجهة العائلة الهاشمية في العراق والاردن .

ولذلك أوعز الملك الى وزير الدفاع المصري باصدار اوامره الى الجيش بالتحرك دون علم رئيس الوزراء ودون انتظار موافقة البرلمان أو مجلس الوزراء . ورغم أن النقراشي رئيس الوزراء المصري آنذاك كان مصرا على عدم اللجوء الى القوة المسلحة حتى لا يدفع الجيش المصري الى الهلاك بسبب وجود القوات البريطانية المرابطة في منطقة السويس وراء ظهره . ولكن فجأة تغير موقف النقراشي وطلب عقد جلسة عاجلة للبرلمان للحصول على موافقته على الاشتراك في الحرب (١٠) . ويعزى التحول في موقف النقراشي الى رغبته في عدم نشوب أزمة دستورية فضلا عن ان استمرار معارضته لدخول الجيش المصري معركة فلسطين كان سوف يؤخذ على انه خيانة وطنية كبرى .

وقد دخلت مصر الحرب مع الاردن وسوريا والعراق في ١٥ مايو ١٩٤٨ لانقاذ فلسطين . وكان الجميع يتوقعون أن تنتصر القوات العربية وان الجرب ستكون نزهة لن تستغرق اكثر من أيام . وفعلا بدات انتصارات الجيش المصري المحارب في فلسطين . وخلال اسبوعين وصل الجيش المصري الى مشارف تل ابيب وبدات البلاغات العسكرية المصرية تتخذ لهجة حاسمة وهي تعلن للراي العام ان القضاء على اسرائيل اصبح قاب قوسين . ولكن فجأة

بدات اخبار انتصارات الجيش المصري في فلسطين تتباعد وبدات الضغوط الدولية حيث بدأت الهدنة الاولى وقبلتها الدول العربية .

وعندما استؤنفت الحرب بدأ الصهاينة يحققون انتصارات متوالية ثم تبعتها هدنة ثانية وحرب ثانية . ولكن اصبح واضحا هذه المرة ان القوى التي تقف وراء اسرائيل قوة ضخمة ومريبة وان القوى التي يستند اليها العرب لا تعدو أن تكون قوة محلية ضعيفة مهتزة تفتتها الصراعات الخاصة .

هـــوامش

١ ــ انظر / فلاح خالد علي / فلسطين والانتداب البريطاني ــ رسالة ماجستير غير منشورة كلية الاداب ـ جامعة القاهرة ١٩٧٦ ـ الفصل الثالث .

، اميل تومـــا : مرجع سابق ص ٢٨١ ــ ٢٨٥

، عبد القادر ياسين : كفاح الشعب الفلسطيني قبل عام ١٩٤٨ ــ مركز الابحاث الفلسطينية ــ بيروت ــ مايو ١٩٧٥ ص ٢٠٦ .

٢ ــاميل توما : مرجع سابق ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

٣ ــ فلاح خالد : مرجع سابق الفصل الثالث .

٤ ــ اميل توما ــ مرجع سابق ص ٣٠٠ .
وفلاح خالد ــ مرجع سابق ــ الفصل الخامس .

٥ ــ رابطة الشباب ١٩٤٧/٣/٢٠

٦ ــ ملف الوثائق الفلسطينية الجزء الاول ١٩٣٧ ــ ١٩٤٩ ــ الهيئة العـــــامة للاستعلامات القاهرة ١٩٧٠ ، ص ٧٩٦ ــ ٧٧٠ .

٧ ــ الاهرام اعداد شهر يناير ١٩٤٨ .

٨ ــ الاهرام ١٩٤٨/١/٢٧

٩ ــ انظر الجماهير ١٠/١٩ ، ١٩٤٧/١١/٢٢

١٠ ــ انظر طارق البشرى ــ مصدر سابق ص ٢٦٦ .

٧

الصَّحافة المصريَّة وفلسطين في الاربعينات

١ ـ صحيفة المصري :

رغم ان المسألة المصرية وعلاقة مصر ببريطانيا شغلت معظم صفحات « المصري » في السنوات الاولى من مرحلة الاربعينات فقد بدأت انباء فلسطين تلقى اهتماما متزايدا من جانب الصحيفة خصوصا في النصف الاخير من عام ١٩٤٧ . وتدريجيا بدأت القضية الفلسطينية تلقى اهتماما يوازي اهتمام « المصري » بالمسألة المصرية . وقد ابدت « المصري » اهتماما ملحوظا بمتابعة موقف بريطانيا من القضية الفلسطينية أثناء عرضها على الامم المتحدة ، وشنت هجوما حادا على بريطانيا وحملتها مسئولية انتزاع فلسطين من أيدي ابنائها وتسليمها للصهيونية بتسهيل الهجرة اليهودية وانتزاع الاراضي من أيدي العرب . وكانت المصري دائما تبدي تشككها في الوعود البريطانية الخاصة بانسحابها من فلسطين . وقد نددت المصري بالوثيقة (١) التي قدمها أسقف بيروت الى لجنة التحقيق التي انتدبتها الامم المتحدة لوضع تقرير عن المسألة الفلسطينية . ويرجع سبب رفض المصري لهذه الوثيقة الى ما جاء بها من أن فلسطين قد أحرزت تقدما كبيرا بفضل الاستعمار الصهيوني . كما اقترحت الوثيقة انشاء وطن مسيحي في لبنان ووطن يهودي في فلسطين . وقد علقت الصحيفة على ذلك (بأن هناك أيد اجنبية عن العرب قد بدأت تلعب في الخفاء) (٢) .

وتعرب المصري عن قلقها المتزايد ازاء تدفق الهجرة اليهودية على فلسطين ، وتنشر أخبار الافواج اليهودية في الصفحات الاولى

منذرة ومحذرة من العواقب السيئة التي سوف تترتب على ذلك . كذلك ابدت المصري حماسها وتشجيعها لقرارات الجامعة العربية التي اتخذتها في بيروت بخصوص التدخل العسكري العربي لانقاذ فلسطين (٣) ، على اساس أن تحرير فلسطين لن يتم الا بقوة السلاح . وتواصل المصري ثناءها على اللغة الجديدة التي بدأ يتعامل بها العرب مع العالم .

ويلاحظ في نهاية عام (١٩٤٧) طغيان اخبار فلسطين على صفحات المصري سواء ما يتعلق بالموقف العربي أو الدول الشرقية من القضية أو انسحاب انجلترا من فلسطين والاموال التي تجمع لليهود من امريكا .. .الخ .

وتهاجم المصري موقف الضعف الذي يتخذه رئيس وزراء مصر اتجاه القضية الفلسطينية وانقاذها على اعتبار أن رؤساء وزراء الدول العربية جميعا قد تحدثوا عن مواقفهم باستثناء رئيس الوزراء المصري (٤) .

وفي اطار اهتمامها بالقضية الفلسطينية والتدخل العسكري من جانب الدول العربية لتخليص فلسطين من الصهيونية دعت المصري الى تسليح جيش مصر من اجل انقاذ فلسطين ، وطالبت الصحيفة بأن (يكون جيشنا على أهبة الاستعداد للقيام بواجبه على الوجه الاكمل ـ لقد كان الاستعداد العربي للدفاع عن فلسطين فرصة عرفت بها الحكومة وادرك منها الرأي العام الحاجة السريعة الى تقوية الجيش المصري) (٥) .

كانت المصري تنشر بعض التعليقات على الدعاية الصهيونية وتحاول من خلالها اثارة قضية دور مصر والعرب لمساندة شعب فلسطين ، كأن تقول مثلا : لقد حلق مرشح الجمهورية للكونجرس في الجو فوق مقر هيئة الامم المتحدة وأخذ يلقي منشورات يطالب فيها الامم المتحدة اعطاء فلسطين لليهود ثم تتساءل الصحيفة : (هذا ما يفعله الصهيونيون لقضية غير مشروعة فماذا فعلنا نحن لقضيتنا المشروعة ؟ !) (٦) .

هذا وقد شنت المصري هجوما حادا على موقف اعضاء الامم المتحدة من فلسطين وخصوصا الولايات المتحدة والدول الغربية التي تساند التقسيم ، وكانت ترى انهم لا زالوا مصممين على انتهاج الطريق الخاطىء بمساندتهم للصهيونية ووقوفهم من حقوق العرب موقف الخصم الالد . وهنا تكرر المصري ثناءها على الموقف العربي والقرارات التي اتخذتها الجامعة العربية بشأن استعداد الدول العربية للتدخل العسكري من أجل انقاذ فلسطين ، وتعتبر ان هذا هو الرد الوحيد على الدول الغربية وموقفها العدائي من العرب (٧) .

وقد كانت الافتتاحيات والمقالات هي القوالب الصحفية الرئيسية التي تناولت « المصري » من خلالها القضية الفلسطينية في الاربعينات مع عدم تجاهل القوالب الخبرية .

صحيفة صوت الامة وفلسطين : ـ

تعكس صحيفة صوت الامة باعتبارها لسان حال الجناح اليساري في حزب الوفد ادراكا صحيحا لطبيعة الصراع العربي الصهيوني الدائر في فلسطين . وتخلو كتاباتها من النغمة العنصرية. كما أنها تضع البعد الديني للقضية في اطاره الصحيح . ويبرز ذلك من خلال متابعة كتاباتها عن القضية الفلسطينية في الاربعينات . ورغم أن حجم الاهتمام بالقضية الفلسطينية ليس كبيرا لدى صوت الامة فان كتاباتها تتميز في هذا الصدد بنغمة راديكالية واضحة . فهي تطرح القضية كجزء من قضايا الشعوب العربية في مواجهة الصهيونية التي تعتبر جزءا من النظام الاستعماري العالمي .. وترى أن الحل لن يكون الا بالسيف . وتحاول الصحيفة في أكثر من مقال للدكتور محمد مندور تفنيد الاساس الديني الخاطىء الذي تحاول الصهيونية أن تقيم دولتها على اساسه ، وتؤكد استحالة اندماج هذه الدولة المزعومة الواقعة في قلب العالم العربي مع دول هذه المنطقة .. ويرى الدكتور مندور كاتب هذه المقالات أن الحل

الحقيقي الوحيد هو الذي يتمثل في دستور فلسطين الذي قدمته الدول العربية الى مؤتمر لندن سنة ١٩٤٦ (٨) . ومما يجدر ذكره أن صحيفة صوت الامة من الصحف المصرية القليلة التي كانت تفتح صفحاتها للكتاب الفلسطينيين في مصر .

صحيفة «الاخوان المسلمون» وفلسطين : —

كان المقال هو القالب الصحفي الرئيسي الذي تناولت صحيفة «الاخوان المسلمون» من خلاله القضية الفلسطينية في الاربعينات وتحت عنوان ثابت (أخبار العالم العربي والاسلامي) كانت أنباء فلسطين تنشر بانتظام (٩) . ورغم غلبة الطابع الديني على معظم الكتابات التي نشرتها صحيفة الاخوان عن الصراع الدائر في فلسطين فان بعض هذه الكتابات كانت تعكس وعيا سياسيا شاملا بأبعاد القضية ورؤية تنبؤية عن احتمالات تطورها في المستقبل . مثال ذلك المقال الذي كتبه علي قطب الشريف وهو أحد الكتاب البارزين في الصحيفة وخصوصا في القضية الفلسطينية . ويتضمن هذا المقال تعليقا للكاتب على اقتراح امريكا بوضع فلسطين تحت الوصاية والرجوع عن قرار التقسيم . يحاول الكاتب أن يكشف الخدعة المزدوجة التي تقوم بها امريكا لارضاء العرب ظاهريا مع العمل على تحقيق آمال الصهيونية في اغتيال فلسطين واستخلاصها من أيدي العرب وتثبيت أقدام بريطانيا مرة اخرى وفتح أبواب الشرق الاوسط لمنح امريكا فرصة السيطرة على البترول من ناحية والتربص بروسيا من ناحية اخرى . ويؤكد الكاتب في نهاية مقاله تمسك العرب باستقلال فلسطين وعروبتها (١٠) .

يلاحظ على كتابات الاخوان المسلمين في صحيفتهم الرسمية التأكيد على الحلول الاخلاقيـة والتمسك بالدين (اذا كان الخصم يواجهنا بالسلاح المادي فلدينا سلاح الايمان بالحق والوحدة من حوله) (١١) . (أنه بغير العقيدة وبغير الايمان والاسلام لن يكون النصر لفلسطين) (١٢) .

تتردد نغمة عنصرية في أغلب كتابات صحيفة « الاخوان المسلمون » خصوصا عند التحدث او الاشارة الى الصهيونية واليهود (ان الصهيونيين أقذر شعب وجد على ظهر الارض وهم مجموعة من الخونة والمخربين) (١٣) .

رغم ان هناك خلطا واضحا في كتابات الصحيفة بين العروبة والاسلام فان مما يجدر الاشارة اليه ذلك الفهم الصحيح للبعد العربي للقضية الفلسطينية الذي كانت تؤكده الصحيفة في معظم مقالاتها . مثال ذلك ما كانت تؤكده من (أن كل مقصر في حق فلسطين متنكر لعروبته مارق في دينه دعي في قوميته) (١٤) .

ويغلب على كتابات «الاخوان المسلمون» الالحاح على المسلمين بضرورة التبرع من أجل فلسطين (أن الله قادر على تحريرها دون اموالكم ولكن عليكم التبرع لعلكم تنجون من غضب الله والناس) (١٥) .

ويلاحظ على اهتمام الصحيفة بالقضية الفلسطينية في الاربعينات انها لم تفقد الامل مطلقا في امكانية أن تقوم الحكومات العربية والجامعة العربية بدور أساسي في تحرير فلسطين من الصهيونية . ولذلك تكثر نداءات الصحيفة ومناشدتها للجامعة العربية أو الحكومات بتبني هذا الموقف او ذاك .. وان كان ذلك الموقف لم يمنعها من طرح بعض الحلول الصحيحة للمسألة الفلسطينية : فهي ترى أن الحل يكمن في ضرورة تضامن العرب من أجل تخليص فلسطين من أيدي اليهود على أن يعيش هؤلاء اليهود وفلولهم تحت حكم عربي عادل يقوم اهل فلسطين بتحديد شكله في استفتاء تجريه الجامعة العربية . (١٦) كذلك يبدو الخلط واضحا بين اليهودية كدين والصهيونية كحركة سياسية في معظم كتابات صحيفة « الاخوان المسلمون » (كل يهودي صهيوني وكل صهيوني يهودي) . (١٧) .

صحيفة مصر الفتاة وفلسطين : ـ

يلاحظ ان القضية الفلسطينية كانت محورا لاغلب التحقيقات والانباء والمقـالات التي كانـت تنشرها صحيفـة مصر الفتـاة في الاربعينات . ولكن كان هذا التدفق في النشر يرتبط غالبا بفترات المد التي شهدتها القضية في مرحلة الاربعينات . على انه يلاحظ في فترات الانحسار قلة مـا تنشره مصر الفتـاة عن القضيـة الفلسطينية حتى يكاد يصل الى العدم ، مما يشير الى ان اهتمام مصر الفتاة الاعلامي بالقضية لم يزد عن كونه ظاهرة موسمية او ردود فعل وقتية في كثير من الاحيان . ومن ابرز سمات اهتمام مصر الفتاة بالقضية الفلسطينية في تلك المرحلة ما يلي : ـ

١ ـ الدعوة الدائمة للاغنياء الى التبرع بالاموال والاسلحة والتطوع في صفوف المجاهدين (ان فلسطين في حاجة الى الاموال والمجاهدين والى الاسلحة .. أما غير ذلك من المسائل فهي اساليب رخيصة تضر ولا تنفع فلنتعلم قليلا من اعدائنـا الاستعماريين) (١٨) .

٢ ـ كان احمد حسين رئيس تحرير صحيفة مصر الفتاة أكثر كتاب الصحيفة اهتماما بالقضية الفلسطينية رغم أن كتاباته كانت تتميز بالاسلوب الانشائي والمبالغات . وقد داب على توجيه النقد اللاذع للحكومات العربيـة التـي لم تقدم للقضيـة الفلسطينية سوى الضجيج الفارغ دون أن تتحرك بجدية لانقاذ شعب فلسطين . ويحاول احمد حسين ان يضرب المثل بنفسه فيقرر الذهاب لتأدية واجبه كجندي في جيش انقاذ فلسطين (١٩) .

٣ ـ دابت مصر الفتاة على توجيه هجوم متصل الى الجامعة العربية وتحميلها مسئولية تطورات المأساة الفلسطينية في الاربعينات خصوصا وأن الشعب الفلسطيني قد اعتمد على القوة العربية سواء الممثلة في الجامعة العربية أو الحكومات ولكنه لم يلق

الا الخذلان . وترى الصحيفة ان الاحجام العربي يرجع الى الخوف من هزيمة الجيوش لكن الجيوش العربية لا تمد عرب فلسطين حتى بمجرد السلاح . وتطرح مصر الفتاة في مقابل هذا العجز الذي تبديه الحكومات والجامعة العربية مسئولية الشعوب العربية (فان العبء الاكبر من هذا الواجب سيصبح واقعا على كاهل الشعوب العربية واحزابها ومنظماتها) (٢٠) . ولذلك كانت مصر الفتاة توجه نداءاتها دائما الى الشعوب العربية .

٤ ــ لم تتوقف النبرة العنصرية في كتابات مصر الفتاة : فهي تطالب باعتقال اليهود وسحقهم انتقاما للجرائم البشعة التي ارتكبوها في حق الفلسطينيين وخصوصا بعد وقوع مذبحة دير ياسين (٢١) .

٥ ــ أبدت مصر الفتاة حماسا ملحوظا لكتائب المتطوعين من الدول العربية . واعتبرت ذلك بادرة ايجابية لحل المشكلة الفلسطينية . وقد عززت ذلك بكتابات احمد حسين الذي طالب بضرورة تدخل الجيوش النظامية الى جانب المتطوعين وخصوصا بعد سقوط حيفا في ايدي اليهود .

صحف اليسار المصري وقضية فلسطين : ــ

يمكن القول ان نشاط اليسار المصري تجاهالقضية الفلسطينية في الاربعينات كان يدور حول محورين رئيسيين أولهما الكفاح ضد الصهيونية ومحاولة عزلها عن جماهير اليهود في مصر مع العمل على كشف علاقاتها المريبة مع السلطات المصرية آنذاك . وثانيهما الكفاح ضد الدعاوى العنصرية وكشف الاخطار التي تحملها ضد حركة التحرر الوطني الفلسطينية والعربية . وقد تبلورت رؤية اليسار المصري لحل المشكلة الفلسطينية في أمر واحد هو (جلاء الجنود البريطانيين عن فلسطين وقيام فلسطين الحرة الديمقراطية

التي تستطيع في ظلها جماهير العرب واليهود ان تحل مشاكلها وان تعيش في سلام ووئام لصالح الملايين لا لصالح حفنة من الاحتكاريين) (٢٢) .

هذا وقد حاولت صحف اليسار المصري أن تعكس هذا الموقف المبدئي على امتداد مرحلة الاربعينات . فكانت مجلة الفجر والضمير تمثلان وجهة نظر منظمة العمال والفلاحين في الفترة الزمنية المتدة من ١٩٤٥ الى ١٩٤٦ . وقد لوحظ ان اغلب كتاباتهما كانت عن الصهيونية ومحاولة كشف مخططاتها في فلسطين والعالم العربي . وكانت صحيفة الفجر الجديد تنقل أحيانا عن الصحف الفلسطينية مثل صحيفة الاتحاد لسان حال الحزب الشيوعي الفلسطيني . وكانت تكثر من نشر بريد القراء الذي كان يدور معظمه حول مكافحة النشاط الصهيوني في مصر وحوادث ٢ نوفمبر ١٩٤٥ التي كان الهدف منها هو اعلان احتجاج الشعب المصري على محاولات الصهيونية لانتزاع الوطن الفلسطيني ، وقد تخللتها بعض الاعتداءات العنصرية ضد اليهود المصريين . كما شنت الفجر الجديد هجوما مكثفا على الجامعة العربية وتواطئها مع القوى الاستعمارية وخصوصا بريطانيا وامريكا ضد فلسطين . وقد برز هذا الموقف من خلال تفنيدها لموقف القوى السياسية العربية من تقرير اللجنة الانجلو امريكية وترحيبها بها وايمانها بصداقة بريطانيا وامريكا التقليدية للعرب (في حين شجبت الحركات التحريرية الشعبية في البلاد العربية نتائج التحقيق واخذت منه الموقف الوطني الصحيح ، بمقاطعة اللجنة وهذا ما فعلته بوجه خاص عصبة التحرر الوطني الفلسطيني) (٢٣) .

أما مجلة الضمير لسان حال لجنة العمال للتحرير القومي وكانت تشكل مع مجلة الفجر الجديد موقفا متكاملا لجماعة الفجر الجديد فقد كان تركيزها على اليهود المصريين ، خصوصا وان المشرفين على تحريرها وهم صادق سعد وريمون دويك ويوسف درويش كانوا يمثلون طلائع اليهود المصريين الماركسيين وقد خصصت

معظم مقالاتها لكشف حقيقة الصهيونية وعلاقتها الوثيقة بالنظم الفاشية . وكانت «الضمير» تكرر دائما ان (الصهيونية لا تمثل حلا ديمقراطيا حقيقيا لمشكلة اليهود في العالم . بل ان المشكلة اليهودية ليست سوى جزء لا يتجزأ من نضال الشعوب كافة على اختلاف اديانها في سبيل حريتها وديموقراطيتها) (٢٤) .

ومن أبرز صحف اليسار المصري صحيفة الجماهير لسان حال الحركة الديموقراطية للتحرر الوطني المعروف باسم حدتو ، وقد صدر العدد الاول منها في ٧ ابريل سنة ١٩٤٦ . واذا كانت الجماهير منبرا علنيا لحدتو فانها قد استطاعت في بعض الاحيان ان تعيد نشر النصوص الكاملة للمنشورات والبيانات التي أصدرتها قيادة التنظيم سرا ومن بينها وثائق هامة تتعلق بالقضية الفلسطينية . وقد قامت « الجماهير » بطرح الموقف المباشر والشامل لليسار المصري في فترة صدور قرار التقسيم والاعداد لقيام دولة اسرائيل والاعداد لحرب فلسطين عام ١٩٤٨ (٢٥) .

وقد واصلت حدتو مسيرة اليسار المصري في كفاحه ضد الصهيونية والعمل على كشف جوهرها العنصري وعمالتها للاستعمار من خلال العمل على توعية جماهير الطائفة اليهودية في مصر والوقوف في وجه محاولات جر الجماهير المصرية الى مواقف عنصرية ضد اليهود المصريين . وقد تمثل ذلك في اصرارها على ضرورة التمييز بين الصهيونية كحركة سياسية وبين اليهودية كدين . وتأكيدا لهذا الموقف قامت حدتو بتكوين الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية في يونيو ١٩٤٧ . وقد أصدرت هذه الرابطة بيانا اوضحت فيه اتجاهها المعادي للصهيونية وموقفها من القضية الفلسطينية وطالبت اليهود المصريين بضرورة الانضمام الى الحركة الوطنية المصرية والتضامن معها في سبيل تحقيق جميع اهدافها (٢٦) .

والى جانب كفاحها ضد الصهيونية تناولت « الجماهير » القضية الفلسطينية بكل ابعادها الوطنية والقومية والدولية ، وكانت ترى أن مشكلة فلسطين تنحصر حلها في الكفاح المشترك بين جماهير العرب واليهود معا للتخلص من الاستعمار الانجلو امريكي وانشاء دولة حرة ديمقراطية مستقلة وكانت « الجماهير » تؤكد في كتاباتها على العلاقة العضوية بين تحرير مصر وتحرير فلسطين اذ كانت تقول (ان تحرير فلسطين بل تحرير الشرق العربي يتطلب كخطوة أساسية وضرورية تحرير وادي النيل ، فوادي النيل الحر المستقل يمكن أن يعبيء القوى ويجند الملايين التي تشترك اشتراكا أساسيا في حرب يخوضها الى جانب الشعوب العربية لتحرير الشرق من نير الظلم والاستغلال والاستعمار) (٢٧) .

هـــــوامش

١ ـ انظر المصري ١٩٤٧/٩/٢٢ ١٩٤٧/٩/٢٣ ، ١٩٤٧/٩/٢٤ ، ١٩٤٧/٩/٢٦ .

٢ ـ المصري ١٩٤٧/٩/٢٩ شيئا من الصراحة .

٣ ـ المصري ١٩٤٧/١٠/١١ .

٤ ـ المصري ١٩٤٧/١٠/١٥

٥ ـ المصري ١٩٤٧/١٠/١٨ تقوية الجيش المصري

٦ ـ المصري ١٩٤٧/١٠/١٩ .

٧ ـ المصري ١٩٤٧/١٠/١٣ .

٨ ـ انظر صوت الأمة ١٩٤٨/٤/١٩ ، ١٩٤٨/٤/٢٧ ، ١٩٤٨/٤/٣٠ ، ١٩٤٨/٧/١١ .

٩ ـ الاخوان المسلمون العدد ١٨٨ ـ ١٩٤٨/٢/٢٨ (ماذا ينتظر العرب والمسلمون) .

١٠ — انظر الاخوان المسلمون ١٩٣٦/٤/٢٨ ، ١٩٣٦/٥/١٩ ، ١٩٤٨/٢/١٤ ، ١٩٤٨/٢/٢١ .

١١ — الاخوان المسلمون ١٩٤٨/٢/٢١ .

١٢ — الاخوان المسلمون ١٩٤٨/٢/١٤ ، ١٩٤٨/٣/٣٠ ، ١٩٤٨/٥/٢٦ .

١٣ — الاخوان المسلمون ١٩٤٨/٢/١٤ ، ١٩٤٨/٢/٢٨ .

١٤ — المصدر السابق .

١٥ — الاخوان المسلمون ١٩٤٨/٥/١٥ .

١٦ — الاخوان المسلمون ١٩٤٨/٥/٢٩ .

١٧ — الاخوان المسلمون ١٩٤٨/١/٥ .

١٨ — مصر الفتاة ١٩٤٨/١/١٢ .

١٩ — انظر مصر الفتاة ١٩٤٨/١/١٢ ، ١٩٤٨/٣/٨ ، ١٩٤٨/٤/١٩ .

٢٠ — انظر مصر الفتاة ١٩٤٨/٤/١٩ ، ١٩٤٨/٤/٢٦ .

٢١ — مصر الفتاة ١٩٤٨/٤/١٩ ، ١٩٤٨/٤/٢٦ .

٢٢ — الجماهير ١٩٤٧/٥/١٩ .

٢٣ — انظر الفجر الجديد يونيو ١٩٤٥ ، نوفمبر ١٩٤٥ ، ديسمبر ١٩٤٥ ، ابريل ١٩٤٦ ، مايو ١٩٤٦ . الضمير ١٩٤٥/١٠/١٧

٢٤ — الضمير ١٩٤٦/٥/٧ .

٢٥ — انظر رفعت السعيد — اليسار المصري والقضية الفلسطينية — مرجع سابق ص ٨٦ .

٢٦ — بيان الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية — القاهرة — يونيو ١٩٤٧ .

٢٧ — الجماهير ١٩٤٧/١١/٣٠ وانظر ايضا اعداد الجماهير ابريل — مايو — يونيو — اكتوبر — نوفمبر ١٩٤٧ .

الصحافة المصرية ومشروع تقسيم فلسطين ١٩٤٧ :

اجمعت الصحف المصريةبمختلف اتجاهاتها ما عدا بعض صحف اليسار المصري على رفض قرار تقسيم فلسطين الذي اتخذته الامم المتحدة في نوفمبر ١٩٤٧ . والواقع ان الامم المتحدة كانت قد قررت في مايو ١٩٤٧ تأليف لجنة تحقيق دولية تكونت من السويد وكندا واستراليا والهند وبيرو وهولندا وايران وتشيكوسلوفاكيا وجواتيمالا ويوغوسلافيا واوروجواي كلفتها ببحث القضية وايجاد حل لها . وقد زارت اللجنة فلسطين واستمعت الى شهادات القادة الصهيونيين بينما قاطعها قادة الحركة الوطنية الفلسطينية .

وقررت اللجنة الدولية بأكثريتها تقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية . اما اقليتها وتتضمن ممثلي الهند وايران ويوغوسلافيا فقد دعت الى اقامة دولة ثنائية القومية اتحادية الشكل . ثم اقرت الجمعية العامة للامم المتحدة قرار التقسيم في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ وهو يستند الى مشروع الاغلبية . وقد قابلت الدول العربية مشروعي اللجنة (اغلبية واقلية) وقرار الجمعية العامة للامم المتحدة بالرفض التام والقاطع دون ان تقدم اي بديل او حل يتفق مع توازنات القوى العالمية والمحلية ، بل اكتفت برفع شعار فلسطين عربية مستقلة موحدة .

وقد وافقت على مشروع التقسيم مجموعة الدول الاشتراكية وعلى راسها الاتحاد السوفييتي (١) . ورغم ان مشروع التقسيم وقيام دولة يهودية بفلسطين كان يمثل جزءا من الاستراتيجية التي رسمتها الولايات المتحدة لمنطقة الشرق العربي بعد الحرب العالمية الثانية فقد كان تبرير الكتلة الاشتراكية لموقف التأييد الذي اتخذته تجاه تقسيم فلسطين ينحصر في اعتباره الحل الوحيد المتاح ، وان توازنات القوى لا تحتمل حلا افضل منه . وقد تأثر اليسار المصري بموافقة الاتحاد السوفييتي على قرار التقسيم فاتخذ موقفا مماثلا . ورغم ان طليعة العمال والفلاحين قد عارضت قرار تقسيم فلسطين

وايدت الدخول في الحرب ضد اقامة الدولة الصهيونية فان الحركة الديموقراطية للتحرر الوطني (حـدتو) ايدت قـرار التقسيم وعارضت بشدة دخول مصر الحرب (٢) . وقد عكست صحيفة الجماهير موقف حدتو من التقسيم . وبررت تأييـدها لمشروع التقسيم بقولها (اننا لا نريد أن ننزع فلسطين من العرب ونعطيها لليهود بل ننزعها من الاستعمار ونعطيها للعرب واليهود ولا نوافق على التقسيم الا مضطرين كأساس لاستقلال فلسطين ثم يبدأ كفاح طويل للتقريب بين وجهات النظر فيالدولتين العربية واليهودية) (٣).

والواقع ان الحركة الشيوعية في مصر قد عانت كثيرا بسبب هذا الموقف الذي تمسكت به في وجه تيار قوي جارف مشحون بالعواطف القومية والدينية تمسك برفض قرار التقسيم وحاولت الحركة استثمار هذه المشاعر الجارفة بالعمل على توجيهها ضد العدو الرئيسي أي الاستعمار (فلنوجه سلاحنا الى الاستعمار البريطاني في فايد والقنال والسودان ولن يمكن تحرير فلسطين وظهورنا مكشوفة للعدو فلنحرر وادي النيل كي نتمكن من تحرير الشرق كله) (٤) .

على أن الراي العام المصري الذي بلغ ذروة تعلقه واهتمامه بالقضية الفلسطينية التي كانت تحرك لديه مزيجا مركبـا من المشاعر القومية والدينية ، وجد في رفض التقسيم والدعوة للكفاح المسلح ضد اقامة الدولة الصهيونية على ارض فلسطين العربية الاسلامية الوسيلة الوحيدة لمواجهة الاستعمار العالمي وعلى راسه بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية . ولذلك التقت كل التيارات السياسية على هذا الاتجاه العام الرافض لتقسيم فلسطين . وكان في مقدمة هذه القوى الوفد وجماعة الاخوان المسلمين وحزب مصر الفتاة . وقد عبرت « المصري » عن موقف الوفد من التقسيم وشنت هجوما حادا على المنظمة الدولية واعتبرتها متواطئة مع التكتل الغربي الجديد بقيادة امريكا التي تهدف الى تحويل فلسطين الى قاعدة ارتكاز لها في المنطقة العربية بجانب المملكة العربيـة

السعودية حقل البترول الكبير (٥) . وبعد صدور قرار التقسيم في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ خصصت المصري افتتاحياتها لاعلان رفضها لقرار التقسيم وتأكيد عروبة فلسطين والدعوة الى الكفاح المسلح باعتباره البديل الوحيد لفشل العرب في اقناع المنظمة الدولية بحقوقهم العادلة. اما صحف الاخوان المسلمين ومصر الفتاة فقدعبرت عن مواقف تنظيماتها التي تتسم بالتشدد الذي وصل في بعض الاحيان الى حد التعصب والطابع العنصري . وقد انتهز صالح العشماوي فرصة صدور قرار التقسيم وشن هجوما شاملا على المنظمة الدولية وبريطانيا والولايات المتحدة والدول العربية واعتبرهم جميعا مسئولين عما حدث لفلسطين ورفع شعار الجهاد المقدس على أساس انه لا حل لقضية فلسطين الا السيف (٦) . وفيما يتعلق بموقف صحيفة مصر الفتاة فقد اتسم بدرجةعالية من الانفعال والعدوانية تجاه الحكومات العربية بالذات . فقد حملتها الصحيفة الجزء الاكبر من مسئولية ما حدث لفلسطين ولم تكتف بالدعوة الى الكفاح المسلح فحسب بل بادر أحمد حسين نفسه باعلان تطوعه في صفوف المناضلين من أجل فلسطين متخذا من ذلك وسيلة لتوجيه اللوم والنقد للقادة العرب الذين لم يفعلوا لفلسطين شيئا سوى بعض الضجيج المزعج . ويعلق أحمد حسين على ذلك في احدى افتتاحيات مصر الفتاة بقوله : (كيف يستطيع زعيم أن يبعث الناس الى الميدان وهو قاعد في بيته يكتفي بالخطب والعظات .. فاذا كنت قد أسرعت الى سوريا لاتدرب فلكي أستطيع أن أحمل غيري على متابعتي) (٧) .

الصحافة المصرية وحرب فلسطين ١٩٤٨ :

تعتبر الحرب العربية الاسرائيلية ١٩٤٨ خاتمة للمؤامرة الصهيونية التي سعت منذ البداية الى اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، ولم تلبث القوى الخارجية والمؤثرات الدولية والاوضاع المحلية في المنطقة العربية وفلسطين ان ساهمت في خلق المناخ المناسب لاعلان دولة اسرائيل على حساب الشعب الفلسطيني .

وقد جاء قرار دخول مصر حرب فلسطين في ١٣ مايو ١٩٤٨ تجسيدا واقعيا لالتقاء مصالح السلطة السياسية في مصر آنذاك مع موجة الحماس الجماهيري للحرب . وكانت حرب فلسطين اول نشاط للجيش المصري في القرن العشرين يرتبط بالآمال الشعبية والوطنية ، مما جعل الجماهير تحتضن كافة العمليات العسكرية بآمالها وحماسها ، ونما لديها الشعور بانتماء الجيش أو على الاقل انتماء بعض الضباط المقاتلين الى الحركة الشعبية . وقد بدات الصحف تعبر عن هذا الاتجاه ، فتابعت الصحافة المصرية مختلف مراحل حرب فلسطين على المستوى المحلي والعربي والعالمي منذ بداية مايو ١٩٤٨ ، رغم تنوع تياراتها وتعدد انتماءاتها الرسمية والشعبية بالاخبار والبرقيات الخاصة باستعدادات الجيوش العربية للدخول الى فلسطين والفظائع التي كانت ترتكبها الصهيونية في تلك الفترة .

ويلاحظ الاهتمام المتزايد الذي ابدته صحف الوفد وهي المصري وصوت الامة بتتبع انباء الحرب وتطوراتها والتعليق عليها . وقد طغت اخبار فلسطين على صفحات صحيفة المصري حتى ان صفحة الرياضة قد تقلصت أو كادت تزول كما اختصرت صفحة الوفيات الى عمود واحد . وتخصص المصري بعض افتتاحياتها للهجوم على أمريكا خصوصا بعد اعترافها بالدولة اليهودية . كذلك تندد بموقف الاتحاد السوفييتي لنفس السبب . كما يلاحظ اهتمام المصري بالصور والخرائط والرسوم التي توضح موقف الاطراف المتحاربة (٨) . وتستنكر الصحيفة موقف مجلس الامن من القضية وتتهمه بالتخبط . ويلاحظ أن المصري كان ينشر بانتظام البلاغات العسكرية التي تصدر عن الجيش المصري ، هذا فضلاً عن تفاصيل المعارك التي كانت تدور على أرض فلسطين . هذا ولا تخفي صحيفة المصري فرحتها عند اعلانها نبأ دخول القوات المصرية مدينة الخليل وتثني على الجيش المصري وقياداته مشيرة الى (أن ما فعلته القوات

المصرية الى الآن يدل على شدة باس وعلو كعب في التكتيك الحربي وعلى أن الثقة الكبيرة التي وضعت في قواعدها كانت في محلها حقا) (٩) .

وتحمل المصري على مجلس الامن وامريكا وبريطانيا معا بسبب الاقتراح الذي قدمته بريطانيا بايعاز من امريكا بتكليف المقاتلين في القدس بوقف اطلاق النار. وقد حذرت المصري من غدر الصهيونيين ولذلك كانت ترى ضرورة الاستمرار في القتال دون الاخذ في الاعتبار لقرار مجلس الامن الذي يقضي بوقف القتال . وقد شاركت معظم الصحف المصرية صحيفة المصري في موقفها من الهدنة وحذرت وأنذرت واصرت على ضرورة الاستمرار في الحرب رغم قرار مجلس الامن . وقد تزعمت هذا الموقف صحف الاخوان المسلمين ومصر الفتاة وصوت الامة . وعندما عين الكونت برنادوت السويدي الجنسية وسيطا لحل الخلاف بين العرب والصهيونيين علقت صحيفة المصري قائلة (ان وساطة الكونت برنادوت الاولى قد انقذت اليهود من اضطهاد ظالم) مشيرة بذلك الى توسطه بين الحلفاء والمانيا النازية اثناء الحرب العالمية الثانية . واكبر الرجاء أن تكون وساطته الثانية كفيلة بانقاذ العرب من اغتصاب يهودي ظالم) (١٠) وتزف الصحيفة الى كل عربي نبأ سقوط القدس القديمة في أيدي العرب وان كانت تبدي أسفها لتهدم بعض مبانيها التاريخية وتحمل اليهود مسئولية ذلك فهم الذين حولوا مدينة السلام الى مدينة استعر فيها القتال (١١) . والمعروف أن القدس ظلت محاصرة طيلة اثنى عشر يوما من جانب القوات الاردنية .

أما القرار الثاني الذي أصدره مجلس الامن بفرض هدنة في فلسطين مدتها اربعة اسابيع فقد قوبل بهجوم كبير من جانب الصحف المصرية . وقد اجمعت هذه الصحف على أن هذه الهدنة لن تكون في صالح العرب بل سوف تعطي اليهود فرصة ذهبية لاعادة النظر في خططهم وأحوال دولتهم المزعومة ولذلك قبلوا الهدنة ورحبوا بها (١٢) .

وقد نددت صحيفة « الاخوان المسلمون » بقرار الهدنة ، وكتب صالح عشماوي يطالب برفض مقترحات برنادوت واستئناف القتال فورا ورفض مد الهدنة لفترة تالية . وعندما تعذر الغاء الهدنة وفرض وقف القتال اشتدت الصحيفة في هجومها على الانجليز والامريكان والامم المتحدة وطالبت الدول العربية بضرورة الانسحاب من المنظمة الدولية والسعي لتكوين عصبة الامم الاسلامية (١٣) . أما صوت الامة فقد استنكرت قبول العرب للهدنة واوضحت اهمية استئناف القتال في رفع معنويات الجماهير ومواصلة النضال المسلح حتى يتم تحرير فلسطين بأكملها (١٤) . وتحت عنوان (وقف القتال) نددت « المصري » بخرق اليهود للهدنة وكتبت تقول (لقد كان هذا منتظرا منهم لانهم قوم قامت سياستهم على الغدر وعلى خلف الوعد فهما صنوان) وتبرر المصري قبول العرب للهدنة بقولها (ان الشعوب العربية قبلت الهدنة على كرهٍ لانها تريد ان تثبت للعالم كله حسن نيتها ورغبتها الدائمة في صون السلام) (١٥) .

ولا تتوقف صحيفة الاخوان المسلمين عن ترديد وجهة نظرها التي تتمثل في ان قضية فلسطين لن تحل الا على ارض فلسطين ولن تحل بغير أسلوب واحد هو القوة ومنطق الامر الواقع . وترى الصحيفة ان استئناف القتال في جميع الجبهات هو الكفيل برد العدوان الصهيوني خصوصا وان العالم اليوم لا يفهم لغة المنطق والبرهان بقدر ما ينصت الى لغة القوة وصوت المدفع (١٦) .

ومن المواقف المشهودة لصحيفتي « الاخوان المسلمون » ومصر الفتاة تصديهما للدفاع عن اشتراك مصر في حرب فلسطين خصوصا بعد ان ارتفعت بعض الاصوات المصرية التي تنتمي الى قطاعات البورجوازية الصناعية تستنكر المشاركة المصرية والتضحية بالشباب المصري في حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل . وترد صحيفة مصر الفتاة على لسان أحمد حسين قائلة بأننا ما نظرنا في يوم من الايام الى قضية فلسطين باعتبارها قضية عربية بل باعتبارها قضية

مصرية بحتة ، وان الوضع في فلسطين لم يعد يحتمل اي تهاون خاصة اذا نظرنا الى الخطر الذي يمثله قيام دولة يهودية على حدود مصر . وتتساءل الصحيفة ماذا سيكون الحال اذا قامت هذه الدولة واستمرت لبضع سنوات والدول الغربية تؤازرها هذه المؤازرة . اشهد ان هذا سيكون البلاء المبين (١٧) .

اما صحيفة « الاخوان المسلمون » فقد قامت بالرد على رئيس اتحاد الصناعات المصري الذي أعلن اشفاقه على الجيش المصري ونصح بالعمل على قبول الهدنة . وهنا انبرت الصحيفة الاسلامية للدفاع عن واجب الشعب المصري والجيش المصري في الاسهام في الحرب المقدسة ضد الصهيونية . وحرصت صحيفة « الاخوان المسلمون » على كشف حقيقة العلاقة المريبة التي تربط بين باشوات مصر ورأسمالييها بالشركات اليهودية وسادتهم البريطانيين . ونعت على الشعب المصري تعاسته وبؤسه في ظل وجود باشوات يتلهون بمشاهدة الدماء والاشلاء ولا باس بأن يقوموا بدور القضاة والوسطاء ايضا (١٨) .



هـــــوامش

١ ـ انظر اميل توما ـ مصدر سابق ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ ـ جامعة الدول العربية ـ الامانة العامة ـ ادارة شئون فلسطين ـ منكرة عن مراحل تطور القضيـــة الفلسطينية ـ عام ١٩٦٠ ص ٢٦٢ .

٢ ـ طارق البشرى ـ مصدر سابق ص ٢٦٢ .

٣ ـ الجماهير ١٩٤٧/١١/٢٢ .

٤ ـ الجماهير ١٩٤٧/١٢/٧ .

٥ ـ المصري ١٩٤٧/١٠/١٩ .

٦ ـ انظر الأخوان المسلمون اكتوبر ونوفمبر ١٩٤٧ .

٧ ـ مصر الفتـــاة ١٩٤٨/١/١٢ .

٨ ـ انظر جريدة المصري طوال شهور مايو ويونيو ويوليو ١٩٤٨ .

٩ ـ المصري ١٩٤٨/٥/٢٢ .

١٠ ـ المصري ١٩٤٨/٥/٢٧ .

١١ ـ المصري ١٩٤٨/٥/٢٩ .

١٢ ـ المصري ١٩٤٨/٥/٣٠ .

١٣ ـ انظر الاخوان المسلمون ٣ ، ٧ ، ٧/١٠ ، ١٩٤٨/٧/٢٤ .

١٤ ـ صوت الامة ١٩٤٨/٧/١١ .

١٥ ـ المصري ١٩٤٨/٦/١٢ .

١٦ ـ انظر الأخوان المسلمون ١٩٤٨/٧/١٠ ، ١٩٤٨/١٠/٢٣ ، ١٩٤٨/١٠/٣٠

١٧ ـ مصر الفتاة ١٩٤٨/١٢/١٠

١٨ ـ الاخوان المسلمون ١٩٤٨/٥/٢٩ .

الخاتمة

لقد تركز هدف هذه الدراسة في محاولة قياس وتحديد اتجاهات الرأي العام المصري من خلال الصحف نحو القضية الفلسطينية في العشرينات والثلاثينات والاربعينات . اي منذ شهر يوليو ١٩٢٢ وحتى مايو ١٩٤٨ ، فهو يبدأ بالعام الذي تقرر فيه رسميا الموافقة على صك الانتداب البريطاني على فلسطين . ويعتبر هذا التاريخ البداية الفعلية لتأسيس الوطن القومي اليهودي في فلسطين. وينتهي بعام ١٩٤٨ الذي يرمز الى ضياع فلسطين العربية وقيام دولة اسرائيل فوق الاراضي الفلسطينية المغتصبة .

ولقد تطرقت الدراسة الى خوض أهم احداث القضية الفلسطينية خلال العشرينات والثلاثينات والاربعينات كما تعرضت للتيارات الفكرية والسياسية الرئيسية التي سادت المجتمع المصري في تلك الفترة وهي التيار الاسلامي والتيار المصري والتيار الشرقي ثم التيار العربي . وقد استلزم ذلك ضرورة الالمام بأوضاع الصحافة المصرية باعتبارها اداة التعبير الرئيسية عن الرأي العام المصري آنذاك ، فضلا عن دورها في تشكيل هذا الرأي وتوجيهه . ثم انتقلت هذه الدراسة الى الكشف عن علاقة الواقع المصري بمعطياته السياسية والفكرية والاعلامية بتطورات القضية الفلسطينية فحرصت على ابراز المواقف والاتجاهات التي تبنتها القوى السياسية المصرية والسلطة الحاكمة والراي العام المصري من القضية الفلسطينية منذ صدور وعد بلفور حتى لحظة تجسيده كيانا ماديا تمثل في قيام دولة اسرائيل على حساب الارض والشعب العربي في فلسطين .

وقد تبلورت الدراسة واسفرت عن النتائج التالية : ـ

١ ـ ان الاهتمام المصري بالقضية الفلسطينية كان موجودا خلال العشرينات والثلاثينات والاربعينات ولكنه كان موزعا كالتالي :

أ) كان الاهتمام بالقضية الفلسطينية محصورا في طبقة المهاجرين السوريين واللبنانيين والفلسطينيين منذ أواخر القرن الماضي حتى نهاية الحرب العالمية الاولى .

ب) كان الاهتمام محصورا في الفئات الدينية طوال العشرينات وقد كانت قضية البراق سنة ١٩٢٩ هي الحادث الاول الذي أثار اهتمام الشعب المصري بالقضية الفلسطينية على نطاق واسع . وكانت المبادرة في ذلك الموقف للفئات الاسلامية في مصر وخاصة جمعية الشبان المسلمين التي كانت تقيم اجتماعا سنويا في ذكرى وعد بلفور وتعقد المؤتمرات وتجمع التبرعات من أجل الشهداء الفلسطينيين كما كانت تتبادل الزيارات مع فروع الجمعية في المدن الفلسطينية (يافا وحيفا والقدس) ، كما أوفدت من جانبها وفدا برئاسة محمد علي علوبه وعبد الحميد سعيد للدفاع عن ملكية العرب لحائط البراق امام اللجنة الدولية التي شكلتها عصبة الامم للتحقيق في النزاع . وقد انتقل الاهتمام الى سائر التنظيمات الشعبية مثل نقابة المحامين التي قررت ايفاد مجموعة من كبار المحامين المصريين للدفاع عن الاحرار الفلسطينيين الذين اعتقلتهم السلطات البريطانية في احداث البراق .

وتعتبر الصحافة المصرية في العشرينات مؤشرا هاما للاهتمام الشعبي في مصر بالقضية الفلسطينية . ففي الوقت الذي اتسم فيه موقف الحكومات المصرية ازاء

القضية بالتخاذل وانعدام الاهتمام ، بل وصل احيانا الى حد اتخاذ مواقف معادية ، كانت الصحافة المصرية بمختلف أجنحتها واتجاهاتها تتابع باهتمام تطورات القضية الفلسطينية من كافة زواياها ، وتبدي تفهما عميقا وادراكا مبكرا للخطر الصهيوني في فلسطين والعالم العربي . وقد ساهمت بالفعل في خلق تراث من الاهتمام المصري بالقضية الفلسطينية .

ومما يجدر الاشارة اليه في هذا الصدد الفجوة التي كانت قائمة بين الاحزاب المصرية وموقفها من القضية الفلسطينية وموقف الصحف التي كانت باسمها . وابرز مثل على ذلك حزب الوفد فقد كانت صحف الوفد تبدي اهتماما وتعاطفا شديدا مع القضية الفلسطينية ، في حين كان موقف الوفد من القضية في تلك المرحلة يشوبه الغموض واللامبالاة ، وانعدام الادراك لخطورة الصراع الدائر في فلسطين ، مما يدل على أن موقف هذه الصحف من القضية الفلسطينية لم يكن يعكس الموقف الفكري أو السياسي لحزب الوفد ، وتفسير ذلك ان الصحف الوفدية لم تكن صحفا حزبية بالمعنى المتفق عليه علميا ، بل كانت مرتبطة بسياسة الوفد فيما يتعلق بالقضايا الداخلية وهما قضيتا الاستقلال والدستور . اما فيما عدا ذلك فان هذه الصحف كانت تعكس ثقافة واتجاهات رؤساء تحريرها سواء ما يتعلق بالمسائل الفكرية أو السياسية . ومع منتصف الثلاثينات بدأ الاهتمام المصري بالقضية الفلسطينية يصبح اكثر اتساعا ويضم قطاعات اوسع من الراي العام والقوى السياسية المصرية .

جـ) اما في الاربعينات يمكن القول ان فلسطين كانت محك الصراع المباشر بين الحركة الوطنية المصرية وبين

المعسكر الاستعماري بنوعيه القديم الممثل في بريطانيا والجديد الممثل في الولايات المتحدة، وكان الصراع بين الاستعمارين البريطاني والامريكي من أجل الاستحواذ على الشرق الاوسط بامكانياته الاستراتيجية والبترولية ومحاولة التركيز على فلسطين باعتبارها المحور الذي سوف يمكن القادمين من تحقيق طموحاتهم واهدافهم ، علاوة على تحرك الصهيونية نحو الولايات المتحدة باعتبارها السيد الجديد وانتقال الولاء الصهيوني من بريطانيا الى امريكا بعد الحرب العالمية الثانية ، كل ذلك كان مدرسة تلقت فيها الحركة الوطنية المصرية دروسا هامة في فهم دورها كجزء من قوى التحرر العربية في مواجهة الخصوم الجدد والتقليديين معا أي أمريكا وبريطانيا والصهيونية .

هذا وقد كان موقف مصر الرسمي من فلسطين ، والذي اعلنته الحكومة المصرية على لسان ممثلها عبد الرزاق السنهوري في مؤتمر لندن في نهاية عام ١٩٤٦ تلخيصا وافيا لموقف الراي العام المصري بجميع مستوياته الرسمية والشعبية من القضية الفلسطينية اذ عبرت مصر عن رفضها القاطع لاي شكل من اشكال التقسيم لفلسطين أو اقامة دولة يهودية في هذا الجزء من العالم . كما أعلنت عن استعدادها للحيلولة دون تحقيق الهدف الصهيوني ولو ادى ذلك الى استخدام القوة . وقد كان هذا الموقف بداية لسلسلة من الاحداث والقرارات التي اتخذت طابعا حادا تمثل أولا في الاضرابات والمظاهرات الشعبية التي ازدحم بها الشارع المصري تعبيرا عن سخط واجماع الراي العام المصري على قرار التقسيم في نوفمبر ١٩٤٧ .

وتمثل ثانيا في شعارات الكفاح المسلح ضد الصهيونية التي بدأت تطرح نفسها على الساحة المصرية منذ تلك اللحظة وانقسمت ازاءها القوى الوطنية . فالوفد رغم اعتراضه الكامل على قرار التقسيم لم يرفع شعار الكفاح المسلح ، كما لم يدع الى انشاء كتائب لتحرير فلسطين بل تبنت هذا الموقف كل من جماعة الاخوان المسلمين ومصر الفتاة . اما اليسار المصري فقد انقسم ازاء تطورات القضية الفلسطينية في الاربعينات ، اذ عارضت طليعة العمال والفلاحين قرار التقسيم وكانت تؤيد الدخول في حرب ضد اقامة الدولة اليهودية . ولكن ايدت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو) قرار التقسيم وعارضت الدخول في الحرب من أجل فلسطين .

ويمكن تحديد أبرز السمات التي تميزت بها خريطة الرأي العام المصري الرسمي والشعبي ممثلة في الصحف واتجاهاتها ورؤيتها لابعاد الصراع الفلسطيني الصهيوني على النحو التالي : —

هناك ثلاث منطلقات فكرية أساسية انطلقت منها الصحف المصرية في تصويرها للصراع وهي :

١ — الرؤية القومية .

٢ — الرؤية الدينية .

٣ — الرؤية المختلطة .

وسنتناول كلا منها بالتفصيل :

اولا : الرؤية القومية :

وهي تستند في تصوير الصراع الى ادراك واع مستنير بكل ابعاد الصراع ، من انه في جوهره صراع قومي يستهدف الفلسطينيين

شعبا ووطنا ، وان اللقاء الاستراتيجي بين المصالح الصهيونية ومصالح الاستعمار البريطاني في مرحلة تاريخية محددة قد اسفر عن هذا التحالف البريطاني الصهيوني الذي كانت بدايته وعد بلفور ثم تبلور في الجهود المشتركة بين الحركة الصهيونية وحكومة الانتداب البريطاني لوضع هذا الوعد موضع التحقيق ، وما ترتب على ذلك من صراعات وصدامات بين القومية الفلسطينية المهددة بالفناء في جانب والتحلف البريطاني الصهيوني في جانب اخر .

وكانت تتبنى هذه الرؤية بعض الصحف الوفدية واليسارية ، وخصوصا صحيفة صوت الامة لسان حال الطليعة الوفدية التي كانت تطرح القضية كجزء من قضايا الشعوب العربية في مواجهة الصهيونية التي تعتبر جزءا من النظام الاستعماري العالمي ، وصحيفة الحساب والجماهير والفجر الجديد لسان حال اليسار الماركسي كذلك فان صحف السياسة لسان حال الاحرار الدستوريين والاهرام والاتحاد ، الناطقة باسم حزب الاتحاد الذي كان يمثل وجهة نظر السراي ، كانت تتبنى هذه الرؤية مع بعض التحفظات ، اذ كانت ترى ان الاستعمار البريطاني هو الذي وضع مشروع الوطن القومي اليهودي وهو الذي يؤازره ويعمل على تنفيذه في فلسطين ، وهو الذي يظاهر اليهود على العرب ، وان الاستعمار البريطاني لم يبعث باليهود الى فلسطين حبا باليهودية او تنفيذا لفكرة انسانية ، ولكن لكي يجعل من فلسطين بركانا من القلاقل والاضطرابات ويخلق فيها حالة سياسية تقتضي دائما وجوده وسيطرته .

ثانيا : الرؤية الدينيـة : ـ

وهي تصور الصراع على أنه صراع بين اليهودية والاسلام، وانه يستهدف انتزاع بيت المقدس من ايدي المسلمين ، وهدم المسجد الاقصى كي تقيم اليهودية على انقاضه هيكل سليمان . وهي تنظر الى الصهيونية باعتبارها حركة تهدف الى الاستيلاء على أرض الميعاد بقوة المال وقوة الحراب وانشاء مملكة يهودية تعيد مجد ملوك

اسرائيل . وتتبنى هذا الاتجاه صحيفتا كوكب الشرق (والاخوان المسلمون) . فهؤلاء يردون الصراع الى اسباب دينية اذ يرون أن بريطانيا تهدف بسياستها الى أبعد من ايجاد وطن لليهود أو اراحتهم من التشتت والتفرق في انحاء الدنيا ، بل تدفع بهم الى هذه البقعة لاغراض دينية ، فلعلها تريد ان تصل بمسألة حكم بيت المقدس الى نهاية حاسمة لا تتجدد . ويعتقدون أن بريطانيا قد اختارت اليهود للقيام بهذا الدور لانها تعلم جيدا بأنها لو دفعت بأفواج المسيحيين الى فلسطين فانهم سوف يمتزجون مع العرب ويؤلفون وحدة تفسد على بريطانيا مخططها ولذلك استعانت بريطانيا باليهود لما لهم من ظروف وتكوين خاص يجعلهم ينفرون من التآلف مع اي شعب اخر .

وتتبنى مجلة الاتحاد الاسرائيلي لسان حال اليهود القرائين الرؤية الدينية ولكن لتبرير انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين . اذ انها تتبنى الرؤية الصهيونية القديمة التي تدور حول العودة الى أرض الميعاد التي تحدث عنها العهد القديم .

٣ ـ الرؤية المختلطة :

أي التي تستند الى العاملين الديني والقومي في تفسيرها للصراع في فلسطين : فهي تصور الصراع من الزاوية الدينية وترى أن الصهيونية قائمة على فكرة دينية وسياسة مذهبية لا تتفق مع ظروف العصر . وكانت تدرك ان بريطانيا هي الاصل في الصراع ولكنها كانت تهتم بالتركيز على الجوانب الدينية في الصراع . وكانت تتبنى هذا الاتجاه الوطن والبلاغ وكوكب الشرق والشورى .

وقد طرحت الصحف المصرية أربعة حلول لحسم الصراع الدائر في فلسطين ..... :

١) حل ينحاز الى الجانب الفلسطيني

وتتبناه معظم الصحف المصرية وخصوصا الاهرام والبلاغ وكوكب الشرق والحساب والاخوان المسلمون والوطن وصوت الامة ومصر الفتاة والجماهير والفجر الجديد . ولكن تتباين اتجاهات الصحف داخل اطار هذا الحل ، فالاهرام تؤيد الحركة الوطنية الفلسطينية ولكنها لا تؤيد الالتجاء الى العنف ، بل ترى أنه كلما ابتعد الوطنيون الفلسطينيون عن استخدام العنف فان حجتهم ستظل قوية ويبقى صوتهم عاليا مسموعا ، ولا بد لهم أن يروا يوما ثمرة جهادهم واتحادهم . أما الوطن فقد كانت تؤكد في معظم مقالاتها على صلابة الحركة الوطنية الفلسطينية ووحدة المسلمين والمسيحيين في فلسطين واصرارهم على مقاومة انشاء الوطن القومي لليهود ولو أدى ذلك الى فنائهم . وتطرح البلاغ حلا لا يقتصر على النضال السياسي فحسب بل يعتمد أيضا وبنفس الاهمية على العامل الاقتصادي ، فكانت تهيب بالفلسطينيين أن يتجهوا بكل قواهم الى احياء المشروعات الوطنية وانشاء الشركات الصناعية والتجارية ، اذ لا يجب أن يعتمدوا فقط على تفوقهم السكاني ونظامهم السياسي ، بل لا بد من دخولهم حلبة المنافسة الاقتصادية مع الصهيونيين حتى لا ينفرد الصهيونيون بالزعامة الاقتصادية التي ستمكنهم من بلوغ الزعامة السياسية .

أما صحيفة الاخوان المسلمين فقد كانت تؤكد على الحلول الاخلاقية والتمسك بالدين ، ولم تفقد الامل مطلقا في امكانية أن تقوم الحكومات العربية والجامعة العربية بدور أساسي في تحرير فلسطين من الصهيونية . ولكن يلاحظ انها التقت مع صحف كل من مصر الفتاة وصوت الامة (الطليعة الوفدية) والفجر الجديد (طليعة العمال والفلاحين الماركسية) في رفع شعار الكفاح المسلح لتحرير فلسطين من الصهيونية .

حل ينحاز الى الطرف الصهيوني :

وتتبناه السياسة (الاحرار الدستوريون) والاتحاد (السراي) والمقطم (الاحتلال البريطاني) بالاضافة الى الصحف الصهيونية (اسرائيل والشمس والاتحاد الاسرائيلي) وترى ان انشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين هو الحل الاوحد المطروح لمشكلة اليهود في العالم ، وان حياة فلسطين قد بلغت من الازدهار والقوة خلال السنوات التي تدفقت فيها الهجرة اليهودية مصحوبة برؤوس الاموال مما لا يمكن اغفاله ، وانه من الخطأ البين الاعتقاد بأن فلسطين اصبحت مأوى للفقراء والمشردين . ولذلك فان انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين يعد فاتحة عهد جديد فيها وسيكون هذا العهد حافلا بالعجائب والمدهشات .

٣ ـ حل ينحاز الى الطرف البريطاني :

وتتبناه المقطم والسياسة والاتحاد ... بالرغم من كل السلبيات والصعوبات التي احاطت بالتجربة الصهيونية في فلسطين فان هذه الصحف كانت شديدة الثقة في كفاءة الحكم البريطاني . وكانت تعتقد أن التجربة قد أثبتت ضرورة استمرار الحكم البريطاني لفلسطين ، اذ لا يمكن ضمان العدل والانصاف للعرب واليهود والحالة على ما هي عليه . اذ لا بد أن تكون هناك قوة أعلى من الفريقين توازن كفتيهما وتعادلهما فلا ترجح كفة عن الاخرى .

٤ ـ حل يؤمن بالوطن المشترك :

ويدعو الى الاتفاق بين العرب واليهود، وقد تبنى هذا الحل كل من الاتحاد والسياسة والمقطم بالاضافة الى الصحف الصهيونية في مصر .

وفي اطار هذا الحل توجد بعض الاختلافات بين مواقف الصحف : فالاتحاد كانت ترى ضرورة الاتفاق بين الفريقين لتسوية ما بينهما من خلافات استنادا الى أن مبادىء الوفاق والتحكيم قد أصبحت شعار العصر في فض الخصومات والمنازعات الدولية

والقومية . وكانت الاتحاد تبرر هذا الحل بأن بريطانيا قد هددت بالعدول عن انجاز المشروعات الاصلاحية الكبيرة في فلسطين وشرق الاردن ما لم يتوصل العرب واليهود الى عقد اتفاق بينهما بأي ثمن .

وترى « السياسة » أنه في ظل اصرار حكومة الانتداب على تنفيذ وعد بلفور ، فالحل الوحيد المطروح هو الاتفاق بين العرب واليهود ، وان كانت تبدي تحفظا ازاء موقف العرب الذين يخشون أن يستخدم هذا التفاهم كوسيلة لحملهم على الاعتراف بمشروعية الوطن القومي . « وهذا لن يكون أبدا الا اذا انتفى عن الوطن القومي اي مغزى سياسي واصبح وطنا روحيا لا أكثر ولا أقل » . اما المقطم فقد كانت ترى ان هذا البلد (وتقصد فلسطين) محكوم عليه بأن يكون وطنا مشتركا بين الشعبين الشقيقين اليهودي والعربي ، سواء رضيا أم أبيا ، واذا كانت هناك بعض العوائق الخارجية التي قد تعرقل مسيرة الحركة الصهيونية ، فانها لا تستطيع بأي حال اسقاطها والقضاء عليها طالما هناك شعب اسرائيل حي على وجه الارض .

لقد حاولت هذه الدراسة أن تعكس بأمانة العلاقة العضوية بين الحركة الوطنية المصرية وحركة التحرر الوطني العربية كما جسدتها مواقف واتجاهات الاحزاب والقوى السياسية المصرية والسلطة الحاكمة وسائر قطاعات الراي العام المصري ازاء القضية الفلسطينية منذ بداية القرن وحتى قيام دولة اسرائيل على الارض الفلسطينية . ومع أن قيام اسرائيل كان تتويجا للمخطط الاستعماري الصهيوني الذي استهدف منذ مطلع القرن ضرب حركة القومية العربية ، وبرغم النجاح الذي صادفه هذا المخطط والذي تمثل في تجزئة الوطن العربي وانقسام الحركة الوطنية العربية بسبب الموقف من قرار التقسيم ، وكانت حرب فلسطين وبالصورة التي وقعت بها تتويجا لهذا النجاح ـ مع كل ذلك فقد دل النضال العربي في السنوات التي تلت ١٩٤٨ ضد الاستعمار والرجعية في شتى

صورها على أن أحد بواعثه الاساسية كان الدرس الذي تلقاه العرب في مأساة فلسطين ذاتها . لقد كانت نكبة فلسطين وما وراءها من أسباب عميقة وما حملته من معان ، مدرسة وطنية كبرى تلقت بفضلها حركة التحرر الوطني العربية وخصوصا الطلائع المصرية ابلغ الدروس القومية . ولم يكن مصادفة أن تساعد حرب فلسطين على خلق الاساس الموضوعي للتغيير الوطني والاجتماعي في الوطن العربي كله . وقد تضافرت شتى العوامل لتجعل من ارض فلسطين المكان الذي يشهد ميلاد الثورة المصرية .

لقد جاءت حرب فلسطين وصفقة الاسلحة الفاسدة والكشف عن مخازي السراي ايذانا بالقضاء على النظام الملكي الاستعماري في مصر . وقامت ثورة يوليو المصرية ١٩٥٢ كي تكشف عن الحلقة المفقودة في حركة التحرر الوطني العربية ، اذ عبرت منذ اللحظات الاولى لقيامها عن وعي قياداتها بالعلاقة المصيرية التي تربطها بحركة التحرر العربية ، كما ادركت أن قضية فلسطين دون كل القضايا العربية هي جوهر قضية التحرر العربي .

ومع المعارك المتصلة والدائمة التي خاضتها ثورة يوليو كانت حركة التحرر الوطني العربية تواصل اكتشاف طريقها . لقد كان الجلاء عن مصر خطوة نحو تحرير فلسطين وكانت معارك الاحلاف والمشاريع الاستعمارية وضرب احتكار السلاح ومؤتمر باندونج ثم تأميم قناة السويس ١٩٥٦ وتحقيق الوحدة المصرية السورية ١٩٥٨ دفعة هائلة لحركة النضال العربي، وبشير الخروج من الدائرة الاستعمارية . وحين انصرفت ثورة يوليو مؤقتا لتدعيم طريق تطورها الوطني والاجتماعي في الاعوام التي تلت الانفصال لم يكن ذلك نكوصا أو تخليا عن التزاماتها القومية ، بل كان يمثل احدى الحلقات التي ارتدت شكلا جديداً في قضية التحرير العربية والفلسطينية .

واذا كانت قيادة ثورة يوليو لم تتح للقوى السياسية المصرية فرصة مواصلة التعبير عن اتجاهاتها ومواقفها من القضية الفلسطينية (كما حدث ورأينا في المرحلة السابقة على الثورة) ،

فان ذلك يرجع الى انفراد الثورة المصرية بصنع واتخاذ القرار السياسي على المستوى الوطني (مصريا) وعلى المستوى القومي (عربيا) . وقد أدى ذلك الى احتواء ثورة يوليو للمشاعر الوطنية المصرية ازاء فلسطين كما ساعدها على أن تقفز بقضية التحرر الوطني في فلسطين الى قضية التحرر الاجتماعي والسياسي في الوطن العربي ككل .

وقد كان الانبثاق العفوي لعدد من المنظمات الفلسطينية التي حملت شعار الكفاح المسلح تعبيرا عن الضرورة الحتمية لظهور أداة فلسطينية تتولى دورها في المرحلة الجديدة .

ولكن ظلت فلسطين قلب وجوهر القضية الوطنية المصرية وعبرت الصحافة المصرية عن موقف السلطة السياسية لثورة يوليو التي احتكرت الاشراف على أدوات التعبير السياسي والاعلامي ، وان لم يحل ذلك دون التعبير عن الاختلافات القائمة داخل السلطة الحاكمة وقطاعات الراي العام المصري . فاذا كانت الاهرام قد حملت لواء التعبير عن الاتجاه الرسمي لثورة يوليو ازاء تطورات القضية الفلسطينية وخصوصا الكفاح الفلسطيني المسلح ودوره في استعادة فلسطين ، فقد كانت « الجمهورية » تهتم بالتعبير عن الاتجاه الشعبي ازاء قضية الكفاح الفلسطيني المسلح . أما صحيفة الاخبار فقد تأرجح موقفها : اذ كانت في البداية تتبنى الاتجاه الامريكي ثم تغيرت مواقفها بتغير قياداتها الصحفية فبدأت تتبنى شعار الكفاح المسلح وتدافع عن الثورة الفلسطينية المسلحة طوال النصف الثاني من مرحلة الستينات . أما الاهرام فقد كانت تؤيد الكفاح المسلح الفلسطيني ولكنها كانت تعبر عن موقف السلطة السياسية في تفضيلها للحرب الوطنية النظامية . وهنا تبقى اشكالية علاقة السلطة السياسية بالصحافة وانعكاس ذلك على الدور الذي تقوم به الصحافة في التعبير عن الراي العام فضلا عن التأثير فيه . ونلاحظ ذلك بوضوح في التغير الذي طرأ على موقف الصحافة المصرية من قضية الكفاح الفلسطيني المسلح في السبعينات.

المراجـــــع

اولا ـــ مصـــــادر اساسية

١ ـ الصحف والمجـــــلات :

الصحف المصرية (عينة البحث)

أ) صحف الوفــــد :

١ ــ البلاغ : ١٩٢٣ ، ١٩٢٤ ، ١٩٢٥ ، ١٩٢٦ ، ١٩٢٧ ، ١٩٢٨ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ ، ١٩٣١ ، ١٩٣٢ ، ١٩٣٣، ١٩٣٤ ، ١٩٣٥ .

٢ ــ كوكب الشرق : ١٩٢٤ ، ١٩٢٥ ، ١٩٢٦ ، ١٩٢٧ ، ١٩٢٨ ، ١٩٣٠ ، ١٩٣١ ، ١٩٣٢ ، ١٩٣٣ ، ١٩٣٤ ، ١٩٣٥ .

ب) الاحـــــرار الدستوريين :

٣ ــ السياســـــة : ١٩٢٣ ، ١٩٢٤ ، ١٩٢٥ ، ١٩٢٦ ، ١٩٢٧ ، ١٩٢٨ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ ، ١٩٣١ ، ١٩٣٣، ١٩٣٤ ، ١٩٣٥ .

ج) الـــــراي :

٤ ــ الاتحاد : ١٩٢٥ ، ١٩٢٦ ، ١٩٢٧ ، ١٩٢٨ ، ١٩٢٩، ١٩٣٠ ، ١٩٣١ ، ١٩٣٢ ، ١٩٣٣ ، ١٩٣٤ ، ١٩٣٥.

د) الصحف الطائفيـــــة :

٥ ــ الوطن : ١٩٢٤ ، ١٩٢٥ ، ١٩٢٦ ، ١٩٢٨ ، ١٩٢٩.

هـ) اليسار المصـــــري :

٦ ــ الحساب : ١٩٢٥ .

و) الاهـــرام :

٧ ــ الاهرام : ١٩٢٢ ، ١٩٢٣ ، ١٩٢٤ ، ١٩٢٥ ، ١٩٢٦، ١٩٢٧ ، ١٩٢٨، ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ ، ١٩٣١ ، ١٩٣٢ ، ١٩٣٣ ، ١٩٣٤ ، ١٩٣٥ .

ز) المقطـــم :

٨ ــ ١٩٢٢ ، ١٩٢٣ ، ١٩٢٤ ، ١٩٢٥ ، ١٩٢٦ ، ١٩٢٧ ، ١٩٢٨ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ ، ١٩٣١ ، ١٩٣٢ ، ١٩٣٣ ، ١٩٣٤ ، ١٩٣٥ .

ح) الاخــوان المسلمون :

٩ ــ ١٩٣٣ ، ١٩٣٤ ، ١٩٣٥ .

ط) الصرخـــة :

١٠ ــ ١٩٣٣ ، ١٩٣٤ .

ك) الصحف الفلسطينيـــة :

الشـــورى :

١١ ــ ١٩٢٤ ، ١٩٢٥ ، ١٩٢٨ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ .

الاخـــاء :

١٢ ــ ١٩٢٤ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ .

الصحف الصهيونيـــة :

١٣ ــ اسرائيل : ١٩٣٠ ، ١٩٣١ ، ١٩٣٢ ، ١٩٣٣ .
١٤ ــ الشمس : ١٩٣٤ ، ١٩٣٥ .
١٥ ــ الاتحاد الأسرائيلي : ١٩٢٤ ، ١٩٢٥ ، ١٩٢٩ .

صحف اخـــرى :

١٦ ــ الرابطة الشرقية : ١٩٢٨ ، ١٩٢٩ .
١٧ ــ الشبان المسلمين : ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ .
١٨ ــ الفتح : ١٩٢٦ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ .
١٩ ــ المجلة الجديدة : ١٩٢٩ ، ١٩٣٤ .
٢٠ ــ شئون فلسطين : بيروت مايو ١٩٧٢ ، اغسطس ونوفمبر سنة ١٩٧٤ .

٢١ ــ الاديب ــ بيروت ــ مايو ١٩٦٧ .

٢٢ ــ الجامعة الاسلامية ديسمبر ١٩٣٣ .

٢٣ ــ الف باء ــ أبريل ١٩٢٤ .

٢٤ ــ الجهاد يناير ١٩٣٢ .

٢٥ ــ روز اليوسف مايو ١٩٣٥ .

٢ ــ احاديــــث شخصيــــة :

١ ــ عدة لقاءات مع الدكتور أنيس صايغ خلال عام ١٩٧٢ ، يونيو ١٩٧٣ بالقاهرة .... ثم في نهاية ١٩٧٢ .

٢ ــ لقاء مع الشيخ عبد الله العلايلي وحوار معه عن (تاريخ الاهتمام المصــــري بالقضايا العربية والقضية الفلسطينية بشكل خاص) أكتوبر ١٩٧٣ .

٣ ــ حديث شخصي مع مسيو ريمون دويك عن (اليهود واليسار المصــــري) ــ القاهرة ــ نوفمبر ١٩٧٤ .

٤ ــ حوار مطــول مع المهندس احمد صادق سعد عن (اليهــود والحركة الصهيونية في مصر) في عدة لقاءات القاهرة ــ يناير ٧٥ .

٥ ــ حديث مع مسيو جاكو دي كومب وهنرييت دي كومب عن اليسار الماركســـي والقضية الفلسطينية) فبراير ١٩٧٥ ــ القاهرة .

٦ ــ حديث مع السيد البير أربيه عن حركة معاداة اللاسامية في مصر ــ القاهرة ــ مارس ١٩٧٥ .

٣ ــ مذكــــرات شخصيــة :

١ ــ أحمد حسين : ايماني ــ مطبعة الرغائب ــ الطبعة الاولى ــ القاهرة ١٩٣٦ .

٢ ــ أحمد حسين : ٥٠ عاما مع العروبة وقضية فلسطين ــ المكتبة العصرية ــ صيدا ــ بيروت ١٩٧١ .

٣ ــ حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ــ دار الكتاب العربي ــ القاهرة ١٩٦١.

٤ ــ خليل سكاكيني : يوميات خليل سكاكيني ــ القدس ١٩٥٥ .

٥ ــ محمد علي الطاهر : ظلام السجين ــ القاهرة ١٩٥١ .

٦ ــ د. محمد حسين هيكل : مذكرات في السياسة المصرية ــ الجزء الاول ــ القاهرة ١٩٥١ .

٤ ـ مذكـرات غير منشورة :

١ ـ د. جيهان رشتي : محاضرات في تحليل المضمون ـ كلية الاعلام ١٩٧٥ .

٢ ـ سيد ياسين : مناهج البحث في علوم الاعلام ـ محاضرات لشعبة الدراسات العليا بكلية الاعلام ـ ١٩٧٥ .

٣ ـ عبد القادر ياسين : مذكرات عن الحركة الوطنية الفلسطينية ـ ١٩٢٠ ـ ١٩٤٨.

٤ ـ عبد القادر ياسين : بحث عن موقف الشيوعيين المصريين من القضية الفلسطينية في الثلاثينيات والاربعينيات .

٥ ـ د. محمد أنيس : الحركة الوطنية في مواجهة الاستعمار الاوروبي ـ سلسلة محاضرات المعهد العالي للدراسات الاشتراكية ـ ١٩٦٩ .

٦ ـ د. محمد أنيس : من الاقطاع الى الراسمالية ـ محاضرات المعهد العـالي للدراسات الاشتراكية ـ ١٩٦٩ .

٥ ـ رسائل جامعيـة غير منشورة :

١ ـ نوقان قرقوط ـ الفكرة العربية في مصر من أيام محمد علي ماجستير كليـة الاداب ـ جامعة القاهرة ٧١ .

٢ ـ عايدة نصير ـ الكتب العربية التي صدرت بمصر بين عامي ١٩٢٦ ـ ١٩٤٠ ماجستير ـ جامعة القاهرة ١٩٦٦ .

٣ ـ محمود فياض ـ الصحافة الادبية في مصر فترة ما بين الحربين دار العلوم ـ جامعة القاهرة ـ رسالة دكتوراه ٦٩ .

٤ ـ وجيه سمعان ـ الصحافة والحياة السياسية في مصر ١٩٢٣ ـ ١٩٣٦ ماجستير جامعة القاهرة ١٩٧٣ .

ثانيـا : مصـادر عامـة

١ ـ دراسات تاريخية (ا ـ القضية الفلسطينية)

١ ـ د. احمد طربين : فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار ١٩٢٢ ـ ١٩٣٩ ـ معهد الدراسات العربية . القاهرة ـ ١٩٧٢ .

٢ ــ احمد صادق سعد ــ فلسطين بمخالب الاستعمار ــ القاهرة ١٩٤٧ .

٣ ــ د. انيس صايغ ــ فلسطين والقومية العربية ــ م.أ.ف بيروت ٦٦ .

٤ ــ الحكم دروزه ــ ملف القضية الفلسطينية والصراع العربي الاسرائيلي م.أ.ف بيروت ١٩٧٣ .

٥ ــ د. اميل توما ــ بذور القضية الفلسطينية ــ م.أ.ف بيروت ٧٣ .

٦ ــ اميل الغوري ــ المؤامرة الكبرى ــ اغتيال فلسطين وحسق العسرب ــ القاهرة ــ ١٩٥٥ .

٧ ــ اكرم وعمر زعيتر ــ القضية الفلسطينية ــ بيروت ١٩٥٩ .

٨ ــ العسكرية الصهيونية ــ المجلد الاول ــ مركز الدراسات الاستراتيجية بالاهرام ــ القاهرة ١٩٧٢ .

٩ ــ ج. م. ن جذريز ــ فلسطين اليكم الحقيقة ــ . ــ ترجمة احمد خليــل الحاج ــ القاهرة ١٩٧٢ .

١٠ ــ د. خيرية قاسمية ــ النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه من ١٩٠٨ ــ ١٩١٨ ــ م.أ.ف بيروت ١٩٧٤ .

١١ ــ د. رفعت السعيد ــ اليسار المصري والقضية الفلسطينية ــ بيروت ١٩٧٥ .

١٢ ــ سعد الياس ــ الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة ــ بيروت ١٩٧١ .

١٣ ــ صبحي ياسين ــ الثورة العربية الكبرى ــ ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩ القاهرة ١٩٥٩ .

١٤ ــ عادل احمد غنيم ــ الحــركة الوطنية الفلسطينية ــ من ١٩١٧ ــ ١٩٣٦ القاهرة ١٩٧٥ .

١٥ ــ عبد الوهاب الكيالي ــ وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتــلال البريطاني والصهيوني ١٩١٨ ــ ١٩٣٩ ــ بيروت ١٩٦٨ .

١٦ ــ عبد الوهاب الكيالي ــ تاريخ فلسطين الحديث ــ بيروت ١٩٧٠ .

١٧ ــ عمر الصالح البرغوتي ــ تاريخ فلسطين ــ القدس ١٩٢٣ .

١٨ ــ عودة بطرس عودة ــ القضية الفلسطينية في الواقع العربي ــ القاهرة ١٩٧٠.

١٩ ــ عيسى السفرى ــ فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ــ يافا ١٩٣٧ .

٢٠ ــ د. كامل محمود خلــه ــ فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ ــ ١٩٣٩ م.ا.ف بيروت ١٩٧٥ .

٢١ ــ د. فاضل حسين ــ تاريخ فلسطين السياسي تحت الادارة الإريطانية ــ بغداد ١٩٦٧ ــ مترجم .

٢٢ ــ د. فايز صايغ ــ الاستعمار الصهيوني في فلسطين ــ م.ا.ف ــ بـــــيروت ١٩٦٥ .

٢٣ ــ محمد علوبة ــ فلسطين وجارتها ــ القاهرة ١٩٤٥ .

٢٤ ــ محمد رفعت ــ قضية فلسطين ــ القاهرة ١٩٤٧ .

٢٥ ــ منيرة ثابت ــ قضية فلسطين ــ القاهرة ١٩٣٩ .

٢٦ ــ ناجي علوش ــ المقاومة العربية في فلسطين ــ ١٩١٧ ــ ٤٨ بيروت ٦٧ .

٢٧ ــ ‹‹ ‹‹ ــ الحركة الوطنية الفلسطينية امام اليهود والحركة الصهيونية من ١٨٨٢ ــ ١٩٤٨ ــ بيروت ١٩٧٥ .

٢٨ ــ نبيل بدران ــ التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني ــ الجـــزء الاول ــ عهد الانتداب ــ م.ا.ف بيروت ٦٩ .

٢٩ ــ نجيب صدقــه ــ قضية فلسطين ــ بيروت ١٩٤٦ .

(ب) تاريخ مصر السياسي

١ ــ د. ابراهيم عبده وخيرية قاسمية ــ اليهود في البلاد العربية بيروت ــ ١٩٧١ .

٢ ــ احمد شفيق باشا ــ حوليات مصر السياسية ــ الحولية السادسة ١٩٢٩ ــ القاهرة ــ ١٩٣١ .

٣ ــ د. احمد عبد الرحيم مصطفى ــ تطور الفكر السياسي في مصر الحديثة ــ معهد الدراسات العربية بالقاهرة ١٩٧٣ .

٤ ــ احمد غنيم واحمد ابو كف ــ الحياة اليهودية والحركة الصهيونية في مصر ــ القاهرة ١٩٦٩ .

٥ — د. اسحق موسى الحسيني — الاخوان المسلمون كبرى الحـركات الاسـلامية الحديثة — بيروت ١٩٥٢ .

٦ — د. أنيس صايغ — الفكرة العربية في مصر — بيروت ١٩٥٧ .

٧ — د. جمال حمدان — شخصية مصر — دراسة في عبقرية المكان — القاهرة ٦٧ .

٨ — جاكوب لانداو — الحياة النيابية والأحزاب في مصر ١٨٦٦ — ١٩٥٢ . ترجمة سامي الليثي — القاهرة ١٩٧٤ .

٩ — د. رفعت السعيد — تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر ١٩٠٠ — ١٩٢٥ دار الفارابي — بيروت ١٩٧٢ .

١٠ — د. رفعت السعيد — اليسار المصري ١٩٢٥ — ١٩٤٠ بيروت ١٩٧٢ .

١١ — شهدي عطية الشافعي — تطور الحركة الوطنية المصرية ١٨٨٢ — ١٩٥٦ — القاهرة ١٩٥٧ .

١٢ — د. راشد البراوى — حقيقة الانقلاب الاخير في مصر — انقاهرة ١٩٥٣ .

١٣ — صلاح عيسى — الثورة العرابية — القاهرة ١٩٧٣ .

١٤ — طارق البشرى — الحركة السياسية في مصر — ٤٥ — ١٩٥٢ القاهرة ١٩٧٢ .

١٥ — فوزي جرجس — دراسات في تاريخ مصر السياسي — القاهرة ١٩٥٨ .

١٦ — د. لويس عوض — تاريخ الفكر المصري الحديث — القاهرة ١٩٦٩ .

١٧ — د. محمد انيس ورجب حراز — التطور السياسي للمجتمع المصري الحديث — القاهرة ١٩٧٢ .

١٨ — يونان رزق — الحياة الحزبية في مصر في عهد الاحتلال البريطاني ١٨٨٢ — ١٩١٤ — القاهرة ١٩٧٠ .

٢ — دراســـــات صحفيـــــة :

١ — د. ابراهيم عبده — تطور الصحافة المصرية وأثرها في النهضة الفكـــــرية والاجتماعية — الطبعة الاولى — القاهرة ١٩٤٤ .

٢ — انور الجندي — تطور الصحافة العربية في مصر — القاهرة ١٩٦٨ .

٣ — تطور الصحافة السياسية في مصر منذ نشاتها حتى الحرب العالمية الثانية — القاهرة ١٩٦٦ .

٤ — د. حسنين عبد القادر — الصحافة كمصدر للتاريخ — القاهرة ١٩٣٨ .

٥ — د. خليل صابات وسامي عزيز ويونان رزق :

حرية الصحافة في مصر ١٨٩٨ — ١٩٢٤ .

٦ — الصحافة رسالة واستعداد وعلم وفن — دار المعارف — القاهرة .

٧ — د. رفعت السعيد — الصحافة اليسارية في مصر ١٩٢٥ — ١٩٤٥ دار الطليعـة — بيروت .

٨ — د. سامي عزيز — الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال البريطاني . ١٨٨٢ — ١٨٩٢ — القاهرة ١٩٦٩ .

٩ — د. عبد اللطيف حمزة — أدب المقالة الصحفية في مصر — القاهرة ١٩٦٣ .

١٠ — الصحافة المصرية في مائة عام — القاهرة ١٩٦٠ .

١١ — قصة الصحافة العربية في مصر منذ نشاتها الى منتصف القرن العشرين — بغداد — ١٩٦٧ .

١٢ — قسطاكي الياس عطارد — تاريخ تكوين الصحف المصرية — القاهرة ١٩٣٨ .

١٣ — فاروق أبو زيد — الصحافة وقضايا الفكر الحر في مصر — القاهرة ١٩٧٤ .

٣ — مراجـــع عامـــة :

١ — د. أحمد سويلم العمرى — المجتمع العربي وتطوراته الاجتماعية والسياسية — القاهرة ١٩٦٥ .

٢ — د. احمد طربين — الوحدة العربية ١٩١٦ — ١٩٤٥ — القاهرة ٦٨ .

٣ — د. انيس صايغ — تطور المفهوم القومي عند العرب — بيروت ١٩٦١ .

٤ — الياس مرقص — تاريخ الاحزاب الشيوعية في الوطن العربي — بيروت ٦٤ .

٥ — آمين سعيد — الثمرة العربية الكبرى — الجزء الثالث — القاهرة ١٩٣٤ .

٦ — أنور الجندي — القومية العربية والوحدة الكبرى .

٧ — د. جلال يحيى — العالم العربي الحديث فترة ما بين الحربين . القاهـــرة ١٩٦٦ .

٨ — جورج انطونيوس — يقظة العرب — ترجمة ناصر الدين الاسد واحسان عباس — بيروت — ١٩٦٩ .

٩ — حازم نسيبه — القومية العربية — فكرتها — نشاتها — تطورها — ترجمة عبـد اللطيف شراره — بيروت ١٩٥٩ .

١٠ — سيتون وليمز — بريطانيا والدول العربية ترجمة احمد عبد الرحيم مصطفى — القاهرة ١٩٥٢ .

١١ — لوتسكي — تاريخ الاقطار العربية الحديثة — موسكو ١٩٧١ .

١٢ — د. محمد أنيس — ورجب حراز — الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر — القاهرة ١٩٦٧ .

١٣ — محمد رفعت — التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة — القاهرة ١٩٦٤ .

١٤ — محمد عزه دروزه — حول الحركة العربية الحديثة — صيدا ١٩٥٩ .

١٥ — محمد عماره — العروبة في العصر الحديث — القاهرة ١٩٦٧ .

١٦ — محمود كامل المحامي — عروبتنا — القاهرة ١٩٦٤ .

١٧ — محمد علي الغنيت — ثورات العرب في ١٩١٩ — الجزء الاول ١٩٦٢ .

١٨ — نجلاء عز الدين — العالم العربي ترجمة محمد عوض ابراهيم وآخـرون — القاهرة ١٩٦٤ .

المراجع الاجنبية : المراجع الانجليزية :

1. Abcariu, M.P. : Palestine through The Jog of propaganda - London, 1966.

2. Antonius, G : The Arab Awakening, London 1939.

3. Cohen, Israel : A short history of Zionism London - Frederick Muller, 1951.

4. Esco Foundation : Palestine, a study of Jewish Arab and British policies - 2 vols. New Haven 1947.

5. Fadden. T. Johnson : Daily Journalism in the Arab States, Columbus, Ohio State Univ. prex 1953.

6. Howard Morley Sachar : The Course of modern Jewish History - London - 1963.

7. Ivar Spector : The Soviet Union and the Moslem World 1917 - 1956 - Washington press, Seatle, 1959.

8. John Robert, Hadawi Sami : The Palestine Diary, Vol. 1914-1945 - the P. Research Center - Beirut 1969.

9. Laqueur Walter : Communism and Nationalism in the Middle East - London, Routledge and Kegan Paul, 1957.

10. Main, Earnest : Palestine at the Crossroads - London George and Unwin LTD. 1937.

11. Marlowe, John : Anglo - Egyptian relations 1800 - 1953. London, the cresset press 1954.

12. Merril. John Calhoun : The Elite press - great newspaper of the world - New York - 1963.

13. Merril, John : The Foreign Press, a survey of the Worlds Journalism Louisiana Univ. press - 1970.

14. Képearlman, Moshe : Ben Gurion looks back N.Y., Simon and Schuster, 1965.

15. Samuel, V. : Memories London, 1945.

16. Weizmann, Chaim : Trial and Error, an autobiography - London - Hamish Hamilton, 1949.

17. Williams, FR : Press, Parliament and people in Egypt - London, 1946.

18. Young, H : The independent Arab - London 1933.

19. Young, G : Egypt - London, 1937.

مراجـــــع فرنسيـــــة :

1. Colombe, Marcel : L'evolution de l'Egypte - Paris G.P. Maison Neuve 1951.

2. Fargeon Naurice : les Juifs en Egypte. Depuis les origines jusqu'ace jour. Le Caire - 1938.

3. Ramadan, A.M.S; L'Evolution de la logislation sur la presse en Egypte - Paris, 1935.

4. Revesky, Abraham : les Juifs en Palestine, Paris. 1936.

5. Rodinson, Maxime : Israel et le Refus Arabe 75 ans d'histoire, Paris 1968.

6. Le Groupe d'etudes de l'Islam : L'Egypte in dependante le Caire, 1937.

7. Le Revue Nouvelle, Numéro special Avril 1973, 29 année - Tome L 11 N4 Palestiniens sans Palestine.

مراجــع روســية :

١ ــ د. خليل عبد العزيز ــ الصحافة المصرية المعاصرة ــ رسالة دكتوراه جامعة موسكو ١٩٧٣ (ترجمة المؤلف)

٢ ــ لوتسكي ــ المشكلة الفلسطينية من ١٩٢٠ ــ ١٩٤٧ ــ موسكو ١٩٤٧ .
(ترجمة وتلخيص معهد الاستشراق بموسكو)

٣ ــ بوليكاف وآخرون ــ التاريخ المعاصر للبلدان العربية ــ موسكو ١٩٦٨ .
(ترجمة حاتم الانصاري)

مراجــــع عبريــــة :

١ ــ يهوشع بورات ــ الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨ ــ ١٩٢٩ ــ الجامعــة العبرية القدس ١٩٧٠ ــ ترجمة القسم العبري بمركز الابحاث الفلسطينية ــ بيروت) .

٢ ــ آهارون كوهين ــ اسرائيل والعالم العربي ــ تل ابيب ١٩٦٤ .
(ترجمة هيئة الاستعــلامات)



المحتوى

صفحة

الباب الثـالث

الراي العام المصري وفلسطين في الاربعينـات

المؤلفة في سطور

د. عواطف عبد الرحمن

- ولدت في أسيوط عام ١٩٣٩ .
- تخرجت في كلية الاداب جامعة القاهرة ـ قسم الصحافة عام ١٩٦٠ ، وحصلت على درجة الماجستير في الدراسات الافريقية عام ١٩٦٨ ، ودرجة الدكتوراه في الاعلام عام ١٩٧٥ .
- تعمل حاليا مدرسة للصحافة بكلية الاعلام جامعة القاهرة .
- من مؤلفاتها المنشورة :

ـ اكتشاف أفريقيا (مع آخرين) دار المعرفة القاهرة ١٩٦١ .

ـ اسرائيل وأفريقيا (١٩٤٨-١٩٧٣) مركز الابحاث الفلسطينية ١٩٧٤ .

ـ الصحافة العربية في الجزائر ، معهد الدراسات العربية ـ القاهرة ١٩٧٨ .

ـ بريد القراء في الصحافة العربية (مع آخرين) مركز البحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ١٩٧٩ .

- كما نشرت العديد من الابحاث منها :

ـ الرؤية المصرية للخليج العربي ، دراسة تحليلية لاتجاهات الصحف المصرية نحو الخليج في السبعينات ورقة مقدمة الى ندوة دراسات الخليج، البصرة ، مارس ١٩٧٩ .

ـ القدس في الصحافة العربية ، ورقة مقدمة لندوة القدس ، معهد الدراسات العربية ١٩٧٨ .



العلاج النفسي الحديث
قوة للانسان
تأليف
د. عبد الستار ابراهيم

الكويت	٢٥٠	فلسا	ليبيا	٢٥	قرشا	عمان	٤	ريال
السعودية	٥	ريال	المغرب	٥	دراهم	اليمن الجنوبية	٤٠٠	فلس
العراق	٣٠٠	فلسا	تونس	٥٠٠	مليم	اليمن الشمالية	٤ر٥	ريال
الاردن	٢٥٠	فلسا	الجزائر	٥	دنانير	البحرين	٤٠٠	فلس
سوريا	٣	ليرات	مصر	٢٥٠	مليما	قطر	٥	ريال
لبنان	٢ر٥	ليرة	السودان	٢٥٠	مليما	الامارات العربية	٥	درهم

الاشتراكات : يكتب بشأنها الى المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ؛
ص.ب ٢٣٩٩٦ — الكويت





مطابع اليقظة